



# التقافة الجديدة

## مقالات

طالب عبد الأمير

ثامر عباس

حميد علي هدوان

ظافر عبد الله حسين

مصباح كمال

## نصوص قديمة

عبد الجبار عبد الله

## نصوص مترجمة

كريستيان فوكس

## أدب وفن

حسب الله يحيى

ليث الصندوق

مرتضى محمد

نجاة تميم

مؤيد داود البصام

صارم داخل أحمد

بتينا بير

كامل داود

عادل مردان

فريدون سامان

سحر الشامي

صالح الصحن

شميران مروكل

جواد الزبيدي



# التقافة الجديدة



فكر علمي - ثقافة تقدمية

تأسست عام 1953

رئيس التحرير: صالح ياسر

مجلس التحرير

ابراهيم اسماعيل كـاوة محمود

جـواد الزيدي مظهر محمد صالح

رضا الظاهر هادي عزيز

علي ابراهيم

العدد: 430

أيار: 2022

هيئة التحرير

حسب الله يحيى زهير الجزائري

سوران قحطان هاشم نعمة

محرر "أدب وفن": حسب الله يحيى

المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها

يرجى ارسال مواد أدب وفن على العنوان الآتي:

hassab1944@yahoo.com

السعر داخل العراق: 2000 دينار للنسخة الواحدة  
الاشتراك السنوي خارج العراق: للأفراد (50) دولاراً أو ما يعادلها، وللمؤسسات (100) دولار، أو ما يعادلها.  
يحول المبلغ نقداً على الحساب الآتي:

بالدينار: مجلة الثقافة الجديدة  
بالدولار: Althakafa Aljadida Magazine  
مصرف المنصور للاستثمار - بغداد  
رقم الحساب: 11153  
سويفت كود: MBIVIQBA  
Mansour Bank for Investment- Baghdad  
Account No:30721  
SWIFT CODE: MBIVIQBA

ايميل رئيس هيئة التحرير:  
thakafajadida@hotmail.com  
ايميل سكرتارية هيئة التحرير:  
thakafajadida4u@gmail.com

عنوان الموقع على شبكة الانترنت:  
<http://www.althakafaaljadedda.com>

عنوان المجلة: بغداد - ساحة الاندلس.  
والرجاء إرسال المطبوعات الجديدة على هذا العنوان.  
رقم الايداع: 781  
رقم الاعتماد: 1288

ترجو هيئة التحرير من المساهمين في الكتابة الى المجلة مراعاة ما يأتي في ما يرسلون للنشر:  
\* أن تكون المقالة او الدراسة او الشعر ... الخ مستوفية شروط النشر من حيث وضوح التعبير وسلامة اللغة.  
\* ألا يتجاوز حجم المادة 4000 كلمة.  
\* ان تكون المادة معدة أصلاً للمجلة، لذا نعتذر عن نشر أية مادة تكون قد نشرت قبل ذلك في أماكن أخرى او على صفحات المواقع الالكترونية.  
\* يفضل ان تكون المادة مطبوعة على الكمبيوتر ومرسلة عبر البريد الالكتروني أو على قرص مدمج وارتباطاً بالتغيرات التي اعتمدها هيئة التحرير في ما يتعلق بالتصميم الداخلي، نرجو أن ترسل مع المقال أو الدراسة نبذة مختصرة عن حياة الكاتب أو الكاتبة بحدود 50 كلمة إضافة الى صورة شخصية لنشرها مع المقال أو الدراسة.  
\* لا تعاد المادة غير المرشحة للنشر، وتتولى المجلة إعلام صاحبها بذلك.  
\* بالنسبة للمادة المرسلة عبر البريد الإلكتروني، تلتزم المجلة بإعلام كاتبها عن صلاحيتها للنشر وذلك خلال شهر واحد من تاريخ وصولها.  
\* للمجلة حق إعداد أو اختصار التعقيبات التي تردها.  
\* يجوز للباحث إعادة نشر بحثه المنشور في المجلة شريطة أن يشير الى المصدر عند إعادة النشر.

دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والإعلان

## محتويات العدد

5- كلمة العدد

### مقالات

- 8- "أنسنة" التكنولوجيا وليس "تكنلجة" الإنسان؟ ..... طالب عبد الأمير  
15- دلالات مفهوم الانتلجنسيا بين الأصل الغربي والانتحال العربي ..... ثامر عباس  
23- نحو انظمة غذائية مستدامة ..... حميد علي هدوان  
30- تهديدات الزراعة في العراق... المياه أولا ..... ظافر عبد الله حسين  
39- محاسبة القيمة في رأس مال ماركس: اليد الخفية لـ مايكل برُوز ..... مصباح كمال

### نصوص قديمة

- 48- جامعة بغداد.. واجباتها واهدافها ..... عبد الجبار عبد الله

### نصوص مترجمة

- 54- نحو نظرية نقدية للتواصل كتجديد وتحديث لإنسانية الماركسية (Marxist-humanist) في عصر الرأسمالية الرقمية لـ كريستيان فوكس ..... ترجمة واعداد عادل كنيش مطلوب

## أدب وفن

78- عيد العمال العالمي ..... حسب الله يحيى

79- رحيل شاعر(القصيدة المدوّرة)

رجل السلام ومجدد القصيدة العربية حسب الشيخ جعفر.. سلاماً..

### ملف (ادب وفن) الرواية العراقية ... محور نقدي

80- في ( عيادة الحاج مهاوي) ..... ليث الصندوق

89- المَقامة اللَّامِيّة/ مقاربات الدوائر المستقيمة ..... مرتضى محمد

95- تيار الوعي والوعي الثقافي رواية "راحلون رغما عن أنوفهم" أنموذجا ..... نجاة تميم

104- في رواية الوقوف على ساق واحدة لحسن كريم عاتي ..... مؤيد داود البصام

108- غواية السرد وخطاب المضمّر في رواية ( أوبرا 40) ..... صارم داخل أحمد

114- الصداقة والأنثروبولوجيا لـ بتينا بير ..... ترجمة: هناء خليف غني

121- المستشرق ماسينيونو مصادره البغدادية في كتابة سِفْر الحلاج ..... كامل داود

127- أبجدٌ من نرجسٍ ودمع ..... عادل مردان

129- تشذو المدينة بعطرك لـ فريدون سامان ..... ترجمها عن الكردية : ماجد سوره ميرري

131- مسرحية (أنوار البابلية) فكرة: سهر العامري ..... تأليف: سحر الشامي

140- فرصة التمثيل ..... صالح الصحن

144- هيت مدينة ورجال ..... عرض: شميران مروكل

149- منصور البكري .. ومحمولات الرسم المعبر ..... جواد الزبيدي

لوحتا غلافي العدد للفنان قاسم الساعدي

## عيد العمال . . بأي حال عدت يا عيد؟!

مع صدور هذا العدد، ستكون قد مضت ايام قليلة على الأول من أيار عيد العمال العالمي، عيد التضامن والنضال من أجل: الحق في العمل، والأجور المجزية، ومستلزمات العيش الكريم، والضمانات الاجتماعية والصحية، والحريات النقابية والسياسية، وتأمين مساواة قانونية فعلية للمرأة مع الرجل في الأجور، وضمان حق الامومة والطفولة. كما انه عيد التضامن والكفاح الأممي في سبيل السلام والديمقراطية الحققة، والعدالة الاجتماعية، بعيدا عن الحروب والهيمنة والتسلط والعولمة الرأسمالية المتوحشة؛ عيد المناضلين في سبيل عالم أفضل، خال من التمييز والاضطهاد والقهر بسبب الانتماء الاثني أو الديني او المذهبي، وعالم خال والى الابد من استغلال الانسان للإنسان. ولكنه مثل سابقاته في السنين الماضية، عاد العيد على عمال العراق وعلى عوائلهم هذا العام أيضا، بلا جديد يذكر. فالطبقة العاملة وعموم الجماهير العراقية الكادحة، ما زالت ترزح تحت وطأة ظروف قاسية، وبطالة مستشرية، وواقع مزرر من الفقر والعوز، وأجور متدنية لا تكفي لسد رمق عيش عوائلهم، وعلى وجه الخصوص أولئك العاملين في القطاع الخاص، حيث يعملون في "اقتصاد غير منظم"، وفي ظل سيادة اشكال من العمالة الناقصة والعمالة الهشة. وقد زادت أوضاعهم سوءا وقسوة، مع تتالي الازمات الاقتصادية وارتفاع حدة التضخم التي تسبب بها تفشي وباء كورونا ثم تقادم الحروب والصراعات الدولية. ولا يمكن إدراك الحجم الحقيقي للمأساة إلا إذا اضفنا ان كل ذلك يترافق مع غياب شبه تام للضمان الاجتماعي والصحي.

### المشاكل البنوية للاقتصاد العراقي

كان لتفاقم المشاكل البنوية للاقتصاد العراقي الأثر الكبير على الطبقة العاملة العراقية، خصوصا من ناحية توطد سمته الريعية، وتعمق طابعه الخدمي والتوزيعي، والتآكل الحاد والمستمر في القطاعات الإنتاجية المختلفة، وما نتج عنه من تحديات اجتماعية واقتصادية متعددة. حيث انتشرت البطالة في صفوفها، وتقلص وزنها النوعي في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. فمنذ عام 2003 بقيت نسب البطالة عالية، ولم تقل عن مرتبتين عشرين، وقد ارتفعت معدلاتها كثيرا، بعد الازمة الاقتصادية التي رافقت تفشي وباء كورونا. وإذا اخذنا بعين الاعتبار ان مئات الآلاف من الشباب يدخلون سنويا الى سوق العمل، وان جزءا كبيرا من العمالة في القطاع الخاص يمثلون عمالة مؤقتة وغير منتظمة لأدركنا حجم الكارثة الاجتماعية. لقد كان ذلك كله بمثابة النتيجة الحتمية للسياسات الاقتصادية التي انتهجت بعد 2003 والتي ارتكزت على الرهان على انتاج النفط الخام وتعظيم إيراداته، وكذلك على اعتماد سياسات "السوق المفتوحة"، والطروحات البرالية المنفلتة؛ حيث استمرت بنية الدولة والمجتمع العراقيين تستند على قاعدة اقتصاد ريعي، يتعمق طابعه التوزيعي والاستهلاكي باضطراد، في مقابل تآكل مستمر

للقطاعات الإنتاجية، وخاصة قطاعي الزراعة والصناعة وتدهور متسارع في البنى التحتية. فإذا كانت الثروات ما برحت تتضخم وتتكدس عند شرائح وفئات اجتماعية محدودة، تتعاظم مداخيلها كلما تعاظمت سماتها البيروقراطية والطفيلية والكومبرادورية، فإنه بالمقابل نلحظ تدهورا في المستوى المعيشي، وارتفاعا في معدلات البطالة، وتراكما في حالات التهميش، وكذلك تناميا في مظاهر البؤس والفقر والحرمان بشكل مريع بين العديد من طبقات وفئات المجتمع، خصوصا ذوي الدخل المحدود، من العمال والفلاحين والكادحين عموما.

### رغم كل المصاعب.. الطبقة العاملة تنهض من جديد!

كما هو معروف، عانت الطبقة العاملة العراقية وعلى مدار سنوات طويلة من وطأة الحكام المتسلطين وويلات الحروب، وقاست مآسي الحصار الاقتصادي، والافتتال الطائفي، لكن اليوم وبعد 19 سنة على انهيار النظام الدكتاتوري، عادت الطبقة العاملة وحركتها النقابية تتصدى مدافعة عن مصالح العمال وقضاياهم العادلة، ومقاومة بقوة وبسالة كل محاولات الالتفاف على حقوقها المشروعة، وتطلعات البعض في السيطرة عليها وتوظيفها لخدمة مشاريعه وتوجهاته السياسية الضيقة. إن السنوات الماضية شهدت تصاعدا في ميادين العمل النقابي، ونشاطا واسعا على الصعيد المطلي، حيث قام العمال بالعديد من الاعتصامات في مواقع العمل، وشاركوا في الكثير من الرققات والاحتجاجات في الساحات العامة، مدافعين عن مصانعهم وشركاتهم ضد عمليات البيع او الاستثمار المنفلت، مقاومين كل محاولات الخصخصة غير المبررة. وتحرك العمال من اصحاب العقود في اكثر من مفصل من مفاصل الدولة مطالبين بالتنبث، بينما تحرك آخرون مطالبين بتطبيق فعلي لقانون العمل رقم (37) لسنة 2015، واحتجاجات العاطلين المستمرة، مطالبين بتوفير فرص العمل. ان تظاهرات واحتجاجات العمال والكادحين والعمال العاطلين عن العمل وعمال العقود بوجه سياسات الإفقار والتجوع والبطالة لم تتوقف يوما على صعيد البلاد، لأن الدوافع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للاحتجاجات الجماهيرية ما زالت كما هي لا بل اشتدت.

ان الطبقة العاملة العراقية تترك بخبرتها الغنية، ووعياها الطبقي العالي ان الخطوة الاولى في سبيل تحقيق اهدافها المطلية والنقابية في هذه المرحلة، هي الخلاص من نهج المحاصصة الطائفية والاثنية، وان الحل الامثل للخلاص من هذا النهج ومن الازمة العميقة التي انتجها، انما يكمن في تغيير موازين القوى السياسية لصالح قوى الإصلاح والتغيير وفي القلب منها القوى المدنية والديمقراطية وكل الراغبين في بناء الدولة المدنية الديمقراطية على قاعدة العدالة الاجتماعية.

وبالمقابل، فإن السياسات التي اتبعتها وتتبعها القوى المنتفذة القابضة على السلطة والثروة والنفوذ، ادت الى انطلاق اشكال متنوعة ومتباينة من الحراك الاجتماعي والمطلي منذ شباط 2011، وصولا الى تفجر الوضع بانتفاضة تشرين 2019 المجيدة وما تلاها. فالتراكمات الاحتجاجية، والتي استمرت لسنوات طويلة، ساهمت في تنامي الوعي السياسي والنضالي عند الجماهير، معززة فيها روح المطالبة بالحقوق ورفض الظلم والفساد. فالعراقيون يجمعون على ان التغيير، صار شعارهم الابرز. فهو لم يعد مطروحا كإمكانية على طاولة النقاش، بل اصبح المهمة الاولى المدرجة على جدول الاعمال.

ننتهز هذه الفرصة لنتوجه الى الطبقة العاملة العراقية وكل الشغيلة والكادحين بخالص التحايا متمنين لهم النصر المؤزر في معركتهم النبيلة، من اجل التغيير وإقامة البديل المدني الديمقراطي والحياة الكريمة، ومن اجل الديمقراطية والسلام والعدالة الاجتماعية والاشتراكية.

المجد كل المجد للطبقة العاملة في عيدها الأممي !



# مقالات



# ”أنسنة“ التكنولوجيا وليس ”تكناجة“ الإنسان؟

طالب عبد الأمير

طالب عبد الأمير باحث وإعلامي، ماجستير في الإعلام والاتصالات وبكالوريوس هندسة. له العديد من المقالات والأبحاث في مجلات وصحف عراقية وعربية. كما له محاضرات في الإعلام والاتصالات والعلاقة بين العلم والفن، وغيرها، وعدد من الإصدارات منها: ”ظلال على شواطئ المنفى“ (2016)، ”نوبل ومثالية الأدب“ (2017)، و”عبد الغني الخليلي، سحر الكلمة وعشق الصداقات“ (2018). ترجم عدداً من قصص الأطفال، كما عمل صحفياً بإذاعة يوغسلافيا، ومحرراً ومنتجاً للبرنامج العربي في الإذاعة السويدية. عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، والاتحاد العام للصحفيين في السويد.



إن وراء التسامي بالمعارف والعلوم الذي يمتد مساره عبر قرون عديدة، ثمة عالم متحرك، يبدأ من أصغر حبة رمل في أقاصي هذا الكون، المترامي، الى آخر جزيء بتركيبية كيميائية، في انبوبة مختبر، تنتظر دورها لتأخذنا الى مسار جديد من مسارات النمو الحلزوني للمعرفة الذي يتوصل معه الإنسان منذ قرون بعيدة، بعدما أزاح منقبو الآثار غبار الأزمنة عن بوابة المعرفة، ودخلوا من خلالها الى عالم قديم عمره آلاف السنين، عالم مركب من ألواح طينية نقشت عليها معادلات حسابية معقدة، لكن بأدوات بسيطة. فمن هناك بدأ المنطق. وهناك كمنت التفاصيل.

ثم تراكمت المعرفة، وتعددت مساراتها ومنعطفاتها، حتى وصلت بيت الحكمة، وخرجت منه بأركان العالم الرقمي في عصرنا هذا، حيث كان محمد بن موسى

يفترض أن تزود آليات التطور التكنولوجي بشحنات إنسانية تجعل الحياة أكثر أماناً وحيوية، وليس العكس بنزع إنسانية الإنسان وجعله أداة من ادواتها. والسبب بسيط جداً، ذلك لأن الإنسان يشكّل، جوهر النمو والتطور الذي وصلت اليه البشرية على مرّ الأزمنة والعصور. إذ جاءت هذه الإنجازات بفضل ذكاء الإنسان الذي صقلته الآلة التي اكتشفها هو، بعد أن تحرر من أسر الطبيعة بكل ما يكتنفها من أسرار وظواهر. لم يجد، في البدء تفسيرات لها فنسبها الى الغيبيات، الى الميتافيزيق. لكنه بعد أن استطاع التعرف على قدرته الكبيرة، على التفكير والادراك والتعمق فيه، والذي جسّده في علوم عصر النهضة والتنوير، تم اختزال المسافات الزمانية وصولاً الى الرقميات والذكاء الاصطناعي الذي يمثل حتى الآن ذروة ما توصل اليه العقل البشري.

البغدادي، الملقب بالخوارزمي قد أوجد نقطة تلاقي هذا العالم وتفاعلاته، وأكد أن لكل شيء في هذا الوجود قيمة، حتى الصفر.

الخوارزمي أب الحاسوب - الكمبيوتر والشبكة، اللذين شكلا أساساً مهما للثورة الصناعية الرابعة، حسب التصنيفات الجديدة لإفرازات التطور الذي نقل البشرية من حال إلى حال، رغم أن الزمن يمتد بينهما مئات السنين. حدثت خلاله ابتكارات مهمة كثيرة وأساسية شكلت بنية عالمنا الافتراضي، هذا العالم الذي خلقه الإنسان وراح يسعى بشكل حثيث إلى تطويره بإيجاد آليات جديدة، يجري تجديدها في منعطفات مصيرية خلال مسيرة الزمن نحو المستقبل. وليس العالم الافتراضي فقط من شمله التغيير، بل وحتى عالمنا المادي الذي عاش فيه البشر حفنة من الدهور، تعرض وما يزال إلى زلازل التغيير، الذي تجسدت دلالاته في كثرة "الما بعديات"، والتي تعني التجاوز الزمكاني للظاهرة المعنية، وهي تحمل بعداً فلسفياً يسميه البعض تناحر المفاهيم: منذ ما بعد الطوفان، وما بعد الحداثة، ما بعد العولمة... وما "بعد الإنسانية".

عقل الإنسان دله على الأداة، الآلة، الوسيلة التي ضمنت استمراره في الحياة، فأصبح، بفضلها، حراً غير خاضع للطبيعة. ثم وسعت، الأداة، ولاحقاً الماكينة، مداركه، خلال العمل فطورها أكثر من أجل أن تمنحه حياة أفضل. وبتراكم الخبرات والسنين، تطورت الآلة وتعددت مسمياتها وتتنوع استخداماتها حتى بلغت سمات خارقة. وكل هذا بفضلها هو. وهي بطبيعة الحال لا تنكر دوره هذا. فقدمت وما زالت تقدم له الكثير. لكن علاقة الإنسان بالآلة تراوحت، منذ نشأتها

وعبر التاريخ، ما بين التعاون والصراع. كانت الآلة عوناً ومساعداً للإنسان في تسهيل أعماله الخاصة تجسدت في فترة الأتمتة. لكن الماكينة وفي سياقات تطورها باتت تهدد بأخذ مكانه كلما تطورت، حيث شكل استخدام الروبوتات، مثلاً، تهديداً جدياً وقلقا مشروعا لدى الإنسان من أن تحل محله. وفي حالات معينة استطاعت الآلة - الماكينة من التغلب على الإنسان.

في العام 1997 ضجت وسائل الإعلام بعد عرض مقطع فيديو يظهر فيه إنسان آلي "روبوت" هو عبارة عن ذراع ميكانيكية تم ربطها بجهاز كمبيوتر مزود بخوارزميات تغلب فيها على بطل العالم في الشطرنج آنذاك غاري كاسباروف. ومنذ ذلك الحين انصب إهتمام العلماء على الذكاء الصناعي والعمل على تطوير أنظمتهم.

لكن ما قبل الروبوتات كانت شرائح الحاسبات الذكية في سبعينات القرن الماضي، عصر شرائح الكمبيوتر الذكية، اعتبرت عدوة للإنسان. ومع اقتراب الألفية الجديدة، كانت هناك صيغة من الوفاق تتكوّن بين الإنسان والماكينات والتكنولوجيا. ربما يعود ذلك إلى اعتماد الكثير من المشاريع الاقتصادية الضخمة على التقنيات الحديثة، بالإضافة لارتباط الناس بالتكنولوجيا عبر الإنترنت<sup>(1)</sup>.

إلا إن ما يعكر صفو الإستمتاع بما حققه الإنسان من رقي وتسام، هي شراهة من بيده السلطة على هذه الآلة، الأداة لجني المزيد من الأرباح والمكاسب بلا حدود. فباتت تأتي على حساب حرية الإنسان الشخصية، حتى بدا عارياً أمام هائلتها التي باتت تتدخل في خصوصيته وتسلب إرادته، بل تحول بسبب

التعريف بجوهر المشكلة تدور حول ما يعرف بمفهوم "ما بعد الإنسان" أو "ما بعد الإنسانية" الذي يسوق على انه مشروع علمي حضاري جديد يهدف الى تطوير قدرات الانسان على كافة الأصعدة ولكن بطريقة تجعله معتمدا على منتجات الذكاء الاصطناعي والتطور الرقمي ومشتقاتهما.

ومن ضمن التأثيرات التي حركت الأفكار والتصورات والتساؤلات حول مستقبل البشرية، هو ان التطور التكنولوجي الذي توصلت إليه البشرية وما قدمه للإنسان من إنجازات هائلة، جاء أيضاً بادوات من شأنها أن تغير من تكوينه وطبيعته البيولوجية بل وإعادة صياغته باستخدام الأدوات التقنية الحديثة.

ولعل الانسان الآلي "الروبوت"، الشبيه بالانسان الأصل، الانسان الحالي المكون من دم ولحم، هناك طروحات حول تعديله ليصبح مركباً من أعضاء صناعية، تحل محل تلك المعطلة، وبشرية سليمة لكنها يمكن ان تزود ببطاقات ومجسات حسية وممارسات فكرية ونفسية خارقة كذلك التي نراها في عالم روايات الخيال العلمي، وما بعد حداثة الخيال العلمي، لا سيما في وسائل «الكوميك» كتبها ومجلاتها وأفلامها السينمائية، وبقصص الأبطال الخارقين، أمثال «كابتن أمريكا» وعديد من أفلام وكتب الاطفال والناشئة، مثل سلسلة كتب كيف "تصبح بطلاً خارقاً" (3) وغيرها، حيث أن ابطالها أناس يتمتعون بقدرات خارقة أو مُعدّلون وراثياً فباتوا خارقين ولديهم ميزات غير مألوفة لا يتمتع بها الإنسان الطبيعي "العادي". هذه الأفكار على ما يبدو قد ترجمت تجلياتها من مخيلة الانسان وأفكاره وتصوراتهِ وابداعاتهِ الخلاقة

ذلك الى رقم من الارقام أو سلعة تجارية تتحكم بها أسواق البورصة التي تديرها سلطات وشركات عملاقة في هذا الزمن الغريب، في هضاب ووديان العولمة. كما هو جار الآن! وبقدر ما قدمت التكنولوجيا الحديثة والرقميات خدمات جليلة للإنسان، بقدر ما فقد هو جزءاً كبيراً من حريته واختياراته. فالقائمون على هذه التقنية يتعاملون مع الانسان كعنصر مادي، متجاهلين اعتباره كياناً ذا دلالات حسية وروحية وعقلية، ميزته عن باقي الكائنات. بل والأدهى من ذلك هو فقدانه هويته الشخصية بانصهارها في الكتلة الجماهيرية. كما يقول ملك الفيسبوك (مارك زوكربيرغ) معلقاً على استطلاع جرى مؤخراً لجيل الالفية حول العالم عما يحدد هويتهم، بأن الجواب الأكثر شعبية لم يكن الانتماء العرقي او الديني او الوطني، بل هي "مواطنته العالمية". "أن هذا شيء عظيم" (2).

ومما يبعث على الدهشة أن الآلة الجديدة لها فعل السحر والغواية على الانسان، فبات منصاعاً إليها بحض ارادته. ولا يريد، برغم كل شيء، الفكك منها، ليس لكونه مستفيداً منها وتطبع عليها فحسب، بل واصبحت ما يطلق عليها التقنية الرقمية، فعلا، العالم الذي يعيش فيه. فلا عودة الى الوراء، بل تسارع الى الأمام للحاق بها دون هودة. ولكن يظل التساؤل فاعراً فاه: الى أين، والى أي مدى سيوصلنا هذا اللهاث؟

هذا التساؤل ليس وحيدا في الساحة، وانما له تفرعات شتى تفرز انزيم التساؤلات الممزوجة بالقلق عما سيأتي به المستقبل. فقد بات الأمر يلامس الوجود الإنساني برمته، بكل ما يحمله من أسس بلورت تكوين الانسان وطبيعته وصفاته. وهذه النقاشات التي تحاول

الى الواقع الحياتي اليومي. وبهذا يعتقد اللاعبون في هذا الميدان بأن الانسان سيطور من قدراته البيولوجية والنفسية والفكرية بأدوات التقنية الحديثة المستخدمة في الذكاء الصناعي والتقنية الرقمية. ومن هذه الزاوية الثلاثية الابعاد، سيصبح الانسان كيانا عابرا، الى ما بعده. كيف؟ وماذا بشأن الانسانية؟ التي ارتبطت كمفهوم فلسفي ورؤية قيمة عالية للإنسان إكتسبها من مجهوده العقلي والنظري والملموس، الذي يؤكد على كيانه بوصفه أئمن رأسمال في الوجود، حسب كارل ماركس.

### التطور العلمي والتكنولوجي سلاح ذو حدين

لن نأتي بجديد لو قلنا ان المبتكرات والمخترعات التي توصل إليها الإنسان، على مر العصور بالإمكان أن تكون سلاحاً ذا حدين. وأكثر مثال ساطع على هذا هو الديناميت، الذي اعتبر أحد أهم الاختراعات في عصر الثورة الصناعية الأولى.

كان عبقري زمانه ألفرد نوبل منزعجاً جداً وشعر بالغبين حتى أنه دخل في حالة من الكآبة، حين وصفته الصحف الصادرة في أوروبا، بـ "تاجر الموت"، ذلك لأن اختراعه الديناميت الذي استفادت منه البشرية في تفجير الجبال وشق الطرق وبناء المدن وفتح مجالات التواصل بين الشعوب، تم استخدامه في الحروب، خاصة تلك التي استعر أوارها بين ألمانيا وفرنسا بين عامي 1870 – 1871 مخلفة وراءها الموت والدمار، الأمر الذي استفز نوبل ودفع به ليكون ليس داعية سلام، فحسب، بل ومساهما كبيرا في الأنشطة الهادفة لتحقيق السلام. فخصص جزءاً من ثروته

جوائز ينالها، منذ بداية القرن الماضي وفي كل عام، ناشطون في قضايا السلام العالمي، وميدعون في مجالات العلوم والآداب ومن جميع انحاء العالم<sup>(4)</sup>.

من دون شك أن مثال نوبل يأتي في ذات السياق الذي يسوغه لنا تطور العلوم والتكنولوجيا والإنجازات المتحققة فيها. فكل منجز علمي جديد على الصعيد الكوني ينظر له بعين الشك، في ان يكون سلاحا ذا حدين. العلم بحد ذاته محايد من الناحية الاخلاقية، ولكنه سيصبح خيراً أو شراً عند تطبيقه<sup>(5)</sup>، كما هو شأن الكثير من الاشياء في الوجود. الأمر يعتمد على طبيعة وغايات من يمسك بخيوط اللعبة ويملك وسائل هذا التطور والغاية منه.

التكنولوجيا الحديثة المتقدمة التي توصلت إليها البشرية بعد تراكم خبرات الانسان، عبر عصور مختلفة، وتطورت وما تزال من أجل سعادته ولتسهيل أمور الحياة أمامه، بلغت في عصرنا الراهن مديات واسعة سريعة الإيقاع في عملية الإنجازات العلمية المتقدمة، التي أسهمت في تنشيط فكرة مفادها أن التطور التكنولوجي الذي دخل جسم الانسان، من خلال العمليات اللازمة لحياته، كالتدخلات الجراحية والأدوية وزرع الأعضاء والتعديلات الجينية التي تعتمد على التكنولوجيا النانوية، بالإمكان إجراؤها على الأشخاص الأصحاء لتعزيز قدراتهم وتوسيعها، الأمر الذي من شأنه ان يغير من بنية الانسان البيولوجية. ومن هنا تصاعد النقاش حول احتمالية تجاوز الانسان الحالي الى ما بعده، ما بعد الإنسانية، مشروعا يسعى إليه البعض من اجل تحقيقه اعتمادا على التكنولوجيا المتطورة والذكاء الاصطناعي. بمعنى آخر فأن مفهوم الإنسان

أن التخوف من حصول عكس السائد العام لهذا المفهوم، الذي يصرح مناصروه بكونه مشروعاً علمياً جديداً، يهدف إلى تطوير مجال قدرات الإنسان البيولوجية والعقلية والنفسية وتوسيعها، وليس كما يتخوف البعض أن يغدو هذا التطوير شكلاً من أشكال الاذلال للإنسان، "وهذا يعني اننا نلحق الضرر بأنفسنا" (8)، يقول الفيلسوف السويدي نك بوستروم، احد اهم المتحمسين لفكرة ما بعد الانسانية معلقاً على مخاوف المعارضين لمفهوم ما بعد الإنسانية. ويضيف أن ثمة أمراً آخر يطرحه المرتابون من هذه الفكرة، هو أن ما بعد الانسانية يمكن أن يشكل تهديداً للإنسان "العادي" (كما يمكنني اضافة سبب ثالث محتمل لهذا التخوف، هو ان تطور مفهوم ما بعد الانسانية يمكن ان يهين كائننا خارقاً للطبيعة) (9). يقول بوستروم، وهو في هذا يجادل الباحث الامريكي ليون كاس، الذي لا يعارض التكنولوجيا في مجال البيوتكنيك بل يرحب بها لوعدها في معالجة الامراض، وتخفيف المعاناة، واستعادة الصحة والكمال، لكنه قلق بشأن استخدامها لتوسيع القدرة البشرية الفاتكة للعادة، مما يتجاوز النمط الطبيعي الذي يسميه "التصرف التكنولوجي" (10)، الذي سيغير معنى وشخصية الحياة البشرية. ويحاول نك بوستروم تطمين ليون كاس بأن "لما بعد انسانيين" يحاربون "افرازات الطبيعة" والتي احياناً تكون مسمومة، وليس دائماً مقبولة. ويعدد سلسلة من هذه التي يسميها الهبات الفاسدة للطبيعة كالسرطان والمالاريا والخرف، والجوع والعذابات غير الضرورية (11).

رغبة الإنسان في اكتساب قدرات جديدة، قديمة قدم جنسنا البشري نفسه، يقول

والسياقات التي غدت صيرورته ومازجت فيه النزعة الإنسانية ودعاماتها الفلسفية، في إطارها الحدائثي الذي يشمل أيضاً مفهومي التنوير والنهضة، وكل الأسس التي جعلت الإنسان محور التطور التاريخي باعتباره سيد الطبيعة ومالكها، حسب رينيه ديكارت. لذا يجري التأكيد على أهمية الإنسان وإبعاد كل ما من شأنه أن يضعف من إنسانيته ويقلل من قيمه العليا بإخضاعه لقوى الطبيعة الخارقة، أو بتشويبه من خلال استعماله بطريقة دونية، دون طبيعته البشرية (6).

لكن ماذا يقصد بـ"ما بعد الانسان"، او "ما بعد الإنسانية"؟

ما بعد الإنسانية او: Posthumanism وما بعد الإنسان: Post-human هو مصطلح يحمل معاني متعددة، نظراً لشموليته وارتباطه بماهية الوجود. وهو اطروحة تنظر الى الفلسفة الانسانية التقليدية نظرة مغايرة لما تحمله من افكار وعادات بشرية. وهو فرع من نظرية ثقافية تنتقد الافتراضات الانسانية وارثها وفق المفاهيم التاريخية والطبيعة البشرية، بل ويشكل تجاوزاً لها ارتباطاً بالنمو المتواصل وباضطراد وغير الطبيعي للتكنولوجيا الحديثة، التي تحمل في طياتها ادوات إطالة امد الحياة، ليس من خلال تعزيز القدرات الجسدية والفكرية والنفسية، لدى الانسان فحسب، وانما استبدال هذه القدرات بزكاء اصطناعي عام، كما يطرح بعض الفلاسفة (7).

لكن هذا الذكاء الاصطناعي قد يشكل الأداة التي بمستطاعها السيطرة على الإنسان، بسلب ارادته وجعل وجوده معتمدا عليها. وهذا يشكل جانباً من التشكيك في الغاية وراء طرح هذا المفهوم، كما يذهب بعض المتصدين الى اطروحة ما بعد الانسانية. بل

بوستروم، لقد سعينا دائماً إلى توسيع حدود وجودنا، سواء كان ذلك اجتماعياً أو جغرافياً أو عقلياً. هناك ميل لدى بعض الأفراد على الأقل، دائماً للبحث عن طريقة للتغلب على كل عقبة وقيود أمام حياته وسعادته.

ويربط بوستروم مفهوم ما بعد الانسان بفكرة الخلود، التي تعود جذورها الى عصور ما قبل التاريخ. ولدعم هذه الفكرة يستحضر ملحمة جلجامش، بوصفها أولى الروايات المكتوبة التي سطرها البطل السومري ملك مدينة اوروك حوالي 1700 قبل الميلاد، وانطلق من خلالها في مهمة البحث عن الخلود. يعلم جلجامش أن هناك وسيلة طبيعية - عشبة تنمو في قاع البحر. نجح في استعادة هذه العشبة، لكن أفعى تسرقها منه قبل أن يتمكن من أكلها (12). هذا على صعيد الاساطير، حيث الوسيلة كانت السحر الذي يقابله هنا العلم والتكنولوجيا التي جاء بها القرن الثامن عشر، الذي دشن فيه الثورة الصناعية الأولى في بريطانيا العام 1760، حينما اخترع المحرك البخاري على يد الاسكتلندي جيمس واط، الذي جاء تتويجا لمحاولات أخرى كاختراع مضخة المكبس التي اخترعها العالم العربي بديع الزمان الجزري (13) علما انه عاش خلال الفترة (1136 - 1206).

وكان لذلك الاختراع دور كبير في تطوير الصناعة، حيث استخدم المحرك البخاري في تسيير السفن والقطارات، وفي صناعات النسيج والحديد والصلب... الخ. ثم الثورة الصناعية الثانية التي بدأت منذ نهاية القرن الماضي، باختراع محرك الاحتراق الداخلي، الذي استخدم في تصنيع الصلب، واكتشاف النفط. وتوصل توماس

ايديسون الى اكتشاف الكهرباء وظهر الهاتف وصناعة السيارات.. الخ، الامر الذي مهد الطريق للثورة الصناعية الثالثة التي انطلقت في العام 1960 مع الحاسوب الذي مرّ بأجيال مختلفة والروبوتات التي توسعت تصاميمها واستخداماتها في كافة المجالات من تجارية الى مساعدات إنسانية في الطبابة وغيرها. كما شكل استخدام التكنولوجيا الرقمية قفزة نوعية كبيرة سهلت من حفظ ونقل المعلومات والبيانات ومختلف ميادين التوثيق في مدة زمنية لا تذكر، فضلا عن أمانها وسريتها التامة اذ ان المعلومات الرقمية من نصوص وصور وغيرها تحفظ مشفرة، فأسهمت بقيام الثورة الصناعية الرابعة التي انطلقت مع بداية الالفية الثالثة واتسمت، الى جانب الرقميات، بالذكاء الاصطناعي والانترنيت والتقدم في مجال الهندسة الوراثية.

هذه الثورة مختلفة عن الثورات الصناعية الأخرى، اذ غيرت وبشكل جذري طبيعة علاقة الإنسان بالآلة. وتتميز هذه الثورة حسب الفيلسوف الفرنسي لوك فيري، التي يسميها الثورة التقنية الثالثة، بالنقلة النوعية من الطب العلاجي السائد إلى نمط آخر من الطب يهدف إلى تقوية الإمكانات والوظائف الجسمية وليس مجرد إصلاحها، وانما إلى "تحسين النوع" من خلال التحكم بالرصيد الجيني والهندسة الجينية الدقيقة. وبالتالي القضاء على الشيخوخة بزيادة سنوات العمر (14).

لوك فيري يرى أن النزوع نحو "ما بعد الإنسانية" يطرح مشكلة على نحو خاص. فهذا تيار فكري فلسفي وعلمي يأتي من الولايات المتحدة، وأوروبا لم تتعرّف عليه

البشريّ“. ويضرب مثلاً على ذلك: لدينا اليوم مرض التهاب الشبكية الصباغي الذي يسبب العمى، وهناك شركة ألمانية اخترعت شريحة تم زرعها خلف الشبكية فتم إعادة البصر، أن هذا ما يشبه السحر.

تخيل أن هذه الشريحة تطوّرت في المُستقبل حتى أصبحت تستعمل لحدة النظر، بما يشبه بصر النسور، هذا سيدفع الجيوش الى التسابق في ما بينها في تكوين كتائب من الجنود الذين لهم حدة بصر النسور. وإذا قامت إحدى الأسر بتزويد طفلها بمثل هذه الأداة، فهناك احتمال كبير أن الأسرة المُجاورة ستترغب هي الأخرى في فعل الشيء نفسه. اننا لم نصل الى هذا بعد ولكننا قريبون منه“(15).

بعد بشكلٍ جيّد. فبفضل التمويلات الضخمة التي تمنحها العديد من الجهات من ضمنها شركة ”جوجل“، والتي تعدُّ بمليارات الدولارات، اتخذ هذا التيار أهميّة كبرى على الضفة الأخرى من المُحيط الأطلسي، وحرّرت حوله آلاف الإصدارات وأقيمت له العديد من الحلقات الدراسية، كما دارت بشأنه مناقشات ساخنة بين كبار المُفكرين أمثال فرانسيس فوكوياما، ميكائيل سانديل أو بورغن ها برماس.

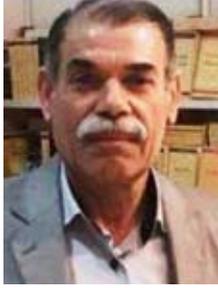
وعن سؤال حول إمكانية أن يشكل هذا تهديداً للبشريّة يرى الفيلسوف الفرنسي لوك فيري، أن الخطر يكمن في المنافسة بين الأمم والجيوش، ثمّ بين الأسر، ”وهي منافسة قد تقودنا عن غير قصد إلى تغيير الجنس

#### الهوامش:

- 1- انظر: <https://manshooor.com/society/is-technology-friend-or-enemy>
- 2- فيديو وثائقي في اليوتيوب بعنوان ”ما بعد الإنسانية“، الجزء الأول. 19 مارس 2020
- 3- سلسلة من الكتب – ستة أجزاء، للأحداث نقلها من اللغة السويدية طالب عبد الأمير، إصدار دار المنى، ستوكهولم بين عامي 2017 و 2022
- 4- طالب عبد الأمير، نوبل ومثالية الأدب“ دار اوروك ميديا 2017 ستوكهولم.
- 5- الدوس هسكلي، النصوص والحجج، 1974، لندن، شاتو ويندس.
- 6- مصطفى كحيل، تحولات مفهوم الانسان في فلسفة الحداثة وفلسفة ما بعد الحداثة، مأخوذ من موسوعة لاند الفلسفية لالاند أندري، منشورات عويدات، الطبعة 1 بيروت 1996.
- 7- Francesca Ferrand ·<https://www.existenz.us/volumes/Vol.8-2Ferrando.pdf>
- 8- <https://www.nickbostrom.com/ethics/dignity.html>
- 9- (9) نك بوستروم نفس المصدر السابق
- 10- L. Kass. Ageless Bodies, Happy Souls: Biotechnology and the Pursuit of Perfection. The New Atlantis 2003; 1.
- 11- نك بوستروم نفس المصدر
- 12- Nick Bostrom Faculty of Philosophy, Oxford University [www.nickbostrom.com](http://www.nickbostrom.com)
- 13- (2005) Originally published in Journal of Evolution and Technology - Vol. 14 Issue 1 - April 2005; <https://www.aljazeera.net/news/hijri/2013/11/17/>
- 14- «Luc Ferry: «Nous vivons une troisième révolution industrielle, «Presse littéraire»,nr 13, العدد 13. 31- 30 p
- 15- فيري لوك في مقابلة معه منشورة على اليوتيوب بعنوان ”ما بعد الإنسانية الجزء الثاني“ ترجمة حسن سليم. إنظر كذلك مجلة ”الدوحة“ على الانترنت / <https://www.dohamagazine.qa>

# دلالات مفهوم الانتلجنسيا بين الأصل الغربي والانتحال العربي

ثامر عباس



”حيثما نبحث عن الانتلجنسيا لا نجد إلا  
المتقفين“ - د . الطاهر لبيب (1)

بداية تنطلق هذه الدراسة من فرضية انه ليس هناك من (تطابق) أو (توافق) يجمع ما بين مصطلح (الانتلجنسيا) كما نشأ وتبلور ضمن سياقات المجتمعات الغربية - روسيا تحديداً- وبين ذات المصطلح كما جرى تبنيه وشاع استعماله في الدراسات الأكاديمية والخطابات الإيديولوجية الخاصة بالمجتمعات الشرقية، ليس فقط لاختلاف الأمكنة التي انبثق عنها والأزمنة التي ظهر فيها فحسب، وإنما لاختلاف المعطيات وتباين السياقات وتنوع الثقافات التي ساقته الفكر/ الوعي لنحت وبلورة مثل هذا المصطلح/المفهوم كذلك. ولهذا نعتقد إن الباحث العراقي (عقيل الناصري) يجانب الصواب حين يستنتج إن ”ظروف نشأتها في العراق هي قريبة، إلى حد ما، على نشأتها في روسيا، حيث كان نظام العبودية له السيادة في الريف الروسي ولغاية إلغائه قانوني عام 1863، والتطور الرأسمالي متأخر نتيجة ضعف قوى الإنتاج وسيادة تعددية للأنماط الاقتصادية لغاية ثورة أكتوبر. وهكذا كان الحال بالعراق

في المرحلة العثمانية، إذ تشكلت هذه الفئة في ظروف مشابهة للظرف الروسي، إن لم يكن الأسوأ، حيث سيادة النزعة الدينية المحافظة بمؤسساتها التقليدية وعدم تطور القوى المنتجة، وسيادة العلاقات ما قبل الرأسمالية وبخاصة المشاعية الريفية. هذه الظروف أثرت بقوة على سياق تطور فئة الانتلجنسيا وتبلورها<sup>(2)</sup>. هذا وقد كان الباحث الفلسطيني (ناجي علوش) قد تنبّه لهذا الأمر وأشار إليه بالقول: ”إن المثقف من وجهة نظرنا واحد مما يسمى (الانتلجنسيا) يملك قدراً من الثقافة التي تؤهله لقدر من النظرة الشمولية، وقدراً من الالتزام الفكري والسياسي. ولكن هذا التعريف يضعنا أمام إشكال، لأن الانتلجنسيا لم تتكون في وطننا، كما تكونت في روسيا أو أوروبا. فلم يحدث عندنا عصر تنوير، ولا عصر ثورة علمية،

ولا ثورة برجوازية تحريرية على الإقطاع والكنيسة. وكل ما حدث عندنا، منذ الحملة الفرنسية 1789م وحتى الآن، لا يدعو أن يكون اتجاهها "إصلاحياً" توفيقياً"، استند إلى التراث حيناً"، وإلى الثقافة الأوروبية حيناً"، وإلى الاثنين معاً" في بعض الأحيان، وانعكس هذا في الثقافة ضعيفاً مهزوزاً، وولد مدارس فكرية وسياسية مقلدة. وعليه، فنحن هنا أمام مفهوم للانجلجنسيا لا ينسجم تماماً مع المفهوم الأوروبي المعروف<sup>(3)</sup>. هذا بينما أشار عالم الاجتماع (الطاهر لبيب) إلى إن مفهوم "الانجلجنسيا ليس أكثر غرابة من صيغ الإيديولوجي والديمقراطي والليبرالي والامبريالي وغير ذلك مما دخل في الاستعمال العربي"<sup>(4)</sup>.

ولتبرير مثل هذا الافتراض فإن الضرورة المعرفية والمنهجية تحتم علينا استعراض معنى ذلك المصطلح وإظهار دلالاته من جهة، وبيان الفوارق الجوهرية التي تفصل ما بين طبيعة وخصائص الجماعة التي يخصصها ويعنيها في بيئة المرجع/الأصل، وبين طبيعة وخصائص الجماعة/الجماعات التي تتطفل عليه وتسمى باسمه في بيئة التراجع/الانتحال من جهة أخرى. حيث إن "الاستخدام الأصلي للمفهوم يختلف عن استخدامه في السياق البولندي والروسي أوائل القرن التاسع عشر، حيث تختلف الانجلجنسيا في كلا البلدين، بوصفها فئة اجتماعية، بفعل ظروف تاريخية واضحة. فالانجلجنسيا الروسية، التي تشكلت من عناصر تنتمي إلى الطبقات الإقطاعية التي كانت قائمة في روسيا خلال القرن التاسع عشر، كانت تقع في البداية على تخوم طبقتي الأوتوقراطية القيصرية وجماهير الفلاحي.

غير أن عمليات إدماجهم قد استعارت بعض شوائل وعادات الطبقة الارستقراطية الإقطاعية المتوسطة، ثم أضافت إليها فيما بعد رخصة المؤهلات التعليمية، التي حلت محل المؤهلات العسكرية وغيرها من المؤهلات"<sup>(5)</sup>.

ولكن مع ذلك، فإنه إذا ما تصفحنا ودققنا في العديد من المصادر والمراجع الطافحة بمواضيع الثقافة وقضايا المتقف، سلاحظ إن الغالبية العظمى من أصحابها تعتمد تلقائياً إلى مطابقة/مماهة مفاهيم/مصطلحات ثلاث، ليس من الحكمة إهمال أو تجاهل ما بينها من اختلافات وتباينات لمجرد إن مصادرها اللغوية والاصطلاحية متشابهة مثل: (المتقفين Intellectuals)، و(الانجلجنسيا Intelligentsia)، و(الخبذة Elite)، بحيث يبدو إن الحديث أو النقاش الذي يدور حول الشريحة الأولى ينسحب بالتبعية إلى الثانية أو الثالثة وبالعكس. ولعل المفكر السوري (برهان غليون) يجسد وجهة النظر هذه بكل وضوح حين أشار إلى إن "ما نطلق عليه اسم المتقفين اليوم في العالم العربي (...). هو ما يتفق ومفهوم الانجلجنسيا الكلاسيكي"<sup>(6)</sup>. لا بل إن هناك من اعتبر هذا المفهوم (الانجلجنسيا) هو بمثابة حاضنة تضم بين جنباتها كل من يمارس نشاطاً ذهنياً أو ينتمي لمؤسسة ثقافية، حيث ذهب الأستاذ بمعهد العلوم الاجتماعية-جامعة وهران بالجزائر الدكتور (عليوش كربوعا كمال) إلى الاعتقاد بأن "الانجلجنسيا هي كلية أو مجموع المتقفين كمنتجين للقيم الثقافية (علمية وفكرية وأدبية وفنية)، والقيم الإيديولوجية (رؤى ويوتنبيات ومخططات تفكير وموديلات سلوك ومشروعات تغيير)،

وتجسيدات وتحقيقات هذه العلاقات في بنايات مادية-ثقافية ومؤسسات إيديولوجية (مراكز بحث علمي، جامعات، مجلات ودور نشر، اتحادات وجمعيات ثقافية، ومؤسسات ثقافية وإيديولوجية كالصحافة والوسائل السمعية والبصرية. أي ما يمكن تسميته ب (بنية تحتية) ثقافية أو (صناعة ثقافية)»<sup>(7)</sup>.

وليس بعيداً عن هذا الرأي ما ذهب إليه أستاذ الأناسة والاجتماع الديني في كلية الآداب-جامعة بغداد (علاء جواد كاظم) حين عدّ الانتلجنسيا "فئة اجتماعية تتباين في انتمائها الطبقي والإيديولوجي وتتميز بأنها الأكثر ارتباطاً بالعقل وعالم الأفكار والتجريد، ما يجعلها تفقز علي المجتمع في أغلب الأحوال، وتساهم فعليا في عملية إنتاج (منظومة تصورات) إيديولوجية أو بلورتها أو صياغتها أو توزيعها، وتمارس دوراً أساسياً في عملية التحويل الاجتماعي" <sup>(8)</sup>. هذا من جانب، ولكن من جانب ثان نجد إن بعض المؤلفين كان أشد حرصاً وأكثر تحفظاً حيال التمييز بين دلالات تلك المفاهيم والمصطلحات. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أشار العالم الاجتماعي البريطاني (توم بوتومور) إلى ضرورة أن " نبدأ بالتمييز بين المثقفين و(الانتلجنسيا). وقد استخدم المصطلح الأخير لأول مرة في روسيا خلال القرن التاسع عشر للإشارة إلى الذين تلقوا تعليماً جامعياً يؤهلهم للاشتغال بالمهن الفنية العليا، ثم اتسع مدلوله بعد ذلك حينما استخدمه عدد من الكتاب لكي يشمل كل أولئك الذين ينخرطون في مهن غير يدوية، وهو بهذا المعنى يعادل (الطبقة المتوسطة الجديدة)، التي نستطيع داخلها أن نميّز بين شرائح

عليا وأخرى دنيا (... ) على إن المثقفين من ناحية أخرى، ينظر إليهم بصفة عامة بوصفهم يشكلون الجماعة الأصغر التي تتألف من أولئك الذين يسهمون مباشرة في ابتكار ونقل ونقد الأفكار. وتضم هذه الفئة المؤلفين، والفنانين، والعلماء، والفلاسفة، والمفكرين، والمتخصصين في النظريات الاجتماعية، والمعلقين السياسيين" <sup>(9)</sup>.

وفي سياق التمييز ما بين هذه المفاهيم الإشكالية والكشف عن طبيعتها واستخلاص دلالاتها، لم يقف طموح الباحث العراقي (حيدر علي محمد) بالإعلان عن شيوع ظاهرة الخلط بين مضامين ودلالات تلك المفاهيم، وبالتالي الإقرار بحقيقة وجود اختلاف وتباين بينها فحسب، وإنما حاول البرهنة على وجود (مفاضلة) إبستمولوجية يمكن ادعائها لصالح مفهوم (المثقف) بالمقارنة مع مفهوم (الانتلجنسي). وهو الأمر الذي أكده بالقول "تختلط في اللغات الأوروبية كلمة (intelligentsia) و (intellectual) في كثير من الكتابات أو أحياناً نرى في كثير من الكتابات العربية هذا الخلط بين الكلمتين: فالانتلجنسيا مدلول تاريخي-اجتماعي محدد يشير إلى المتعلمين تعليماً عالياً يتألف من (الأطباء والمحامين والمهندسين والمعلمين والصحافيين والكتّاب سواء كانوا مشغولين بالفكر أو عدمه وسواء كانت لهم اهتمامات عامة خارج مهنتهم وتخصصاتهم أو لم تكن. باعتقادي إن هناك فعلاً ثمة خلط (إبستمولوجي) بين (i- tellectual) و (intelligentsia) حيث أن الأول لا يشير فقط إلى النشاط الفكري فقط بل أنه يعني أيضاً الخروج على النخبة المتوقعة على مراكز معارفها المختلفة

ذا الاطلاع الواسع، والمجرد عن البعد التاريخي. وهذا عكس الثاني حيث إن ثقافة هذه الشريحة، لا تتقيد بالنظام المعرفي الواحد، ولأنها لا تؤمن إلا بالثقافة التقليدية السائدة التي تتألف من نتف معرفية ومن اختصاصات مختلفة<sup>(10)</sup>.

ومما يضاعف من طابع الغموض الذي يحيط بمفهوم (الانتلجنسي) ويكسبه خاصية الممانعة على التحديد والتعين، كما هو حال نظيره مفهوم (المثقف) ومفهوم (النخبوي) لجهة تنوع معانيه واستشكال دلالاته بالنسبة لمن يتصدى لدراسة الفاعل الثقافي (المثقف)، ومن ثم الكشف عن ماهية الدور المسند إليه والوظيفة المكلف بها. لاسيما وان معناه ودلالاته تختلف من بيئة حضارية لأخرى، ومن سياق تاريخي لأخر، ومن نسق ثقافي لأخر، ومن إطار اجتماعي لأخر كما تفيد معظم الدراسات المهمة بهذا الموضوع. وهو ما أشار إليه عالم الاجتماع البريطاني (توم بوتومور) حين كتب واصفاً طبيعة مفهوم الانتلجنسيا قائلاً "يستخدم مصطلح *intelligentsia* استخدامات متعددة؛ فهو في المجتمعات الغربية يشير إلى صفة داخلية صغيرة تضم الكتاب وذوي الثقافات الراقية، وهي جماعة لها كيانه المستقل، وقد يكون لها أيضاً - في أوقات معينة- بعض التأثير الاجتماعي والسياسي"<sup>(11)</sup>.

هذا في الوقت الذي ميّز فيه المفكر اللبناني (نديم البيطار) بين مفهوم (المثقف) وبين نظيره مفهوم (الانتلجنسي) على أساس الموقف السياسي من السلطة القائمة، واضعاً معيار (النقد) الفكري كشرط أساسي لتحول الأول إلى الثاني. موضحاً "إن

المثقف الذي يهتم فقط بالأفكار والتحليل الفكري والوقائع يكون منظرأً، والذي ينشغل بالأفكار المعيارية والتقييمية يكون أخلاقياً، وهو يصبح جزءاً من الانتلجنسيا عندما يهتم بالنوعين ويوحدهما في نقد يرفض الأوضاع القائمة عن طريق الفكر المنضبط والمنظم. الانتلجنسيا تتميز إذن عن المثقفين الآخرين في كونها، كما يقولون في بعض الأوساط الفكرية الفرنسية، لا تشكل (كلاب حراسة) لهذه الأوضاع، للنظام القائم، لما هو موجود، بل بالأحرى، قوة نضالية في خدمة ما يجب أن يكون"<sup>(12)</sup>. نجد إن هناك من لا يعترف - أصلاً - بوجود من ينطبق عليهم هذا المفهوم ضمن جماعات الفاعلين الاجتماعيين في المجتمعات العربية المعاصرة، فمن خلال استعراضه لآراء ومواقف طائفة من علماء الاجتماع العرب حيال مفهوم الانتلجنسيا وعلاقته بمفهوم المثقف، يستخلص لنا (الطاهر لبيب) زبدة تلك الآراء والمواقف قائلاً: "رأى علماء الاجتماع إن مفهوم (المثقف) قد استهلك بشكل كبير، وأنه أصبح تعبيراً مجازياً ليس له أية فاعلية حقيقية، فعادوا لاستخدام لفظ الانتلجنسيا (...) وحتى خلصوا جميعاً إلى أنه لا وجود للانتلجنسيا العربية إلا أن الجديد في الأمر تمثل في رغبة تناول المثقفين، ليس فقط لأنهم منتجين للخطاب الثقافي، وإنما أيضاً لكونهم فئة اجتماعية على وجه الخصوص، لم يسهم مفهوم الانتلجنسيا في حقيقة الأمر إلا في المضي قدماً نحو هذا الاتجاه، وكل ما عدا هذا كان مجرد تلاعب بالدلالات: فحيثما نبحث عن الانتلجنسيا لا نجد إلا المثقفين"<sup>(13)</sup>.

وإذا ما توخينا الدقة في تشخيص

انخراطه الممارسات المعيشية، واهتمامه بالإيديولوجيات الأصولية دون انغماسه بالثقافات الإنسانية. "فالمثقف - كما يرى المفكر (عبد الله العروي) - الذي ليس على صلة بمجمل مجتمعه، يرى الديالكتيك الاجتماعي من الخارج، أي بصورة تجريدية ويستطيع حينئذ اللجوء، على حدّ سواء، إلى اللغة الفصحى أو إلى لغة أجنبية، بما أنه على كل حال، يخاطب ذاته فقط أو أشقائه الفكريين" (14).

وإذا ما استلزم الأمر على (المثقف) أن يتخذ موقفاً مغايراً لهذه المهام المناقبية، فإنه يتوجب عليه الحذر من الوقوع في مستنقع السياسة وإغراءاتها المميّنة، والابتعاد عن مهلوي السلطة وإغوائاتها المهلكة من جهة، والترفع/التسامي قدر الإمكان عن الانخراط في رذائل التحزب الإيديولوجي والتّمذهب الديني والتعصب القومي من جهة أخرى. إذ ما الجدوى من الأفكار التقدمية التي ينتجها والمعاني الإنسانية التي يصوغها والقيم الأخلاقية التي يتمثلها، طالما ي تكون تعبيراً عن موقف وتجسيداً لسلوك ينم عن الانتماء لمجتمع والولاء لوطن، لاسيما وان وشم الهوية التي يحملها في كينونته سيبقى مديناً لبيئته الثقافية وأصوله التاريخية ومرجعياته الرمزية، حتى ولو حاول طمس معالم تلك الهوية واستئصال جذورها كما يفعل البعض في بعض بلدان الغزبية. وإذا ما توجهنا صوب مفهوم (الانتلجنسي)، فإننا سنواجه بكم هائل ليس فقط من التعاريف والتصانيف التي تكاد تجمعها فكرة أو يوحدتها تصور فحسب، بل وكذلك بحصيلة وافرة من التناقضات والتعارضات التي تعكس تنوع رؤى الباحثين والدارسين الثقافية، وتباين

الفوارق وتحديدي الاختلافات بين مفاهيم كل من (المثقف) و(الانتلجنسي) و(النخبوي)، فالأحرى أولاً أن نفق على ما تشي به معانيها وتفصح عنه دلالاتها بالنسبة للمهتمين بها والمتعاطين معها - كتابة وقراءة - إذ إن هذا المنهج أو المنحى كفيل بإرشادنا إلى الصواب عبر أقصر الطرق وأيسر السبل. وبالاستناد إلى ما تقدم ذكره من معلومات ومؤشرات ومعطيات، فقد تبين لنا إن مفهوم (المثقف) بات يدل على/ يشير إلى ذلك الفاعل الثقافي الذي لا يتسامى فقط فوق مستوى وعي المجتمع الذي ينتمي إليه ويرتبط به، مثلما لا يرضى لنفسه أن يتماهى مع تصوراته الباليه وقيمه التقليدية فحسب، وإنما أوقف كل قدراته وجل طاقاته على إنتاج الأفكار الحديثة، وإبداع النظريات العلمية، واجتراح المنهجيات النقدية، وصياغة المعاني الإنسانية التي من شأنها رفع مستوى الإنسان/المجتمع ثقافياً وأخلاقياً وحضارياً وإنسانياً. أي بمعنى آخر؛ هل يعني إن اقتصار خاصية المثقف على التعاطي الفكري/المعرفي مع الواقع الاجتماعي يمنحه حق النأي بذاته - كفاعل اجتماعي وثقافي- عن القضايا والشؤون العامة، على اعتبار إن فاعليته وبالتالي ضرورته تقترن بالنشاط الفكري/الذهني دون النشاط العملي/الواقعي؟ الجواب على ذلك كلا بالمطلق. إذ لا يجوز له ولا ينبغي عليه التخلي عن مواقفه الوطنية والأخلاقية والإنسانية حيال المسائل التي تهّم المجتمع الذي ولد من رحمته ونشأ في حضنه وترعرع في بيئته، على خلفية زعم اشتغاله بالأفكار المجردة دون الاحتفاء بالوقائع الاجتماعية، وانهماكه بالنظريات الطوباوية دون

كمعادل لمفهوم (المثقفين)، حينما أشار إلى أنه "يجب علينا أن نكون واضحين حول ما نعنيه بالمفكرين. هنا يشير مصطلح (المفكرين) أو (المثقفين) إلى فئة المهنيين، أولئك الذين تتعلق مهنتهم في المقام الأول بالتعامل مع الأفكار، والكتاب والأكاديميين وما شابههم"<sup>(17)</sup>. لا بل إن هناك من الكتاب، ولتخطي حالة الشعور بالحرج الناجمة عن محاولة المماهة والمماثلة ما بين مفاهيم (المثقف) و(الانتلجنسي) و(النخبوي)، عمد إلى استنباط فكرة (المفاضلة) بين تلك الأنماط من الفاعلين الاجتماعيين، ظنا منهم انه لعل وعسى هذه الفكرة قد تجنبهم ذلك الإحراج وتعفيهم من مردود تبعاته.

ولهذا فقد اعتقدوا إن مفهوم (الانتلجنسي) هو أعلى شأنًا وأرفع مقامًا وأكثر قيمة من نظيره (المثقف)، وان هذا الأخير لا يعدو أن يكون مظهرًا واحدًا من مظاهر الأول العديدة وتجليًا واحدًا من تجلياته المتنوعة، وذلك بالاعتماد على ذات الأسباب والمبررات التي يعطونها لكليهما وهي القدرة على إنتاج الأفكار، وابتكار النظريات، واجتراح المنهجيات، وخلق المعاني، وصياغة المفاهيم والمقولات. ولعل الانتروبولوجي الفرنسي (ادغار موران) قد ظن انه حسم هذه الإشكالية حينما ميّز بين المثقفين والانتلجنسيا، على أساس أن المقولة الأولى ناتئة فرنسية، والثانية شمولية روسية. وأكد على إن الانتلجنسيا تعني مجمل المثقفين في وضعية تتميز بجمهرة غير مثقفة، وبسلطة بربرية، بينما المثقفون داخل مجتمع له تناقضات أقل حدة، وتنتشر الثقافة في داخل مجال مهم من المجتمع<sup>(18)</sup>.

منطلقاتهم الفكرية، واختلاف مستوياتهم المعرفية وتعدد خياراتهم المنهجية، لاسيما وان المفهوم المذكور (الانتلجنسي) لا زال محتفظًا بأرومته الروسية/الغربية، إن لجهة المضمون أو المرجع أو السياق أو الوظيفة، بخلاف نظيره مفهوم (المثقف) الذي وجد له في المدونة العربية - الإسلامية معادل موضوعي يوازيه في الدلالة ويساويه في الوظيفة. ولذلك ينقل الأكاديمي المصري (محمد عبد الله عبد العال أحمد) عن هذه الإشكالية قائلًا إن "ثمة صعوبة بالغة في تحديد هويتها - يقصد الانتلجنسيا - وحدود تعاريفها، حتى يكاد لا ينعقد اتفاق دقيق حول معناها. وفي واقعا الراهن شاع استخدام كلمات مثل المثقف والأديب والعالم والمتعلم والفنان للدلالة على المعنى نفسه"<sup>(15)</sup>.

والمفقت للنظر إن هذا التداخل بين المفاهيم والخط بين المصطلحات لم يقتصر فقط على غالبية كتاب المشرق العربي - كما نلاحظه لدى (العروي) و(البيطار) على سبيل المثال لا الحصر - فحسب، وإنما سبقهم إليه وشاطرهم فيه رهط كبير من رموز الفكر الغربي/الأوروبي، كما نقع عليه عند الانتروبولوجي الفرنسي (جيرار ليكلرك) الذي كتب يقول "المثقفون بالمعنى الفرنسي، و(الانتلجنسيا) الروسية، والكلمتان تستخدمان بطريقة شبه متداخلة في إشارة إلى رجال الفكر الذين يكرسون أنفسهم بطريقة شبه محددة وشبه واضحة للأعمال التي تتعلق بمحاضراتهم، فأحيانًا تطلق عليهم اسم المثقفين، وأحيانًا أخرى الانتلجنسيا"<sup>(16)</sup>. هذا في حين استبدل الباحث (توماس سويل) مصطلح (المفكرين) عوضًا عن (الانتلجنسيا)

## الإحالات والملاحظات

- 1- ميشيل بروندينو – الطاهر لبيب (محرران)؛ جرامشي في العالم العربي، ترجمة كامليا صبحي، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2002، ص52.
- 2- عقيل الناصري؛ من تاريخية الانتلجنسيا العراقية، بحث منشور في الموقع الإلكتروني (الحوار المتمدن)، العدد (6731) بتاريخ 13 / 11 / 2020. والغريب في الأمر إن (الناصرى) لا يعدم الإشارة إلى جملة الاختلافات النوعية التي صادفت نشأة الانتلجنسيا في روسيا عنها في العراق قاتلاً "فمن الناحية التاريخية وظروفها المحسوسة، فقد بدأت ملامح تشكّل هذه الفئة الاجتماعية بالعراق في غير الظروف الذاتية والموضوعية التي ظهرت في العالم الرأسمالي الأوروبي، حيث تقسيم العمل الاجتماعي على أهنته، وبخاصة في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر".
- 3- ناجي علوش؛ المثقف العربي والنضال القومي، بحث منشور ضمن (المثقف العربي: دوره وعلاقته بالسلطة والمجتمع، الرباط / المغرب، المجلس القومي للثقافة العربية، 1985، ص159 وص160. من جانبه فقد أشار الأستاذ في جامعة سوق أهراس بالجزائر الدكتور (عبد الوهاب شعلان) إلى عواقب هذه الظاهرة قاتلاً "إننا نعتقد إن إشكالية المرجعيات المستعارة تمثل مازقاً شديداً الطورة في عمل الانتلجنسيا العربية ضمن طموحاتها التنويرية والتغييرية. إن وضع نموذج ثابت وخالص، والعمل على نسخه لا يخلو مخاطر، كما يكشف عن وعي لا تاريخي. فالمجتمعات الغربية تجاوزت عوائقها الداخلية والخارجية وفق سيرورة تاريخية وثقافية خالصة، ليس بالضرورة إعادة إنتاجها في كافة المجتمعات والمراحل التاريخية". راجع كتابه: هواجس النخب العربية وقضاياها الفكرية: الاستشراق-الإصلاح الديني-الانتلجنسيا-اللغة والهوية، القاهرة، مكتبة الآداب، 2013، ط1، ص118 و119.
- 4- الطاهر لبيب؛ العالم والمثقف والانتلجنسي، بحث منشور ضمن العمل الجماعي؛ الثقافة والمثقف في الوطن العربي، مصدر سابق، ص31. من جانبه فقد أشار الباحث التونسي (محمد كرو) موضحاً أن "كلمة انتلجنسيا تعني، لغوياً، الوسط الفكري، وترمز لظاهرة روسية بحثة، تكوّنت بالتحديد حول الأفكار الأساسية التي روج لها الراديكاليون الذين آمنوا بالتطور والديمقراطية. هؤلاء الذين تحدروا من طبقات النبلاء وعلماء الدين والفلاحين والتجار، وتأثروا بالرومنطيقية الألمانية وبالعمدية الفلسفية (و) هي تعني المجتمع الذي يفكر قياساً بجمهرة غير متعلمة وبمجموعات خاضعة لتعليم أمثالي". راجع بحثه الموسوم (المثقفون والمجتمع المدني في تونس)، منشور ضمن نفس المصدر، ص334 - 335.
- 5- جون سكوت وجوردون مارشال؛ موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، ترجمة أحمد زايد وآخرين، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2011، ص210 والتشديد من المؤلف. هذا وقد أضيف إلى ما تقدم فإن "روح الانتلجنسيا ظهرت مركبة: تجمع بين النزعة (القومية) مجدولة مع توجه غربي، ونزعة مضادة للتصنيع مع التركيز على القيم الثقافية والإنسانية)، ونقد الدولة، ومشايعة أسلوب الحياة الخاص بالطبقة الارستقراطية المتوسطة ومعايير النمو السليم لطبقة الانتلجنسيا ذاتها"، نفس المصدر، ص211.
- 6- برهان غليون؛ الانتلجنسيا والسياسة والمجتمع، بحث منشور في مجلة الحكمة الصادرة بتاريخ 9 كانون الثاني 2015، ص17-26. وفي ذات السياق يذهب الباحث المغربي (جميل حمداوي) حين أشار إلى إن المقصود "بالانتلجنسيا طبقة أو فئة اجتماعية تعنى بالإنتاج والإبداع وممارسة الفكر. بمعنى أنها طبقة من المثقفين المتتورين، وتشمل الأساتذة والمبدعين، والمفكرين، والفنانين. وفي القرن الواحد والعشرين، يطلق على النخبة المثقفة الوطنية القريبة من السلطة التي تسير حقلًا علمياً أو أدبياً أو فنياً، ولها دور وساطي وتنويري مهم داخل المجتمع". للمزيد راجع كتابه الموسوم: سوسيولوجيا النخب: النخبة المغربية انموذجاً، مصدر سابق، ص6. وضمن هذا المنحى انظر كذلك الباحثة التونسية (وفاء عالية) في أطروحتها الأكاديمية المقدمة إلى جامعة محمد بوضاف، والموسومة (خطاب المثقف الانتلجنسيا في الرواية العربية – تجربة عبد الرحمن منيف الروائية – انموذجاً- دراسة سوسيولinguistic) حيث لا يرد لديها مفهوم المثقف إلا مقروناً بمفهوم الانتلجنسيا.
- 7- عليوش كربوعا كمال؛ نقاش حول مفهوم الانتلجنسيا والمثقفين، بحث منشور ضمن الدكتور عمار بلحسن؛ انتلجنسيا أم مثقفون في الجزائر، مصدر سابق، ص172. هذا وقد كان عبد الله العروي قد نحى هذا المنحى عبر إشارته إلى إن الانتلجنسيا "تعرف اجتماعياً على النحو التالي: برجوازية صغيرة – بيروقراطية – مختلف الجماعات التي كونتها – مثقفون – مثقفون ثوريون". راجع كتابه: أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخية؟ ترجمة ذوقان قرقوط، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1978، ص165.
- 8- علاء جواد كاظم؛ العقل، الانتلجنسيا، الايديولوجيا: نحو تفكيك سوسيولوجي للبنى الثقافية، المجتمع العراقي نموذجاً، بحث منشور في دورية (اضافات) المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد (7)، صيف 2009، ص75.
- 9- توم بوتومور؛ الصفوة والمجتمع: دراسة فب علم الاجتماع السياسي، سلسلة علم الاجتماع المعاصر(6)، القاهرة،

- دار المعارف، 1988، ص 86 87-. يشاطر هذا الرأي أستاذ علم الاجتماع التربوي (علي أسعد وطفة) حين كتب يقول "يتشاكل مفهوم (الانتلجنسيا) Intelligentsia مع مفهومي (المثقف) من جهة، و(النخبة الثقافية) من جهة أخرى. ويأخذ هذا التشاكل صورته في الاستخدام المتناوب لهذه المفاهيم بدلالة واحدة في كثير من الأحيان، كما يأخذ هذا التشاكل صورة الترادف والتعاقب والاستبدال. ومع الاعتراف بصعوبة الفصل بين مفهوم (الانتلجنسيا) ومفهوم (المثقف) والنخبة الثقافية فإن علينا أن نفصل بينهما ونحدد وشائج العلاقة القائمة بين هذه المفاهيم الثلاثة، لأن مفهوم (الانتلجنسيا) يمتلك خصوصيته التاريخية ويحمل سماته الخاصة في الدلالة والتعبير عن وضعية طبقة من المثقفين نشأت في سياق تاريخي مختلف". للمزيد راجع بحثه الموسوم (المثقف النقدي مفهوماً ودلالة) المنشور في موقع (الحوار المتمدن) ، العدد 4824 بتاريخ 1 / 6 / 2015. هذا وكان المؤرخ العراقي (عقيل الناصري) قد كتب بهذا الشأن قائلاً "لقد مصطلح الانتلجنسيا الغموض لروايجه وكثرة توظيفاته وتباين مدلولاته، خصوصاً أنه يجاور مفهوم المثقف فيغدو (أحياناً) مرادفاً له. ويحاول بعض الكتاب من التمييز بين المثقفين Intellectuals ، والانتلجنسيا Intelligentsia ، ويعززون هذا التفريق إلى أن مصطلح الانتلجنسيا عندما تم استخدامه لأول مرة في روسيا وبولونيا، قصدوا به آنذاك أولئك الذين تلقوا تعليماً جامعياً يؤهلهم للاشتغال بالمهن الفنية العليا. وقد اتسع استخدامه وامتد مدلوله إلى كل الذين ينخرطون في مهن غير يدوية. وأصبح ما يميزه هو المثقف الذي تقتربن همومه بهوم شعبه وعمله الدؤوب إلى التغيير الاقتصادي ليخلق تاريخياً جديداً. أما المثقفون فهم أولئك الذين يسهمون مباشرة في ابتكار الأفكار أو نقدها. وتضم هذه الفئة المؤلفين والعلماء والفلاسفة والمفكرين والمتخصصين في النظريات الاجتماعية والمحللين السياسيين.. والمثقف هو الذي يضع أوسع نظرة لتغيير المجتمع وأشملها وهو الذي يعمل لصالح القطاعات العريضة فيه وهو الذي يتميز بما لديه من قدرة على النقد الاجتماعي والعلمي". راجع بحثه الموسوم: في تاريخية الانتلجنسيا العراقية، منشور في الموقع الإلكتروني (الحوار المتمدن)، العدد (6731) بتاريخ 13 / 11 / 2020.
- 10- حيدر علي محمد؛ إشكالية المثقف عند غرامشي، أطروحة مقدمة إلى جامعة بغداد كلية الآداب قسم الفلسفة وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الفلسفة، ص 125 و 126. سنشير لاحقاً إلى موقف المفكر السوري (جورج طرابيشي) الذي أشار من خلاله إلى إن (المثقف) يعد طور أولي من أطوار التحول إلى (الانتلجنسي)، وبالتالي فهو يعطي الأولوية لهذا الأخير على الأول. راجع بحثه الموسوم (من المثقفين إلى الانتلجنسيا).
- 11- توم بوتومو؛ الصفوة والمجتمع، مصدر سابق، ص 86 من الهامش.
- 12- الدكتور نديم البيطار؛ المثقفون والثورة، ج 1، الانتلجنسيا كظاهرة تاريخية، مصدر سابق، ص 63.
- 13- ميشيل بروندينو والطاهر لبيب؛ غرامشي في العالم العربي، مصدر سابق، ص 51 52-. وفي مكان آخر اعتبر (لبيب) إن هناك "عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية، حالت دون تطور انتلجنسيا عربية ودون أن تكون لها الأدوار التي أسندتها إلى نفسها". راجع بحث المعنون (العالم والمثقف والانتلجنسي) ضمن العمل الجماعي؛ الثقافة والمثقف في الوطن العربي، سلسلة كتب المستقبل العربي (10)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2002، ص 2، ص 17. وضمن هذا الاتجاه يذهب الباحث العربي (عاطف غصبيات) خلال حديثه عن أزمة المثقفين العرب - دراسة تحليلية، حيث كتب يقول: " ليست هنالك انتلجنسيا في العالم العربي، على الرغم من وجود وفرة من المثقفين العرب. وأقصد بالانتلجنسيا هنا تلك الفئة الاجتماعية المنظمة التي يقوم بين أفرادها نسيج فكري وثقافي يربط فيما بينهم ويساعدهم على صياغة رؤية شمولية لواقع مجتمعهم وطموحاته. فبدلاً من وجود انتلجنسيا عربية كمجموعة مثقفة اجتماعية منظمة ومتجددة في التاريخ والثقافة العربية، توجد في حقيقة الأمر فريديت مثقفة". بحث منشور ضمن سعد الدين إبراهيم (محرر)؛ الانتلجنسيا العربية: المثقفون والسلطة، سلسلة الحوارات العربية (عمان، منتدى الفكر العربي، 1988، ص 170.
- 14- عبد الله العروي؛ الإيديولوجية العربية المعاصرة، ترجمة محمد عيتاني، بيروت، دار الحقيقة، 1970، ص 251.
- 15- محمد عبد الله عبد المال أحمد؛ الانتلجنسيا القلقة: حالة المثقف العربي في مرحلة ما بعد الكولونيالية، بحث منشور في مجلة الاستغراب، العدد صيف 2018، ص 111 122-.
- 16- جيرار ليكلارك؛ سوسولوجيا المثقفين، مصدر سابق، ص 51.
- 17- توماس سويل؛ المثقفون والمجتمع: أنماط المثقفين العامة وأثرها في حياة الشعوب، مصدر سابق، ص 20.
- 18- محمد كرو؛ المثقفون والمجتمع المدني في تونس، بحث منشور ضمن العمل الجماعي؛ الثقافة والمثقف في الوطن العربي، مصدر سابق، ص 335.

# نحو أنظمة غذائية مستدامة

د. حميد علي هدوان

مدير عام وقاية المزروعات السابق - وزارة الزراعة العراقية

## مقدمة

إنّ شبكات الأنظمة الغذائية في الكثير من دول العالم اللازمة لإنتاج ونقل وخرن الأغذية وضمان وصولها للمستهلكين؛ لا تلبّي احتياجات قطاعات كبيرة من المجتمعات، وعليه فإنّ تحسين أداء الأنظمة الغذائية صار امراً ضرورياً، خصوصاً وان عدد سكان العالم وصل الى أكثر من 7 مليارات نسمة. ان هذه المادة تتناول النشاطات والحوارات واسعة النطاق للأمم المتحدة في عام 2020.

وقد أظهرت جائحة كوفيد - 19 اوجه الضعف وهشاشة النظام الغذائي العالمي وعدم المساواة في النظم الغذائية. حيث تشير الإحصاءات الى أن ما يقرب من 811 مليون شخص يعانون الجوع المزمن حول العالم. ثم جاءت الحرب الأوكرانية الروسية لتفاقم الازمة. خصوصاً اذا ما علمنا ان ثلث انتاج الحبوب عالمياً من هذين البلدين.

تبنت الامم المتحدة برنامجاً عالمياً ضخماً يشمل جميع دول العالم للفترة من عام 2020 الى 2030. وقد تخلل ذلك العديد من الاجتماعات وورش العمل منها المؤتمر الدولي قبل القمة في مقر الفاو في روما ما بين 26 - 28 تموز من عام 2021 ومؤتمر القمة في نيويورك ما بين 23 24- ايلول.

## مفاهيم عامة

يشير مصطلح النظم الغذائية إلى كل من له دور - سواء أشخاص أو عمليات - في زراعة الغذاء أو تربيته أو صناعته مروراً باستهلاكه والتخلص من نفاياته. بدايةً من المزارعين مروراً بحاصدي الثمار والفواكه ووصولاً إلى الصرافين.

اما الزراعة المستدامة فهي نظام يضم أنشطة تتعلق بإنتاج الحيوان وزراعة النباتات معاً في مكان محدد، سيستمر على المدى الطويل، وتضم تلك الأنشطة تلبية احتياجات الإنسان الأساسية كالطعام وتحسين الظروف البيئية والمصادر الطبيعية التي تعتمد على مقومات الاقتصاد الزراعي للاستفادة بأقصى درجة ممكنة من المصادر غير المتجددة والمحدودة كذلك.

وأخيراً بالنسبة للنظام الغذائي المستدام: فهو منظومة توفر الأمن الغذائي والتغذية للجميع، بطريقة لا تتضرر فيها الأسس الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لتوليد الأمن الغذائي والتغذية للأجيال القادمة.

## حوارات نظم الأغذية في العالم حتى

### نهاية 2021

جرت حوارات في جميع دول العالم منذ بداية 2020 حتى 2021 شارك فيه الاف

4. الترويج لخطاب يضع النظم الغذائية في قلب الجهود العالمية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، مع مشاركة افتراضية واسعة النطاق وحملة دعوة منسقة واتصالات في جميع مناطق العالم.

5. تعزيز الشعور بالانتماء إلى المجتمع من خلال الجمع بين البلدان وأصحاب المصلحة.

6. حشد الاستثمارات العامة والخاصة لدفع تحول النظم الغذائية.

### تكامل النظم الغذائية والأمن الغذائي

تشمل النظم الغذائية جميع الجهات الفاعلة والأنشطة ذات القيمة المضافة المترابطة التي تشارك في إنتاج الغذاء. والبيئات المجتمعية والطبيعية التي يشكلون جزءاً لا يتجزأ منها مثل نظام الزراعة، ونظام إدارة النفايات، ونظام إمداد المدخلات، وما إلى ذلك مثل نظام الطاقة، والنظام التجاري، والنظام الصحي، إلخ. ويشمل نتائج الأمن الغذائي لهذه الأنشطة المتعلقة بتوافر الغذاء واستخدامه والوصول إليه، فضلاً عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية وغيرها.

### خطوات تحقيق الزراعة المستدامة في

#### العالم

- تنمية التنوع البيئي والحفاظ على الأنواع البيئية غير الضارة
- الحفاظ على الأرض وجودة التربة
- حُسن إدارة مصادر المياه واستهلاكها.
- تخطيط وابتكار النظم والمجتمعات الريفية الجديدة وتنميتها صحياً واجتماعياً

من المهتمين. اختتمت بمؤتمر قمة في ايلول 2021 لتناول النظم الغذائية وتعقيدها في مختلف انحاء العالم باتجاه تحديد المسارات التي تساهم في تحقيق اهداف التنمية المستدامة. دعيت جميع الدول الى الشروع في سلسلة من الحوارات الرامية الى الجمع بين طائفة واسعة من اصحاب المصلحة والجهات الفاعلة في نظمها الغذائية الوطنية ومعالجة المسائل المعقدة والمثيرة للجدل التي تواجه الحكومات في تعزيز نظام غذائي مستدام. تضمنت برامج الحوارات في العالم 140 منسقا وطنيا، مع انجاز 420 من حوارات الدول الأعضاء المسجلة، وتقديم 420 نموذجاً للتعليقات. وكذلك انجاز 720 حواراً مستقلاً مع تقديم 320 نموذجاً للتعليقات. تم عقد 10 حوارات عالمية وأكثر من 45000 مشارك عبر الحوارات.

### اهداف الحوارات

تسريع تحول النظم الغذائية من اجل:

1. تجميع أفضل الأفكار من جميع هياكل القمة مع تحديد الأولويات واستنباط رؤية مشتركة.
2. تصبح الحوارات بمثابة تعهد للحكومات والشركات والمجتمع المدني واللاعبين الآخرين للإعلان عن التزامات جديدة لدعم تحول النظم الغذائية وتعزيز الحلول المتغيرة للعبة من خلال التعاون بين أصحاب المصلحة المتعددين.
3. إتاحة الفرصة لرؤساء الدول والقادة الآخرين في القطاعين العام والخاص لإبراز وتعزيز التزاماتهم بالعمل، وتحديد لهجة القيادة والطموح الجريء.

## حوارات انظمة الغذاء في العراق

عقد خلال عام 2021، ما مجموعه 8 جلسات حوارية حول النظم الغذائية - أربع ورش عمل وأربعة اجتماعات - بين حزيران وكانون الاول. وقد شاركت في هذه الحوارات وجهات مختلفة: محافظات ووزارات (الزراعة، الموارد المائية، الصناعة، الاتصالات، الصحة، التخطيط، التجارة، التعليم العالي، العمل) وجامعات ومؤسسات عدة. وكذلك ساهمت في اعمالها منظمات مجتمع مدني، والقطاع الخاص والجمعيات الفلاحية والغرف التجارية والمنظمات الدولية، منظمة الأغذية والزراعة، برنامج الأغذية العالمي، مركز التجارة الدولية.

وعلى وجه العموم، كان المشاركون من النخب في جميع انحاء العراق في اختصاصاتهم.

سلطت الحوارات الضوء على جميع التحديات التي يواجهها العراق فيما يتعلق بالنظام الغذائي. وقدم فريق حوارات النظام الغذائي من وزارة الزراعة بالتعاون مع منظمة الأغذية والزراعة وبرنامج الغذاء العالمي العديد من التوصيات/ الحلول التفصيلية في المجالات ذات الصلة مثل المياه، وتغير المناخ، وتسويق الإنتاج، والمحاصيل، والاستهلاك، والنفايات، والتلوث وغيرها. وعلى أهمية دور البحث العلمي في تطوير وتحديث النظم الغذائية أيضاً.

تتطلب قضايا حاسمة أخرى مزيداً من الحوارات، مثل: أزمة المياه، وتغير المناخ، والملوحة، والجفاف، ومكافحة التصحر، وسلامة الغذاء، والهجرة من المناطق الريفية.

- رفع كمية وجودة الإنتاج الزراعي
- حُسن استغلال الأراضي الزراعية
- كفاءة وترشيد استهلاك الطاقة.
- مراعاة التغيرات المناخية.

اما اهداف التنمية المستدامة فهي: (1) القضاء على الفقر، (2) القضاء على الجوع، (3) الصحة الجيدة والرفاهية، (4) التعليم الجيد، (5) المساواة بين الجنسين، (6) المياه النظيفة والصرف الصحي، (7) طاقة نظيفة وبأسعار معقولة، (8) العمل اللائق والنمو الاقتصادي، (9) الصناعة والابتكار والبنية التحتية، (10) الحد من عدم المساواة، (11) المدن والمجتمعات المستدامة، (12) الاستهلاك والإنتاج المسؤولان، (13) العمل المناخي، (14) الحياة تحت الماء، (15) الحياة على الأرض، (16) السلام والعدالة والمؤسسات القوية، (17) شراكات لتحقيق الأهداف.

اما الاولويات فتحدها البلدان.

## اهداف التنمية الزراعية المستدامة في برامج وزارة الزراعة

- (1) الاستخدام المستدام للموارد الطبيعية.
- (2) زيادة الإنتاجية لوحدة الأراضي والمياه.
- (3) رفع درجة الأمن الغذائي للمحاصيل الغذائية الاستراتيجية.
- (4) زيادة القدرة التنافسية للمنتجات الزراعية في الأسواق المحلية والدولية.
- (5) تحسين مناخ الاستثمار الزراعي.
- (6) تحسين مستويات المعيشة لسكان الريف والحد من معدلات الفقر في المناطق الريفية.

## مسارات العمل التي حددتها الأمم المتحدة

- 1: مسار العمل: ضمان الحصول على طعام آمن ومغذي للجميع.
- 2: مسار العمل: التحول إلى أنماط الاستهلاك المستدامة.
- 3: مسار العمل: تعزيز الإنتاج الإيجابي للطبيعة.
- 4: مسار العمل: النهوض بسبل العيش العادلة.
- 5: مسار العمل: بناء المرونة في مواجهة نقاط الضعف والصدمات والتوتر.

## مسار العمل 1

ضمان الحصول على طعام آمن ومغذي للجميع سيعمل هذا المسار على القضاء على الجوع وجميع أشكال سوء التغذية. وكذلك على الحد من انتشار الأمراض غير المعدية، وتمكين جميع الناس من التغذية والصحة. يتطلب هذا الهدف أن يحصل جميع الناس في جميع الأوقات على كميات كافية من المنتجات الغذائية الميسورة التكلفة والأمنة. يعني تحقيق الهدف زيادة توافر الأطعمة المغذية، وجعل الغذاء ميسور التكلفة والحد من عدم المساواة في الحصول على الغذاء، وكما مبين في الجدول ادناه.

(1)	(2)	(3)	(4)
تأمين غذاء صحي وآمن وبأسعار مناسبة في متناول الجميع	كيفية القضاء على الجوع وسوء التغذية	كيفية الحد من الاصابات بالأمراض غير المعدية	الحلول للتحديات التي تواجه مأمونية الغذاء وتوافره
1. الرقابة على واردات وصادرات المواد الغذائية في جميع المانق الحدودية في العراق. 2. تحقيق السلامة الصحية للإرساليات الحيوانية الواردة أو العابرة إلى العراق أو عبره. 3. تأمين الغذاء في العراق من خلال تخصيص أراضٍ للاستثمار من قبل القطاع الخاص وفق عقود انتفاع طويلة الأمد. 4. وضع السياسات الغذائية والخطط التغذوية اللازمة لتنفيذ أنشطة وبرامج النهوض بالوضع التغذوي العراقي.	1. إدراك وجود مشكلة سوء تغذية في العراق. 2. التركيز على توفير ودعم المنتجات المحلية عالية القيمة الغذائية. 3. منع التسويق لمنتجات حليب الأطفال والأغذية غير الصحية عالية السكر والملح والدهون. 4. زيادة توعية المجتمع بأهمية التغذية الصحية وخاصة الأطفال. 5. ضمان توفير الغذاء الصحي لكافة فئات المجتمع. 6. وجود خطة طوارئ لتوفير الغذاء في حالة الجوائح والظروف الاقتصادية الصعبة	1. دعم الحطة الوطنية للوقاية من الأمراض المزمنة ومكافحتها 2. ضمان توفير الأغذية الصحية عالية القيمة 3. فرض ضرائب على الأطعمة ذات المعدلات العالية من السكر والدهون والملح. 4. رفع الدعم الحكومي عن الأطعمة غير الصحية مثل السكر والزيت. 5. نوعية المستهلك بضرر الأطعمة غير الصحية. 6. ابتكار طرق تسويقية جديدة مشجعة لاستهلاك الخضراوات والفواكه.	1. التشجيع على الزراعة ودعم المنتج العراقي والاستثمار في مجال الغذاء 2. تشديد الرقابة على المنتجات الزراعية وتوعية المزارعين بالاستخدام الآمن للمبيدات 3. وضع خطة طوارئ لتأمين للحصول على طعام آمن وصحي 4. تفتين أشكال التسويق للأطعمة غير الصحية 5. فرض الضرائب على الأطعمة غير الصحية

## مسار العمل 2

### التحول إلى أنماط الاستهلاك المستدامة

سيعمل هذا المسار على بناء طلب المستهلكين على الأغذية المنتجة بشكل مستدام، وتعزيز سلاسل القيمة المحلية، وتحسين التغذية، وتشجيع إعادة استخدام الموارد الغذائية وإعادة تدويرها، لا سيما بين الفئات الأكثر ضعفاً. يدرك مسار العمل هذا ان هناك حاجة إلى القضاء على أنماط الإسراف في استهلاك الغذاء؛ كما تدرك الحاجة إلى تسهيل الانتقال في النظم الغذائية نحو أغذية مغذية تتطلب موارد أقل لإنتاجها ونقلها، وكما مبين في الجدول ادناه.

(5)	(4)	(3)	(2)	(1)
توصيات للتحويل إلى أنماط الاستهلاك	اقتراحات للفضاء على الاستهلاك المفرط للأغذية المسمومة	إعادة استخدام الموارد الغذائية وإعادة تدويرها لإنتاج منتجات صحية ومغذية	كيفية إنتاج طعام محلي ذو جودة وقيمة غذائية	تحقيق الاكتفاء الذاتي من أسعار بعض السلع الأساسية
<ol style="list-style-type: none"> <li>1. الأهم استخدام بتقريب نظم الغذائية مع مراعاة الفوائد الغذائية والصحية، وتكيفها مع البيئة القليبية والأراضي والهامة وتغير المناخ</li> <li>2. مراجعة سلاسل القيمة الغذائية في جميع مراحل التحليل ومحاولة البحث عن الحلول المثلى لمعالجتها</li> <li>3. الأهم بصناعة المواد الغذائية</li> <li>4. تغيير أنماط الاستهلاك السائدة وجعلها أكثر جودة واستدامة</li> <li>5. إدارة الموارد الطبيعية لضمان الاستدامة للأجيال القادمة</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. نشر الوعي بين الناس والمجتمع حول أهمية الترشيد في استهلاك الغذاء وتقليل تكبير الإعلانات التجارية.</li> <li>2. الحد من الإفراط في استهلاك المواد الغذائية وتغيير الحاجة الخاصة لكل فرد من أفراد الأسرة.</li> <li>3. شراء الخضراوات والفاكهة الأساسية وبكميات مناسبة.</li> <li>4. الاستفادة من بقايا الطعام وتجنب إهدارها عن طريق قنني مصادر إنشاء بنك لإطعام وإعالة الأسر المحتاجة.</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. تشجيع الصناعات على إنتاج طعام ثانوي مثل: تحويل نواه النمر إلى قهوة، وتحويل التوت المحلف إلى مسحوق بديل للسكر.</li> <li>2. تشجيع استخدام نبيذ التمر كبديل للسكرات.</li> <li>3. تنمية الاستزراع المائي الطازج والمزارع الويفية المستنسخة.</li> <li>4. مشروع الفواكه العضوية لإنتاج الغاز الحيوي.</li> <li>5. مشروع منتج حدرسي يخص الأكاربوناك.</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. رفع المستوى الصحي لمؤسسات المخازن في العراق.</li> <li>2. تحسين المتطلبات اللازمة في تطبيق الأنظمة وسلامة الغذاء.</li> <li>3. تحسين جودة الغذاء عن طريق التقليل من محتوى الطعام المحلي لمستويات الصوديوم وزيادة مصادر البوتاسيوم والمغنيسيوم، وخفض نسب السكر.</li> <li>4. إغناء الأطعمة المنبجة بالمشروبات الدقيقة الصحية.</li> <li>5. دعم منتجي التمور بوحدة خاصة للتعنية والتغلف</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. دعم المزارعين والمصانين ومربي الحيوانات وزيادة الإنتاج وتطويره.</li> <li>2. العمل على إقامة مشاريع لتطوير الزراعة والثروة الحيوانية والسكية يتناسبها الطابع العام والخاص.</li> <li>3. بناء مخزون استراتيجي مناسب.</li> <li>4. تنوع مصادر الاستيراد ووضع خطة إدارة الطوارئ</li> <li>5. إدارة موارد المياه والزراعة.</li> <li>6. تشجيع المشاريع الصناعية والغذائية</li> <li>7. تعزيز الإنتاج واستخدام التقنيات.</li> </ol>

### مسار العمل 3

#### زيادة الإنتاج الإيجابي للطبيعة

سيعمل هذا المسار على تحسين استخدام الموارد البيئية في إنتاج الأغذية ومعالجتها وتوزيعها، وبالتالي تقليل فقدان التنوع البيولوجي والتلوث واستخدام المياه وتدهور التربة وانبعثات غازات الاحتباس الحراري. في سعيه لتحقيق هذا، سيهدف مسار العمل 3 إلى تعميق فهم القيود والفرص التي تواجه المزارعين أصحاب الحيازات الصغيرة والمؤسسات الصغيرة على طول سلسلة القيمة الغذائية. كما ستسعى جاهدة لدعم حوكمة النظام الغذائي التي تعيد تنظيم الحوافز لتقليل فقد الأغذية والتأثيرات البيئية السلبية الأخرى. انظر الجدول ادناه.

(4)	(3)	(2)	(1)
تعزيز الأمن الغذائي عن طريق الحد من هدر الطعام وفقدان	تعزيز مساهمة المشروعات المتوسطة والصغيرة وصغار المزارعين في تعزيز نظام الأمن الغذائي	الحد من فقدان التنوع البيولوجي والتلوث وتدهور التربة والبعثات غازات الاحتباس الحراري	المراد البيئية في العراق ومساهمتها في تعزيز نظام الإنتاج الغذائي
<ol style="list-style-type: none"> <li>1. تطوير البنية التحتية الزراعية لمعالجات ما بعد الحصاد وسلسلة التبريد والنقل والتخزين وما إلى ذلك</li> <li>2. الحد من خسائر ما بعد الحصاد.</li> <li>3. الإدارة السليمة للمخزون من منتجات الطعام</li> <li>4. تطوير الأسواق والبنية التحتية للتسويق.</li> <li>5. تطبيق معايير السلامة الدولية وضمان الجودة والغذاء.</li> <li>6. تربية أصناف الصلصة لتحسين التعامل مع المنتجات والاستثمار فيها وتطوير سلسلة التبريد في التخزين والنقل.</li> <li>7. نشر الوعي المجتمعي ومراعاة شراء الحاجة العائلية من الغذاء.</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. تبسيط إجراءات حيازة الأرض وحق الانتفاع لغرض إقامة المشاريع الزراعية المرهقة</li> <li>2. تعزيز سجل عيش صغار المزارعين.</li> <li>3. توفير مستلزمات المدخلات واستثمار الميكنة الزراعية والخدمات والدعم والتسويق على المستوى التجاري للمنتج.</li> <li>4. تطوير الصناعات الزراعية الموجهة لإنتاج الأسمدة الصغيرة والمتوسطة</li> <li>5. دعم البرامج الميدانية والخدمات الاستشارية.</li> <li>6. تشجيع المزارعين على العمل الجماعي لتسويق المنتجات وشراء مدخلات الإنتاج.</li> <li>7. التوسع في تقديم الخدمات الاستشارية.</li> <li>8. تقديم القروض الجسرة وتفعيل خدمات التأمين الزراعي</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. تفعيل البرنامج الوطني لإثبات الموارد الوراثية للأغذية والزراعة.</li> <li>2. تعزيز البنية التحتية والتكاثر الوطني للحفاظ على الموارد الوراثية والاستفادة من النباتات للأغذية والزراعة.</li> <li>3. تنفيذ القوانين والأنظمة المتعلقة بالمحافظة واستخدام الموارد الوراثية النباتية للأغذية والزراعة لضمان استدامتها في التوليد.</li> <li>4. التوعية بالموارد الوراثية النباتية من حيث الأهمية والمحافظة عليها.</li> <li>5. التكيف من آثار تغير المناخ وتحسين الكربون الزراعي من خلال مواءمة السياسات والإطار التنظيمي.</li> <li>6. استخدام الممارسات الجيدة في الزراعة والتقليل من استخدام المبيدات لرفع جودة المنتجات الزراعية</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. تنفيذ الإدارة المتكاملة للموارد المائية.</li> <li>2. التوازن بين استخدامات الموارد المائية والمحافظة عليها من الاستنزاف والتلوث وكذلك ترشيد استخدام الموارد المائية المتاحة وحمايتها وتقليل الفاقد من المياه.</li> <li>3. وضع خطة وطنية للتحويل التدريجي لطرق الري التقليدية إلى طرق الري الحديث.</li> <li>4. التوسع في صنية جمع المياه وإعادة استخدامها ومعالجة الصرف الصحي الثلاثي.</li> <li>5. تحسين الإنتاجية وحماية الأراضي الزراعية من التلوث والتعرية والتصحر وإزحف العراني.</li> <li>6. تغيير تركيبة الأسمدة وفقاً لمميزات وحاجة المحافظات ذات الصلة.</li> <li>7. من التشريعات اللازمة للتعامل مع مستلزمات المياه والتحكم فيها واستخدامها</li> </ol>

## مسار العمل 4

### النهوض بسبل العيش العادلة

سيعمل مسار العمل 4 على المساهمة في القضاء على الفقر من خلال تعزيز العمالة الكاملة والمنتجة والعمل اللائق لجميع الجهات الفاعلة على طول سلسلة القيمة الغذائية، والحد من المخاطر على أفقر الناس في العالم، وتمكين ريادة الأعمال ومعالجة الوصول غير العادل إلى الموارد وتوزيع القيمة. سيعمل هذا المسار على تحسين المرونة من خلال الحماية الاجتماعية والسعي لضمان أن النظم الغذائية "لا تترك أي شخص يتخلف عن الركب". ولفهم كل ذلك انظر الجدول ادناه.

(3) كيفية مواجهة الأزمات من خلال توفير الحماية الاجتماعية وضمان الانظمة الغذائية	(2) طرق تقليل المخاطر للمجموعات الصغيرة والمشاريع التي يمكن تنظيمها لمساعدة هذه المجموعة	(1) كيفية تعزيز العمالة الماهرة والإنتاجية للقضاء على الجوع
<ol style="list-style-type: none"> <li>1. إنشاء نظام الضمان الاجتماعي للعراقيين الذين يعملون لحسابهم الخاص.</li> <li>2. إنشاء نظام إنذار مبكر لتحقيق الأمن يشمل الطعام وسهولة الوصول إلى المستهلك.</li> <li>3. حماية المستهلك من تقلبات الأسعار ومراقبة أسعار السلع والخدمات والحد من ارتفاعها.</li> <li>4. تمكين وتأهيل الأفراد والأسر للاعتماد على أنفسهم.</li> <li>5. توفير بنية تحتية (خزانات) بمواصفات خدمة عالمية تقدم الأنشطة اللوجستية مثل التعبئة والتغليف في المستودعات والمناولة والنقل وخدمات القيمة المضافة.</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. تطوير ودعم مشاريع مدرة للدخل لتغطية الخدمات المالية وغير المالية.</li> <li>2. تشغيل وتدريب أفراد الأسر المستهدفة.</li> <li>3. التدريب المهني للأشخاص ذوي الإعاقة.</li> <li>4. تأمين سبل عيش مستقرة من خلال تقديم الخدمات واللجان التشاركية.</li> <li>5. تعزيز الأجور والعمل الحر من خلال برامج التدريب والعمل.</li> <li>6. تمكين المرأة من المشاركة في بناء السلام وصليحة صنع القرار.</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. النهوض بقطاع المشاريع الصغيرة والمتوسطة وتعزيز دورها في تنمية الاقتصاد الوطني من خلال تقديم مجموعة كاملة من الخدمات الفنية وخدمات تدريبية واستشارية متنوعة.</li> <li>2. افتتاح مركز الابتكار الصناعي لبرامج الابتكار في قطاع تصنيع الأغذية بهدف إدخال أحدث التقنيات في قطاع الأغذية والشروبات.</li> <li>3. تنفيذ البرامج الإرشادية والتدريب للمزارعين ومربي الماشية والصيدانين بهدف نقل المعرفة التقنية وتحسين أدائهم ورفع مستوى معيشتهم.</li> </ol>

## مسار العمل 5

### بناء المرونة في مواجهة نقاط الضعف والصدمات والتوتر

وكما موضح في الجدول أدناه:

(4) إجراءات لمواجهة التحديات المتعلقة بنقاط الضعف والصدمات والضغط	(3) الجهود الوطنية لتطوير محاور النظام الغذائي	(2) الصدمات التي تؤثر على الأمن الغذائي	(1) صمود الدول والمجتمعات لمواجهة التحديات من خلال:
<ol style="list-style-type: none"> <li>1. دعم المزارع الصغيرة لتكون مساهم رئيسي في الإنتاج المحلي.</li> <li>2. تخفيض أسعار الطاقة وإعفاء قطاع الزراعة من ضريبة القيمة المضافة.</li> <li>3. إنشاء أسواق متخصصة للمنتجات الزراعية المحلية.</li> <li>4. دعم إنشاء الصناعات التحويلية للمنتجات الزراعية المحلية.</li> <li>5. تكثيف حملات التوعية بأهمية تقليل الفاقد وعدم الإسراف في استهلاكه.</li> <li>6. دعم إدخال أنظمة الري الحديثة وتربية الأحياء المائية.</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. تشكيل لجنة الدفاع الوطني المدني وتفعيل فرق المتطوعين للتدريب.</li> <li>2. تأسيس الشركة الوطنية القابضة للاستثمار الغذائي.</li> <li>3. تأسيس الشركة الوطنية لتربية الأسماك.</li> <li>4. إنشاء اللجنة الوطنية لزراعة وحركة النخيل.</li> <li>5. متابعة حركة الأسعار العالمية لحركة السلع الأساسية وكذلك حركة الشحن والتجارة العالمية.</li> <li>6. متابعة معدلات الإنتاج والاستهلاك العالمي.</li> <li>7. متابعة حركة صفحي الأسهم للسلع العالمية.</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. الصدمات البيئية والمناخية كالأعاصير والزلازل والفيضانات.</li> <li>2. الصدمات الاقتصادية مثل التكدس في الأسعار بسبب الركود الاقتصادي.</li> <li>3. الصدمات السياسية والاجتماعية مثل الصراعات والأزمات السياسية.</li> </ol> <p>لقد مر العراق بعدد من الكوارث الطبيعية والسياسية في غضون 30 عامًا الماضية:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>1991 حرب الخليج</li> <li>الحصار</li> <li>2003 الحرب والاحتلال</li> <li>2007 وباء أنفلونزا الخنازير</li> <li>2009 أزمة الاقتصاد العالمي</li> <li>2019 جائحة كورونا</li> <li>الحرب الروسية الأوكرانية</li> </ul>	<ol style="list-style-type: none"> <li>1. الحد من ارتفاع معدل الحوادث كالصراعات والأزمات.</li> <li>2. معالجة آثار تغير المناخ بما في ذلك تواتر الجفاف والفيضانات.</li> <li>3. إدارة مخاطر سلامة الأغذية والتقلبات في أسعار الغذاء العالمية.</li> <li>4. التنويع بتقني الأوبئة وأمراض الحيوانات والأفات والأمراض النباتية واستجابتها في الوقت المناسب.</li> </ol>

## التوصيات:

نرى ضرورة التأسيس لمنصة او لمنتدى زراعي وفضائية زراعية، بمعزل عن برنامج الامم المتحدة. وذلك بهدف إنتاج مجموعة مختلفة من المعارف والحقائق حول الابتكارات القابلة للتطبيق في مجال الزراعة والنظم الغذائية والتنمية الريفية في العراق. حيث توفر - المنصة والفضائية - فرصة للتعرف على الطرق المثلى التي تُستخدم من خلالها الابتكارات في الزراعة والنظم الغذائية بشكل فعال، من اجل تعميق الفهم حول أهمية مختلف الابتكارات الزراعية وجدواها الاقتصادية.

بالتأكيد، لا يمكن تحقيق أي نجاح يذكر دون افساح المجال لنشاط القطاع الوطني الخاص، والاهتمام بصغار المزارعين؛ وتطوير الجانب الرقابي لوزارة الزراعة؛ وبدون تطوير البحث العلمي التطبيقي؛ والتكامل المستدام بين الوزارات والمؤسسات المعنية: الزراعة والموارد المائية والتجارة والعمل والنقل والتخطيط والصناعة والمنافذ الحدودية. فبدون كل هذا ستبقى الجهود مبعثرة غير منتجة، وستبقى العملية الزراعية غير مكتملة وناقصة. تستند المنصة المقترحة هذه الى ثلاثة محاور رئيسية:

(1) التقنيات الناشئة والابتكار للإنتاج الزراعي والصحة النباتية: من خلال الزراعة الدقيقة والزراعة المائية وأنظمة الإنذار المبكر والاستعانة بالمكافحة الحيوية أو المتكاملة للآفات والأمراض، والزراعة الصحراوية وأنظمة التشخيص عن بعد، والطائرات بدون طيار، وخدمات معلومات المناخ، والإرشاد الرقمي، والحصاد الدقيق الى حد وجود مجموعة علمية.

(2) خلق فرص العمل والتوظيف للشباب والمرأة: من خلال الشركات الناشئة وحاضنات الأعمال، وسلاسل إمدادات المدخلات الزراعية، وبرامج التأمين، ومراكز التعليم المتنقلة وغيرها.

(3) ابتكار نظم الأغذية الزراعية للأسواق وسلاسل القيمة: من خلال ربط الأسواق، استخدام علامة المنتج العضوي، تتبع المنتج، التغليف والتعبئة الحيوية، المتاجر الذكية المطورة، وإدارة النفايات.

وأخيراً، فإن دعم الخطة الزراعية ومستلزماتها من خلال دعم وتطوير المجالات التالية:

(1) صناعة الأسمدة، بما فيها الاسمدة العضوية والاحيائية، والمبيدات والفوسفات والكبريت واليوتاس.

(2) انتاج اصناف البنور.

(3) ايجاد الحلول الناجعة للتغيرات المناخية.

(4) نشر وسائل الري الحديثة.

(5) قلة الايدي العاملة والهجرة من الريف.

(6) الطاقة الكهربائية والوقود والطاقة النظيفة.

(7) التجارة واسواق الجملة والخزن والمواصلات.

(8) الصحة وسلامة الغذاء ونمط التغذية.

(9) المنافذ والحجر والفحص والمنافسة مع المستورد.

(10) التربية والتعليم وتغذية النشء ونمط الاستهلاك والفاقد والهدر.

(11) تفعيل العلاقات والاتفاقيات الدولية في مسائل البحث العلمي والابتكار ونقل التكنولوجيا وتوطينها والابتكار والبحث عن البدائل.

(12) تشريع قانون الامن الغذائي.

# تهديدات الزراعة في العراق . . المياه أولا

ظافر عبد الله حسين

مستشار سابق في وزارة الموارد المائية



يرتبط تردي الواقع الزراعي في العراق الى حد كبير، مع الانخفاض المتزايد في الإيرادات المائية لنهري دجلة والفرات. هذا الانخفاض الذي تسببت به السياسات المائية لدول المنبع والمسار. لكن، يبقى السؤال الجوهرى: هل ما بذلته الحكومات العراقية المتلاحقة من جهود لضمان حصة عادلة ومنصفة من الإيرادات المائية كان كافياً؟

احتياجات دول المسار والمصب. وهذه الوضعية تتفاقم باستمرار. بينما كان العراق وحده يتحمل غضب النهرين في مواسم الفيضانات، وحتى عام 1970.

4. أنشأت تركيا (65) سدا صغيرا على عمود نهر الفرات، بينما أنشأت (35) سدا صغيرا على عمود نهر دجلة. بالنسبة للسعة الخزنفة للسدود المنشأة على نهر الفرات أكثر من (106) مليارات متر مكعب (م3) وهي تعادل 3.3 مرات حجم الايراد الطبيعي للنهر.

5. انخفضت الاطلاقات المائية من ايران بصورة حادة. حيث قطعت بصورة شبه كاملة مجاري الأنهر المشتركة بين البلدين. 6. نتيجة لكل ذلك انخفضت الإيرادات المائية للعراق من 158 مليار م3 في عام 1989 لتصبح 65 مليار م3 في عام 2018.

من الضروري قبل ان نجيب على هذا السؤال ان نستعرض جملة من القضايا. وبعد جمعها وتحليلها، سنتبلور الإجابة بشكل قاطع.

أولا: يجب ان نستعرض، وعلى عجلة ودون الخوض في التفاصيل، جملة من الحقائق:

1. ان 3/2 من المياه المتجددة في الشرق الأوسط هي مياه مشتركة (عابرة للحدود).

2. أكثر من 60% من مياه دجلة تنبع من تركيا وإيران. وأكثر من 97% من مياه الفرات تنبع من خارج حدود العراق. وهذا يعني ان نهري دجلة والفرات هما نهران دوليان وفق تعاريف الأنهار الدولية.

3. تتقاسم دول المنبع الإيرادات المائية لنهري دجلة والفرات دون حساب

## ثانياً: اهم الاتفاقيات النافذة الموقعة بين دول حوضي دجلة والفرات الاتفاقية البريطانية الفرنسية لعام 1920

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ونشوء دول المنطقة، أصبح نهرا دجلة والفرات يمران في أراضي ثلاث دول. وبالتالي تغير وضعهما القانوني، وأصبحا من الانهار الدولية. ويهدف تنظيم الانتفاع بمياه النهرين فقد تضمنت اتفاقية عام 1920 التي ابرمتها بريطانيا، الدولة التي تنتدب/ تحتل العراق في ذلك الوقت، مع فرنسا، الدولة التي تنتدب/ تحتل سوريا، بعض البنود الخاصة باستخدام مياه دجلة والفرات. حيث اشارت الفقرة الثالثة الى التنسيق بشأن أي مشاريع وخطط ري تجريها فرنسا في منطقتها قد تؤثر بدرجة كبيرة على كمية المياه التي تدخل منطقة الانتداب البريطاني في بلاد ما بين النهرين. حيث تضمنت الفقرة الثالثة من الاتفاقية النص التالي:

”حكومة بريطانيا وحكومة فرنسا تتفقان على تسمية بعثة يكون من واجبا الانخراط في دراسة أولية لأي خطة أو مشروع اروائي يقترحه منتدى فرنسا ويتم تنفيذه، قد يكون ذا طبيعة تؤدي إلى نقص كبير في مياه نهري دجلة والفرات عند نقطة دخولها إلى مناطق الانتداب البريطاني في بلاد ما بين النهرين“.

### معاهدة لوزان 1923

من ضمن الأمور التي نظمتها هذه المعاهدة هي ما يتعلق بالأنهار التي تغير مركزها القانوني من انهار وطنية الى انهار دولية حيث اشارت المادة 109 الى وجوب

ابرام اتفاق بين الدول ذات الأنهار المشتركة في حالة اعتماد النظام الهيدروليكي (القناة أو الغمر أو الري أو الصرف أو الأمور المماثلة) في دولة ما على أعمال منفذة داخل إقليم دولة أخرى، أو عندما يتم استخدام المياه أو الطاقة الهيدروليكية على أراضي دولة ما، كما كانت تستخدم قبل الحرب، والتي يكون مصدرها على أراضي دولة أخرى. وقد اشارت نفس المادة الى انه في حالة عدم الاتفاق بين الدول، فإن الامر ينظم بالتحكيم. وادناه نص هذه المادة:

”في حالة عدم وجود أية نصوص أو شروط بخلاف ذلك وعندما يحصل نتيجة تثبيت الحدود الجديدة اعتماد نظام مائي في دولة على الأعمال التي تنفذ في دولة أخرى او عندما يكون استعمال المياه في إقليم يستند الى استعمال للمياه قبل الحرب أو الى طاقة مائية يكون مصدرها في إقليم دولة أخرى تعقد اتفاقية بين الدولتين المعنيتين لحماية المصالح والحقوق المكتسبة من قبل كل منها، وفي حالة عدم حصول اتفاق تنظم القضية بالتحكيم“.

### معاهدة الصداقة وحسن الجوار

#### الموقعة بين العراق وتركيا عام 1946

تضمنت هذه المعاهدة بروتوكولا ملحقا بها يتعلق بتنظيم جريان مياه نهري دجلة والفرات والتزام تركيا بتزويد العراق بمناسبة النهرين بصورة دورية وبانتظام. كما يتضمن البروتوكول بالإضافة ذلك، أموراً أخرى. من بينها موافقة تركيا على انشاء مشاريع على النهرين وروافدهما في تركيا بنفقة عراقية تخدم مصلحة العراق في الوقاية من الفيضان.

## محضر اجتماع لجنة العلاقات الاقتصادية والفنية بين العراق وتركيا عام 1971

اشارت المادة الثالثة من المحضر المذكور الموقع بين العراق وتركيا بتاريخ 17/ 1/ 1971 إلى أن الجانبين العراقي والتركي بحثا موضوع المياه المشتركة واتفقا على ما يلي:

I. تجري السلطات التركية المختصة بالماء المشاورات المطلوبة مع السلطات العراقية بغية تأمين حاجات العراق وتركيا من المياه بما في ذلك متطلبات خزاني الحباينة وكيبان.

II. يشرع الطرفان في أسرع وقت ممكن بالمباحثات حول المياه المشتركة ابتداء بالفرات ومشاركة جميع الأطراف.

## محضر اجتماع اللجنة العراقية التركية المشتركة للتعاون الاقتصادي الفني

عقد اجتماع اللجنة العراقية التركية المشتركة في 26/ 12/ 1980 وتشكلت بموجبه لجنة فنية مشتركة لدراسة القضايا المتعلقة بالمياه المشتركة في المنطقة وخاصة حوضي دجلة والفرات، مهمتها تحديد الكمية المناسبة والمعقولة التي يحتاجها كل بلد من مياه الانهار المشتركة.

بروتوكول عام 1987 بين سورية وتركيا اتفق الطرفان بموجبه على اعتماد قاعدة الـ 500 م<sup>3</sup>/ثانيه من مياه نهر الفرات عند الحدود التركية والسورية لحين التوصل الى اتفاق نهائي ثلاثي حول شحة مياه نهر الفرات.

بروتوكول عام 1989 بين العراق وسوريا وقع البروتوكول في نيسان 1989، ويتضمن ان تكون حصة العراق 58% من المياه المارة عند الحدود التركية - السورية، وتكون حصة سوريا 42% من تلك المياه لحين التوصل الى اتفاق نهائي على تقسيم مياه نهر الفرات بين البلدان الثلاثة.

وأخيرا وليس اخرا، اتفاق بين العراق وسورية وافق فيه العراق على قيام سورية بنصب محطة ضخ على الجانب الايمن من نهر دجلة عند الحدود العراقية - السورية، تسحب سورية بموجبه 1.250 مليار م<sup>3</sup> / سنة من مياه نهر دجلة الداخلة الى العراق.

## ثالثا: أهم المبادئ التي تضمنتها الاتفاقيات الدولية في مجال استخدام المجاري المائية الدولية

بذلت الامم المتحدة جهوداً كبيرة في التوصل لإعداد اتفاقية اطارية تنظم استخدامات مياه المجاري الدولية للاغراض غير الملاحية. نتج عن تلك الجهود توقيع اتفاقية الامم المتحدة في هذا المجال في ايار عام 1997، ودخلت حيز النفاذ بتاريخ 17/ اب/ 2014. وقد ساهمت هذه الاتفاقية بلا شك في تدوين مبادئ القانون الدولي وقواعده التي تنظم استخدامات مياه تلك المحاري الدولية.

- ومن أهم المبادئ الواردة:
- الانتفاع والمشاركة المنصفان والمعقولان (المادة 5).
- الالتزام بعدم التسبب في احداث ضرر ذي شأن (المادة 7).

هذا المبدأ يؤكد على السيادة المطلقة للدولة على أراضيها ومن ثم على الجزء الواقع من النهر المشترك في هذه الأراضي، سواء كان منبعاً أو مساراً أو مصباً. ويعني ذلك ان للدولة الحق المطلق في التصرف بمياه هذا النهر ضمن أراضيها، دون النظر في حقوق الآخرين، وحتى لو أدى ذلك الى الاضرار بهم، علماً أن مبادئ وقواعد واتفاقات الامم المتحدة المنظمة لاستخدامات مياه المجاري المائية الدولية قد تجاوزت هذا المبدأ منذ مدة.

كما ان تركيا لم تصادق على اتفاقية الامم المتحدة لعام 1997 وعارضتها بشدة، مع ذلك تتظاهر بأنها منسجمة مع مبادئ هذه الاتفاقية. وبغض النظر عن ادعاءات انها تؤيد الاستخدام الامثل والمنصف والمعقول للمياه، وأنها لا تسبب ضرراً ذا شأن لدول مجرى أسفل النهر، الا انها في حقيقة الامر تفسر الاستخدام الامثل بأنه تحقيق اعلى انتاجية من وحدة المساحة المستخدمة بغض النظر عن طبيعة الاراضي التي يمر بها المجرى المائي، وبغض النظر عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية لكل دولة.

لقد راهنت تركيا ولا زالت على اطالة زمن المفاوضات لغرض انجاز مشاريعها التخزينية الاروائية، وتستهدف بذلك ابطال حجة الحقوق التاريخية والمكتسبة التي كانت تستند اليها دول مجرى أسفل النهر. ومن جهة اخرى تحاول استكمال مشاريعها الاروائية وزيادة مساحاتها المزروعة لكي تكون على قدم المساواة مع المشاريع القائمة منذ زمن. كما ان تركيا ترفض رفضاً قاطعاً اي وساطة

• الالتزام العام بالتعاون على اساس المساواة في السيادة والسلامة الاقليمية والفائدة المتبادلة وحسن النية (المادة 8).  
• التبادل المنظم للبيانات والمعلومات (المادة 9).

• اعلان الاخطار المتعلقة بالتدابير التي يجري اتخاذها لاجل تجنب أي أثر ضار (المادة 11).

• حماية النظم الايكولوجية وصونها (المادة 20).

• منع التلوث وتخفيضه ومكافحته (المادة 21).

• عدم ادخال أنواع غريبة وجديدة الى المجرى المائي (المادة 22).

• حماية البيئة البحرية وصونها (المادة 25).

يظهر مما جاء اعلاه ان اشكال التعاون وفقاً للاتفاقية تأخذ مساراً تصاعدياً يبدأ من تبادل المعلومات والبيانات الى الانتفاع المنصف والمعقول والمحافظة على نوعية المياه وحماية المجرى المائي وتنمية موارده الى ان تصل اخيراً الى التعاون وانشاء آلية مشتركة لإدارة المجرى المائي وتنفيذ الخطط المعتمدة وهذا غاية في التفاهم والتعاون بين الدول المشتركة في المجرى المائي.

**رابعاً: مواقف تركيا وسياستها المائية**  
تعتبر تركيا قطاع المياه جزءاً مكملاً من استراتيجية امنها الوطني، حيث تولي في هذا الموضوع اعلى درجات اهتمامها. وهي تتبنى مبدأ (هارمون) وذلك لكونها دولة المجرى الأعلى وال منبع الرئيسي للنهرين المشتركين (دجلة والفرات). ان

الحويزة. وبالتالي من الضروري السعي الى ادراجها ضمن المباحثات وتحديد حصة للعراق من مياهها، وفقا للمعايير الدولية.

ان إيران تستند وتحتاج باتفاقية عام 1975، وتعتبر البروتوكول الملحق بها والخاص باستثمار مياه مجاري الماء الحدودية المرجعية القانونية التي تناقش على أساسه مياه هذه المجاري، ولم تقبل مناقشة الموضوع بعيدا عن هذا البروتوكول. ومؤخرا الاشارة الى اتفاقية 1975 في البيان المشترك الذي صدر في اعقاب زيارة رئيس جمهورية ايران الاسلامية الى العراق.

ويمكن ادراج أبرز الاتفاقيات بين العراق وايران حول المياه في ما سيأتي: (1) بروتوكول القسطنطينية لعام 1913 ومحاضر جلسات قومسيون تحديد الحدود العثمانية الفارسية التي جرت بوساطة بريطانيا وروسيا. وقد أشار البروتوكول الى بعض الأنهار ومجاري المياه التي تعبر الحدود بين الدولتين الا انها لم تحدد طريقة توزيع مياه تلك الأنهار والمجاري المائية في ما عدا مياه نهر كركير (وادي حران) حيث اشارت الى أن مياه النهر المذكور تقسم مناصفة بين المنتفعين منها في كل من الدولتين المذكورين.

(2) معاهدة عام 1937 بين العراق وايران التي عقدت بعد عرض النزاع بينهما على عصبة الأمم المتحدة. واستنادا إلى بروتوكول عام 1913 حددت تلك المعاهدة حدود الدولتين في مجرى شط العرب والاستثناءات التي حصلت عليها

في مجال الموارد المائية المشتركة كما انها ترفض الذهاب الى التحكيم في هذه المواضيع.

### خامسا: موقف إيران وسياستها المائية

تعتبر إيران دولة المجرى الأعلى، حيث توجد الكثير من المجاري المائية المشتركة بينها وبين العراق، والتي يزيد عددها على اربعين مجرى مائيا. ومن اهم هذه المجاري نهر الزاب الأسفل وتفرعاته، ونهر ديالى وتفرعاته.

تقوم ايران حاليا، بتوسيع مشاريعها على نهر ديالى على وجه الخصوص، وقد تأثرت مياه النهر الداخلة الى العراق بدرجة ملحوظة في هذه المشاريع. وهذه المسألة تحتاج الى اهتمام على قدر عال من المسؤولية، وذلك لعدم وجود بديل يمكن ان يسد النقص الذي سيحصل في مياه النهر. وقد سبق أن قطعت ايران مياه نهر الوند منذ ايام الشاه وأنشأت عددا من السدود التحويلية من اجل ارواء مشاريعها، وكذلك الحال مع مياه نهر كنجان جم مقابل محافظة واسط.

ولأن ايران تعتبر نهري الكارون والكرخة نهرين داخليين، لذلك فهي تستبعد شمولهما بمفهوم المجاري المائية المشتركة. وبالتالي هي لا تدخلها ضمن نقاشات البروتوكول الذي ينظم الاستفادة من مياه المجاري المائية المشتركة. لكن هذين النهريين لهما تأثيرات بيئية كبيرة على مياه شط العرب ومياه هور الحويزة. فهما جزءان مهمان من النظام الهيدرولوجي لشط العرب وهور

ايران في ما يتعلق بمجرى مياه عبادان. وقد الغيت هذه الاتفاقية من طرف واحد من قبل ايران في نيسان 1969.

(3) اتفاقية الجزائر لعام 1975 تضمنت تحديد شامل للحدود البرية والنهرية الملاحية في شط العرب، كما تضمنت اتفاقا يتعلق باستثمار مجاري المياه المشتركة بين البلدين حيث تم تقسيم تلك المجاري المائية الى ثلاث مجاميع كما يلي:-

• مجموعة الأنهار (A)، وتشمل انهار بناوه سوتا، وقره تو، وكنكير. تقسم مياه هذه الأنهار مناصفة بين البلدين.

• مجموعة الأنهار (B)، وتشمل انهار الطيب ودويريج وكنجان جم والوند. ويجرى تقسيم مياهها وفقا لمحاضر جلسات قومسيون الحدود العثمانية والفارسية لعام 1914 والعرف.

• مجموعة الانهار (C)، وتشمل كل الأنهار والمجاري المائية الأخرى التي تعبر الحدود بين الدولتين مما لم يذكر في المجموعة (A&B). وهذه يجري تقسيم مياهها وفقا لروح الاتفاقية.

من الجدير بالذكر ان العراق لم يحسم موقفه حتى الآن في ما يتعلق باتفاقية الجزائر في حين تصر ايران على ان تكون هذه الاتفاقية والاتفاق المائي الملحق بها مرجعا لأية مباحثات تتعلق باستثمار المجاري المائية المشتركة بين البلدين.

### سادسا: موقف العراق والاجراءات المتخذة

عمل العراق على التوصل الى اتفاق مع جيرانه لتحديد حصته المائية المناسبة

في مياه الانهار المشتركة. كما عمل وما زال يعمل من جانب آخر على تطوير منشآته المائية للسيطرة على المياه وتخزينها والاستفادة منها. وادناه خلاصة عما جرى ويجري حاليا في هذا المجال:

- بدأت المفاوضات بين سوريا وتركيا عام 1962 وكانت تتعلق بتبادل المعلومات والبيانات المائية.

- عام 1964 عقد اول اجتماع بين العراق وتركيا حول موضوع المياه المشتركة، ابدى الجانب التركي عزمه على تنفيذ سد كيبان وذلك بهدف الحصول على موافقة العراق والاستفادة من هذه الموافقة للحصول على تمويل مشروع بناء السد، ولم يتم الوصول الى نتائج مقبولة متفق عليها.

- عام 1965 عقد في بغداد اجتماع ثلاثي (عراقي، سوري، تركي). رفض فيه الجانب التركي مناقشة الموضوع الرئيسي المتعلق ببحث الحقوق المائية التي تستخدمها بتبادل المعلومات الهيدرولوجية والميتروولوجية وبحث موضوع املاء الخزانات لكل دولة من مشاريعها الاروائية. وحاول المفاوضات التركي حصر الموضوع، ولم يوافق الاترك على تغيير خططهم في املاء سد كيبان لتخفيف الاضرار التي يمكن ان تصيب دول أسفل المجرى من جراء املاء الخزان.

- عقدت في الفترة 1971 - 1980 مباحثات متعددة كان بعضها على مستوى فني بشأن املاء الخزانات، وجرت حسابات مفصلة للاحتياجات في كل بلد ومناهج املاء الخزانات، الا ان الاملاء تم بدون اتفاق بين الاطراف المعنية.

ما زالت الجهود تبذل مع تركيا للتوصل معها الى اتفاق مكتوب حول تحديد حصة العراق في مياه الانهر المشتركة معها. وقد تم بحث هذا الموضوع عند زيارة رئيس الجمهورية الى تركيا وقد أكد رئيس جمهورية تركيا بانه سيعمل على انهاء ملف المياه المشتركة في أقرب وقت دون أية خطوات على ارض الواقع.

من جهة أخرى، صادق العراق على قانون اتفاقية استخدام المجاري المائية الدولية في الاغراض غير الملاحية الصادرة عن الامم المتحدة عام 1997 وعارضتها تركيا بشدة ولم تصادق عليها ايران. وصادق أيضا على اتفاقية رامسار للأراضي الرطبة التي عقدت عام 1971 في ايران.

واستمر العراق بعرض مواقفه حول مياه الانهار المشتركة مع جيرانه في العديد من المنظمات الدولية والمؤتمرات العربية والاقليمية والدولية وشرح وجهات نظره ونظر الاطراف الاخرى ويسعى لتكوين رأي عام دولي مساند لظروحاته، كي يسهل التوصل الى اتفاق مع جيرانه.

اما على المستوى الداخلي فقد قام العراق بتطوير منشآته المائية للسيطرة على المياه الداخلة للعراق وتنظيم الاستفاد منها فأنشأ العديد منها، ومن اهم هذه المنشآت والمشاريع انشاء سد الموصل وسد حديثة وسد حميرين وسدة الفلوجة وسدة الهندية الجديدة وسدة الكوفة ونواظم العباسيات ونواظم المشخاب. كما أنشأ العديد من السدود الصغيرة ضمن مجال حصاد المياه. وأيضا، ربط

• في كانون الاول 1980 عقدت اللجنة العراقية التركية المشتركة للتعاون الاقتصادي والفني اجتماعها الاول لبحث مجمل العلاقات بين البلدين، وكانت المياه المشتركة من بين تلك المواضيع التي تم بحثها.

• توصل الجانبان الى اتفاق بشأن انشاء لجنة فنية مشتركة (JTC) عام 1981 لدراسة القضايا المتعلقة بأمور المياه المشتركة. مهمتها تحديد الكمية المناسبة والمعقولة التي يحتاجها كل بلد من البلدان الثلاثة من مياه الانهار المشتركة وحددت مدة سنتين لإنجاز المهمة، قابلة للتمديد سنة أخرى.

خلال الفترة من عام 1982 - 1993 عقدت اللجنة ستة عشر لقاءً، لكن لم يتم التوصل الى اتفاق لإنجاز هدفها. حيث حاولت تركيا بكل جهودها تحويله من تحديد الكمية اللازمة لكل دولة الى الاستخدام الامثل للمياه، حسب مفهومها. عقد كذلك اجتماعان على مستوى الوزراء في الدول الثلاث لدفع عمل اللجنة عام 1988 وعام 1990 ولكن دون فائدة او اتفاق على تحقيق هدف اللجنة.

وقد انقطعت اجتماعات اللجنة بعد عام 1993 ثم عادت بعد عام 2003، الا ان تركيا استمرت بصورة أكبر على موقفها السابق ولم تتمكن الدول الثلاث من الاتفاق على تحديد حصة كل دولة في مياه النهر. وقد أشرنا سابقا الى الاتفاق الذي حصل بين تركيا وسوريا على قاعدة الـ 500 م<sup>3</sup>/ثا والاتفاق الذي حصل بين العراق وسوريا على نسبة توزيع المياه عند الحدود التركية السورية بنسبة 58% للعراق و 42% لسوريا.

شأن، ويخالف ما سبق أن تم الاتفاق عليه سابقا (بروتوكول 1980) وغيره.

المياه محدودة والحاجة اليها متزايدة نتيجة التزايد السكاني في دول المنطقة والتوسع في الزراعة والصناعة والتنمية بصورة عامة، لذلك المطلوب الاحتكام للعقل والمصالح المشتركة وتطبيق قاعدة لا ضرر ولا ضرار والتوصل الى اتفاق بين الدول المعنية وفقا لأحكام القانون الدولي المنظمة لاستخدامات هذه المياه. حيث تحدد في هذا الاتفاق حصة كل دولة من مياه الأنهار المشتركة حتى يتسنى لكل منها ان تضع مشاريعها وفقا لحصتها وليس وفقا للأسلوب العشوائي في التوسع (تقليص مساحات التطوير المخطط لها في دول أعالي النهرين) وذلك حتى تعيش الشعوب في المنطقة بسلام وتكون الأنهار عنصر تقارب ووسيلة لتعزيز الاواصر بين شعوب هذه الدول، بدلا مما تشيعة بعض الأوساط من أن مياه الأنهار عنصر أزمة او صراع مستمر بين الدول الثلاث.

من الضروري جدا الاستمرار في التفاوض مع الدول المجاورة للعراق، والسعي بكل الوسائل لتثبيت حقوق العراق المائية في اتفاقيات يتم التوصل اليها مع الأطراف المعنية.

### الاستنتاجات

أولا: أصبح من الواضح وبما لا يقبل الشك ان التغيرات المناخية تؤثر بشكل حاد على موارد المياه في العراق مما يستدعي دراسة هذه التغيرات وتأثيراتها، خاصة على القطاع الزراعي.

مشروع الثرثار نهري دجلة والفرات للاستفادة من مياهه بعد تحسين نوعيتها وذلك عبر ناظمي (الثرثار الفران) و(الثرثار- دجلة)، وبتصريف كلي يبلغ 1100 م<sup>3</sup>/ثا. وبإنشاء مشروع المصب العام وشبكة المبازل الرئيسية، استلح العراق مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وذلك عبر تحسين استخدام المياه وزيادة انتاجيتها. يضاف الى ذلك وغيره العديد من المنشآت والمشاريع التي حسنت بدرجة كبيرة السيطرة على المياه وتحسين الاستفادة منها. ولكن ما زالت الحاجة قائمة الى تطوير وتحسين المشاريع الاروائية.

وقد حددت الدراسة الاستراتيجية لتطوير استخدام المياه والاراضي في العراق عام 2014 اهم تلك المشاريع والمبالغ اللازمة لاستصلاحها. ان هذه الدراسة هيأت قاعدة بيانات أساسية عن مشاريع الري والسدود واستخدامات المياه والاراضي واعداد موديلات تخطيطية وإستراتيجية تفاوضية تمكن المفاوضات العراقي من التقويم البدائل الممكنة.

### الخلاصة

ان للعراق حقوقا في مياه الأنهار المشتركة مع جيرانه كما ان لجيرانه أيضا الحق في مياه تلك الأنهار. ولكن يجب ان لا يكون حق تلك الدول مطلقا بأي حال من الأحوال، لان ذلك يخالف مبادئ القانون الدولي والاتفاقات المنظمة لذلك. كما انه يعارض من جهة أخرى مبادئ حسن الجوار وعدم الاضرار بالغير أو التسبب في احداث ضرر ذي

سابعاً: لم تعد الطريقة التقليدية باستصلاح الأراضي ممكنة التغيير في الوقت الحاضر، إذ لا مياه وفيرة لغسل التربة ولا أموال وفيرة لإنجاز هذه المهمة.

ثامناً: لا يمكن الاحتكام الى محكمة العدل الدولية ما لم يوافق طرفا المشكلة (ايران، تركيا) على قبول قرارات المحكمة.

وفي النهاية، بالعودة الى السؤال الجوهرى الذي طرحناه في مستهل هذه المادة، يبدو انه من السهل الإجابة بالنفي. فغالبية الحكومات المتلاحقة في العراق لم تبذل الجهود الضرورية والمرجوة من اجل ضمان الحصة المائية العادلة والضرورية.

ان هذا يستدعي تكثيف الجهود، والتعامل بجدية في ملف المياه. وإيجاد حلول للخلافات مع دول الجوار. وان تتناول الحكومة العراقية موضوع المياه باعتباره فقرة حاكمة في أي اتفاق مستقبلي مع دول المنبع.

ثانياً: لا يمكن التفكير بان وزارة او مؤسسة أو قرارا يمكن ان يضع الحلول لأزمة الموارد المائية، بل لا بد من حزمة إجراءات تتولى صياغتها والقيام بها مؤسسات متعددة.

ثالثاً: لم تتفاعل دول الجوار مع الاحتياجات المائية في العراق وفق القوانين والأنظمة والأعراف الدولية كما انها لم تراعى مبادئ الدين الإسلامى ولا المنظومة الأخلاقية رغم ادعاءاتها بحمل راية الإسلام.

رابعاً: ما زالت المياه ثروة غير محترمة داخل العراق وتتعرض الى سوء الاستخدام في كافة الأنشطة المعتمدة على المياه.

خامساً: يعتبر نظام الموارد المائية في العراق من انجح الأنظمة خاصة وانه يتعامل مع عشرات الألوف من الكيلومترات من الأنهار والمبازل.

سادساً: لما ورد انفا أصبحت إدارة المياه في العراق تعني التشغيل فقط وغيببت الإدارة المتكاملة المستدامة للمياه.

#### المصادر:

- 1- الدراسة الاستراتيجية للمياه والأراضي في العراق - وزارة الموارد المائية. 2014
- 2- وزارة الموارد المائية - دائرة التخطيط والمتابعة.
- 3- الإطار القانوني للتفاوض مع تركيا حول نهري دجلة والفرات، الخبير علي غالب عبد الخالق - مهندس استشاري و قانوني - أيلول 2021.
- 4- حقوق العراق المائية والمفاوضات مع دول الجوار وإجراءات الوزارة كانون الثاني 2021، الخبير علي غالب عبد الخالق- مهندس استشاري وقانوني.
- 5- تحديات المياه المشتركة في حوضي دجلة والفرات واستراتيجية المياه والأراضي في العراق أيلول 2021 المهندس الاستشاري مناضل فاضل المهداوي.

## عرض كتاب:

# محاسبة القيمة في رأس مال ماركس: اليد الخفية\*

بقلم: مايكل برونز (1) Michael Broz

أعدده للنشر بالعربية: مصباح كمال

لأولئك الذين يدرسون المحاسبة، ولكن لجميع الذين لديهم اهتمام بأساس القيمة في الماركسية، والأهم من ذلك، نظرية العمل للقيمة ككل.

روب براير، مؤلف هذا النص، هو أستاذ متقاعد في المحاسبة في كلية وارويك للأعمال بجامعة وارويك -Wick University. يركز براير على نظرية المحاسبة وعلى وجه التحديد كيف تم استخدامها عبر تاريخ الرأسمالية. هذا الكتاب هو واحد من كتابين كتبهما حول هذا الموضوع، الأول هو محاسبة التاريخ في رأس مال ماركس: الحلقة المفقودة. في حين أن الكتابين يكملان بعضهما البعض، فليس من المطلوب أن تقرأ كلاهما لفهم الحجج التي يطرحها براير.

قد يجذب عمل براير، وتحديداً الكتاب موضوع المناقشة هنا، مجموعة متنوعة من القراء: طلاب الماركسية والرأسمالية، والاقتصاديون المهتمون بنظرية القيمة، والمحاسبون الذين يدرسون الأساليب التاريخية للمحاسبة

أقرّ ماركس أن الأسواق مهمة في السيطرة الاجتماعية، إلا أن تفسيره للمحاسبة الرأسمالية، كما يبين الكتاب، يصل إلى مستوى "نظرية في المحاسبة" تشرح كيف أن الرأسمالي الفرد و"سوق رأس المال" يستخدم ما هو، بالنسبة للكثيرين، اليد الخفية للمحاسبة للتحكم في إنتاج وتوزيع فائض القيمة. روب براير، محاسبة القيمة في رأس مال ماركس: اليد الخفية.

وجدت الماركسية مكانا لها، في العالم الأكاديمي، في مجموعة متنوعة من التخصصات: الاقتصاد، والفلسفة، وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية. من المجالات التي لم تحظ بالتقدير المحاسبة الماركسية. ابتداءً، يبدو هذا مجالاً غريباً إلى حد ما لتطوير نظريات الماركسية، لكن روب براير، في كتابه محاسبة القيمة في رأس مال ماركس: اليد الخفية، لفت الانتباه إلى المحاسبة الماركسية وضرورتها لفهم النظرية الماركسية. وهذا مناسب ليس فقط

أن النقد العام الذي يردُّ عليه براير هو أن نظرية ماركس للقيمة لا تحسب المعدل العام المناسب للربح عند تطبيقها. من الواضح أن براير لا يوافق على هذا الرأي، ويقول على الفور إن نظرية محاسبية يمكن أن توضح هذه المسألة.

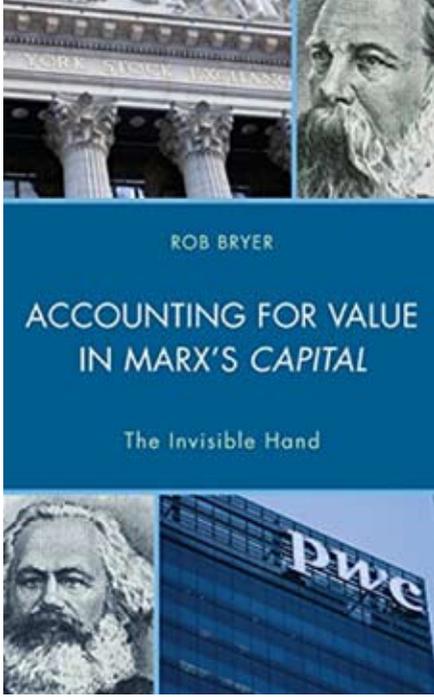
كنقطة تاريخية موجزة لم ترد بشكل صريح في النص، فإن نظرية القيمة التي يتناولها براير (تصور ماركس لنظرية العمل للقيمة) رفضها الاقتصاديون البرجوازيون بشكل عام، الذين شعروا أن نموذج ماركس لا يتناسب مع الربح. فهؤلاء الاقتصاديون يرفضون أن العمل هو أساس القيمة، وهذا يُضربُ بحجة ماركس. ومع ذلك، وكما سيوضح براير، فقد تجاهل هؤلاء الاقتصاديون البرجوازيون جوانب من فكر ماركس، ويعتقد براير أنه يستطيع تلبية اهتماماتهم مع الحفاظ على ثراء نظرية ماركس للقيمة. يتم ذلك بشكل أساسي عن طريق تحويل السياق، الذي نفهم فيه نظرية ماركس، من الاقتصاد الأساسي إلى المحاسبة التاريخية.

يذكر براير عددا قليلا من تقنيات المحاسبة (التزامن simultaneousist، والنظام المزدوج dualsystem، وما إلى ذلك) ولكنه يوضح أن تفسير النظام الأحادي الزمني (2) Temporal Single-System Interpretation (TSSI)) هو النظام الأكثر دقة لتحليل رأسمالية القرن التاسع عشر. يشرح برير السبب:

والتقييم valuation، وأي قارئ يرغب في فهم تعقيدات نظرية القيمة بعمق أكبر عند ماركس. وفي حين أن القليل من المعرفة بالمحاسبة والاقتصاد قد يكون مطلوبا لتقدير عمل براير بشكل كامل، فإن مشروعه الشامل متيسر تماما - في ضوء المناقشة الحالية بين الاقتصاديين والفلاسفة حول صحة نظرية العمل للقيمة - ويأتي هذا العمل في وقت مناسب جداً. في بداية النص، يقدم مسرداً لاختصارات المصطلحات المحاسبية المهمة، مما يساعد بشكل كبير في عملية فهم تعقيدات أطروحته، خاصة بالنسبة لأولئك الذين قد لا يكون لديهم خلفية كبيرة في المحاسبة أو الاقتصاد.

على أي حال فإن القيمة الحقيقية تكمن في التطبيق الفلسفي - أي تفسيره لماركس وتوزيع تفاصيل مجلدات رأس المال 1-3 لإظهار أن القراءة الدقيقة لماركس، وفقاً لبراير، تزودنا بكل المعلومات التي نحتاجها لتطوير طريقة ماركس المحاسبية وكيف أن هذه القراءة تحافظ على تكرار ماركس لنظرية قيمة العمل. هذه الطريقة والنتائج التي تقدمها هي التي تشكل قوة حجة براير، حتى عند فرز الأجزاء المعقدة والأجزاء التي غالبا ما تبدو متناقضة من رأس مال ماركس.

تبدأ الحجة الأساسية التي يطرحها براير في كتابه بفهم كيفية قياس المحاسبين للمدخلات الاقتصادية مثل رأس المال والعمل. من المهم أن نلاحظ



بمجرد أن يحدد براير بنجاح جميع العناصر والأجزاء في تحليله، يوضح أن طريقة المحاسبة "الزمنية" (مثل تفسير النظام الأحادي الزمني TSSI)، تركز على قيمة السلع حيث يتم تقييمها في نقاط مختلفة في العملية من الإنتاج إلى البيع. هذا يسمح له أن يرى أن قيمة السلع تكتسب وزناً من ضخ العمل، ولكن مع مراعاة رأس المال أيضاً. إذا كان هذا [العمل ورأس المال يُشكّل] نظاماً أحادياً، فإن التفسير يسمح لنا برؤية السوق كوسيلة للتداول - عنصر مهم في حجة ماركس.

يجادل براير بأن نظرية القيمة لماركس صحيحة لأن طريقة محاسبة

يوضح التفسير المحاسبي أن نظرية ماركس في تحديد القيمة هي نظرية "زمنية" "temporal"، أي أنها تشرح كيف يفسر الرأسماليون خلق القيمة عبر الزمن، في الإنتاج، وهو "نظام أحادي" 'single-system'، ويشرح كيف يتم تحديد القيم والأسعار وتتم محاسبتها بشكل مترابط، وبالتالي رفض تفسير النظام الأحادي الزمني TSSI لجميع التفسيرات التزامنية والنظام المزدوج. (ص 9).

وكما يوضح براير، على الرغم من كثرة التفسيرات المتاحة، فإن تفسير النظام الأحادي الزمني TSSI يقوم بأفضل وظيفة لتقييم محاسبة الشركات، كالمصانع، التي تستخدم رأس المال والعمل لتوليد القيمة.

بمجرد تحديد براير لجهازه المحاسبي لفهم نظرية القيمة لماركس، فإنه يكرس باقي الكتاب لتحليل رأس المال والعمل والدور الذي يلعبه في نظرية القيمة التي طرحها ماركس. في فصوله اللاحقة، تصبح المادة أكثر كثافة وتركز على أشياء مثل رأس المال المتغير، ورأس المال الثابت، والعمل المنتج وغير المنتج. هذه كلها أبعاد لفكر ماركس والمحاسبة وهي أساسية لتوضيح حجته. قد تكون هذه الفصول الكثيفة صعبة، خاصة بالنسبة لأولئك الذين لم يدرسوا في دراسة الاقتصاد و/أو المحاسبة. ومع ذلك، يقوم براير بعمل ممتاز في تقسيم الأشياء إلى أبسط أجزائها وبيان كيفية عملها في النظام العام.

للقيمة والمحاسبة“)، يدخل براير في جهد منسق لإظهار ”الروابط بين نظرية ماركس للقيمة ومبادئ وممارسات المحاسبة الرأسمالية ...“ (25) هذا التركيز على نظرة معاصرة إلى رأس مال ماركس هو أساس ضروري لبقية النص. يبدأ براير الربط بالقول إن ماركس استخدم المحاسبة الإدارية (وهي ممارسة حالية يعتقد براير أنها واضحة في تحليل ماركس). على المستوى الأساسي، كتب براير أن ”نظرية ماركس للمحاسبة الرأسمالية بليجاز هي أن إدارة (مديري) كيان تجاري ”مسؤولة“ أمام سوق رأس المال لدورة رأس المال، (29) ”(M-C-MM). [توظيف] المال [لإنتاج] سلعة [لتحقيق] المزيد من المال (M-C-MM) هو عنصر أساسي في رأس مال ماركس، وبرابر مُحق في الاعتقاد بأن الانتقال من العمل [في النظام] الإقطاعي إلى العمل [في النظام] الرأسمالي يظهر تركيزاً للقوة في الرأسمالي، الذي يسميه براير هنا ”مدير“ ”director“ إن الرأسمالي يعمل على تعظيم قيمة سلعته لأنه بعد ذلك يمكن أن يكون التبادل [بيع السلعة في السوق] مربحا لاسترداد المزيد من الأموال. إن نظرية ماركس للتداول هي التي تنتسب الإدارة (الرأسمالي) إلى موقعها الضروري باعتبارها مسؤولة عن الانخراط في هذا التداول، حتى لو كان ذلك بسبب الاستجابات العادية لأحداث السوق.

TSSI تكشف أن منحى الربح يتناسب مع حجج ماركس (النقطة الشائكة المركزية لمعظم الاقتصاديين الماركسيين والبرجوازيين). هذه الحجة الأساسية تبدو بسيطة، وهذه جزئياً نتيجة لتبسيط طريقة تفسير النظام الأحادي الزمني TSSI ونظرية ماركس للقيمة. ومع ذلك، فهي تحوّل مهم في الوضع الراهن للاقتصاديين الذين يرفضون عموماً نظرية ماركس للقيمة، وحجة تلقي ضوء جديد على تعقيد قديم.

في حين أننا أمعنا النظر في حجة براير، من المفيد أن نفهم كيف قام بتقسيم هذه العملية إلى سبعة فصول.

في الفصل الأول (”اليد الخفية“)، يصف براير عموماً أنظمة المحاسبة المختلفة ويضع أطروحته العامة ”أن نظرية ماركس عن ”القوة“ ”po-er - نظريته عن السيطرة الرأسمالية - متماسكة ومنطقية، ومتسقة مع ما تشهد عليه مبادئ وممارسات المحاسبة الرأسمالية.“ (3) ويقدم براير الحجة الأكثر استفزازاً بأن نظرية ماركس للقيمة هي في الواقع نظرية محاسبية. بمجرد أن نثبت ذلك، يمكننا أن نرى أن ”نظرية القيمة لماركس توفر الأساس لبرنامج بحث تقدمي من خلال إعطاء الماركسيين ”نظرية محاسبية نقدية“ توضح الأساس الاجتماعي الخفي للرأسمالية، وتتركهم مع مهمة ”المحاسبة النقدية“ ... ”(5)

في الفصل الثاني (”نظرية ماركس

على الرغم من عدم تناول كتاب براير لمراسلات ماركس بشكل مكثف، إلا أن مراسلات ماركس مع إنجلز كانت ضرورية لتعلم نظرية المحاسبة، وكما يجادل براير، أصبح هذا التعلم ضروريًا لنظرية القيمة لماركس.

يتابع براير عرضه أن ماركس أطلق على أعظم إبداعاته رأس المال لأن ماركس أدرك مدى قوة رأس المال. يؤكد براير هذا عندما يكتب:

بمعنى آخر، في أي نقطة في الزمن، يعمل رأس المال على أنه (1) مال money أو مطالبات به [بالمال] (على سبيل المثال، المدينون) في انتظار تحويله إلى قيم استعمالية ضرورية، أو لتوزيعه على المستثمرين، (2) تكلفة القيم الاستعمالية الضرورية لإنتاج السلع الجاهزة أو الخدمات (على سبيل المثال، المصانع والمباني ومخزون المواد الخام والعمل الجاري) [السلع غير المكتملة قيد الإنتاج] أو (3) مخزون السلع الجاهزة والسلع الأخرى المعروضة للبيع. (77) يوضح هذا الشرح لدور المدخلات المختلفة، على الأقل لماركس وبرير، أن رأس المال يلعب دورا فريدا في كل من كيفية عمل القيمة والتداول. بالإضافة إلى ذلك، فإنه يستخدم أنظمة التبادل هذه التي تسمح للتطور الرأسمالي بالتقدم للأمام وأن يصبح أكثر شمولية tota-izing.

يمكن القول إن الفصل الرابع ("نقد محاسبي للاقتصاد الماركسي") هو

من المفيد فهم الاقتصاد في هذا الفصل. أولاً، يعتقد براير، مثل ماركس، أن قيمة السلعة تنشأ من وقت عمل العامل. هذه نقطة مهمة لأن ماركس، كما يجادل براير، يعتقد أن العمل مركزي للرأسمالية وسيكون هذا لاحقا جزءا من مفهومه للاستغلال في الرأسمالية. لكن حتى لو قبلنا العمل، يجادل براير بأن ماركس وجد أيضا تداول رأس المال (حركته عبر الاقتصاد في إشارة إلى المال والسلع الأخرى) كجزء ضروري من نظريته عن القيمة. يمكن الاطلاع على تطورات الأخرى في الفصل التالي.

يفرد براير الفصل الثالث ("المحاسبة وإنتاج رأس المال") لمناقشة الخلفية التاريخية التي جاء منها ماركس ليصف أولاً رأيه في رأس المال والرأسمالية. يلاحظ براير بحق في بداية الفصل عندما يدعي أن "ماركس كان ضليعا في الفلسفة، ولكن قبل أن يلتقي إنجلز، كانت معرفته العملية بالرأسمالية معدومة" على النقيض من ذلك، كان لدى إنجلز "معرفة مباشرة لا تقدر بثمن بألية الرأسمالية" وكان يعلم من خلال تدريبه وخبرته أن المحاسبة كانت ترسا حيويا" (59). قد يكون ماركس غير متأكد من المحاسبة، بالنظر إلى خلفيته التعليمية الفلسفية، كما يجادل براير. ومع ذلك، فكما ناقش ماركس مع إنجلز طبيعة المحاسبة، تحولت نظريته عن القيمة لتلائم بشكل أفضل نظرية المحاسبة.

أصعب فصل من فصول كتاب براير، حيث يستخدم نظرية المحاسبة لنقد الاقتصاد الماركسي. يأخذ براير وقته في إظهار أن الماركسيين قد يحتاجون إلى إطار جديد، يمكن من خلاله فهم نظرية ماركس للقيمة، بدلاً من نظرية قيمة جديدة ومنفصلة تماماً. إنه يقتبس ماركس باستحسان عندما يكتب: "بدون الرأسمالية وتاريخها، لا يوجد معدل عام للربح، وبالتالي" من المناسب تماماً اعتبار قيم السلع، ليس فقط نظرياً ولكن تاريخياً أيضاً، شرطاً مسبقاً لأسعار الإنتاج" (112). وهذا هو رد براير على الجدل حول القيمة والسعر. إنه لا يخوض في تفاصيل كثيرة إذ أن ماركس ردّ على هذه المسألة في أجزاء لاحقة من رأس المال، ولكن الأهم من ذلك أن [موقف] براير واضح وهو أن القيمة منفصلة عن السعر، حيث نرى بعض الاختلافات العددية بين الربح وفائض القيمة. ومع ذلك، فإنهما [الربح وفائض القيمة] يتمتعان بعلاقة مع بعضهما البعض يمكن تحليلها في نظرية القيمة لماركس.

يقول براير إن "الحل المحاسبي لماركس يشرح بياناته الخاصة بالقيمة - السعر، وهي التي كانت إجابته على سؤال كيف أن المنافسة وحسابات الرأسماليين تعملان على تفعيل تحويل القيم إلى أسعار، وتحديد قيم (أسعار التكلفة) للمدخلات ومعدلات أسعار متساوية للربح، في الواقع" (125) هذا

التحول، الذي تم إجراؤه رياضياً في هذا الفصل، يؤسس رابطاً بين نظرية القيمة لماركس ونظريته المحاسبية التي تدشن تحليل براير لماذا يعتقد أن نظرية ماركس للقيمة ليست عديمة النفع.

يصبح تحول القيمة إلى الربح الذي تحدثنا عنه أعلاه موضوعاً بارزاً ومهماً في الفصل الخامس من كتاب براير ("حل ماركس المحاسبي لـ" مشكلة التحول")، حيث يركز على استجابة ماركس لنقد "تحول" القيمة إلى السعر:

يقول ماركس إن فائض قيمة الرأسمالي الفرد هو "مقياس الحجم المطلق" للأرباح الفردية، وهي "شكلها المَحْوَلُ"، لأن الرأسماليين الأفراد يقيسون الربح باعتباره "شكلاً محوّلاً" لإجمالي فائض القيمة، أي حسابهم لربحهم باستخدام المبادئ التي أوضحتها نظريته في القيمة، وبالتالي فهي مجموع فائض القيمة الإجمالية (153)

قياس الربح ضروري لأن هذا هو العامل المحفز في الرأسمالية. يقدم براير هنا برهاناً معقداً، لن أعيد إنتاجه، لكن يكفي أن أقول إن "مشكلة التحول" قد بدأ حلها، وفقاً لبراير، من قبل ماركس عندما ربط، نسبياً، فائض القيمة ومعدل الربح. مع الفصل السادس ("رأس المال الثابت")، قد يجد القراء غير المتمرسين في الاقتصاد فصلاً كثيفاً وليس مفيداً للغاية، على الرغم من أنه يتضمن شرحاً لرأس المال الثابت والدور الذي يلعبه رأس المال بالنسبة لماركس:

تكمن القوة الأساسية لكتاب براير في أنه يستخدم عددًا كبيرًا من الأدوات الاقتصادية والمحاسبية لإعادة صياغة نظرية ماركس للقيمة. طريقة الحجة مقنعة وتستخدم مزيجًا من الأساليب الفلسفية وكذلك البيانات المالية والإحصائية. يوضح هذا المزيج حججه، وعلى الرغم من الاستخدام المستمر للجداول والرياضيات في ثنايا الكتاب، فإنه يشرح أيضًا أفكاره من خلال الكتابة النثرية، مما يسمح لمن ليس لديهم معرفة عميقة بالاقتصاد والمحاسبة بتقدير قدرته على الإقناع بحجته.

يتمثل الضعف الرئيسي في النص في أنه لا يحل المشكلات المتعلقة بنظرية ماركس للقيمة بشكل كامل. فبينما يلعب رأس المال دورًا محوريًا في هذا الكتاب، فإن براير أقل عرضًا لدور العمل وكيف يتم حساب قيمة السلع من خلال وقت العمل (جوهر حجة ماركس في المجلد الأول من رأس المال). يعني هذا الإغفال أن الأسئلة التي تتطوي على المعدل العام للربح، وهي القضية الأكثر أهمية للاقتصادي في تعامله مع نظرية ماركس للقيمة تبدو وكأنها استجابة للاقتصادي الآن بدلاً من معالجة تاريخ الاقتصاد ونظريات القيمة. على الرغم من أن براير لا يتخلى عن العمل تمامًا، إلا أنه يقلل من قيمته ليناسب النموذج المحاسبي بشكل أفضل، وهذا، في رأبي، يضعف حجته ولا يفعل الكثير لتفسير المدخلات خارج رأس المال.

كان السؤال الرئيسي هو قياس نقل قيمة رأس المال الثابت، و"درجة" نقله إلى المنتجات، وكم كانت "الأجزاء [bits]" كبيرة. واجه ماركس هذه المشكلة في عام 1862، وتضمن الفصل الثالث اكتشافه أنه قادر على شرح المحاسبة الرأسمالية، بما في ذلك رأس المال الثابت، مما حثّه على اتخاذ قرارات بشأن عرض عمله وعنوانه. يدعم هذا الفصل هذا الادعاء من خلال إظهار ماركس مستخدمًا نظريته في القيمة لشرح كيفية حساب الرأسماليين لـ "الأصول الثابتة" (179)

في الفصل السابع والأخير ("العمل المنتج وغير المنتج")، يجادل المؤلف بأن نظرية ماركس للقيمة تحتاج إلى التمييز بين العمل المنتج وغير المنتج: يجادل الفصل بأن التمييز مهم بالنسبة لماركس لإثبات نظريته في القيمة، والتي يستخدمها لشرح فئات العمل "المنتج" و"غير المنتج" في حسابات الرأسمالي الفرد، ولإنشاء حسابات لرأس المال الاجتماعي الكلي، مما يوفر بشكل عام مفهومًا رائدًا غير معترف به لحسابات الدخل القومي الحديثة، لشرح الرأسمالية كنظام لإعادة الإنتاج والتراكم والسيطرة. (213)

يوضح براير أن آدم سميث أخطأ في التمييز [بين العمل المنتج والعمل غير المنتج] وأن "العمل المنتج" هو [دفع] أجور العمال من عملهم، في حين أن [العمل] "غير المنتج" هو دفع أجور العمال من ربح الرأسمالي.

تقدير نظرية ماركس للقيمة وصلاحتها من الناحيتين التاريخية والعلمية. لا يقدم لنا براير الحل المطلق، حتى لو كان موجوداً؛ نحن بحاجة للتحقق من نظرية القيمة لماركس. ومع ذلك، فقد قام بالعمل الأساسي اللازم الذي يمكن تناوله في الأبحاث المستقبلية. يتطلب التحقق المناسب أكثر من مجرد نظرية محاسبية. ومع ذلك، فإن هذا الأساس غني بفضل براير، وسنكون مقصرين إن تجاهلناه.

إن نص براير غني بالتحقيق في كيف يمكن للقيمة، كما هو مفهوم الآن، أن تساعدنا على إدراك أن ماركس، قبل سنوات من عصره، أنشأ نظرية القيمة التي تدعمها تقنيات المحاسبة الحالية. يقوم براير بعمل رائع في توفير نص بلغة سهلة المنال إلى جانب المزيد من التفسيرات التقنية والرياضية. توفر المحاسبة الماركسية، بفضل براير وآخرين من أمثاله، مجالاً يمكن من خلاله إعادة

---

\* Review of Rob Bryer, Accounting for Value in Marx's Capital: The Invisible Hand. Lanham: Lexington Books. 2017. 319 pages.

AH Analecta Hermeneutica, Volume 12 (2020), ISSN 1918-7351

<https://journals.library.mun.ca/ojs/index.php/analecta/article/view/2280>

<https://journals.library.mun.ca/ojs/index.php/analecta/article/view/2280/1813>

A black and white photograph of a large stack of old, handwritten documents. The top page is clearly visible, showing several lines of Arabic script. The stack is thick, with many pages visible, and the lighting creates strong shadows, emphasizing the texture and depth of the paper. The background is dark, making the white paper stand out.

# نصوص قديمة

## جامعة بغداد . . واجباتها وأهدافها \*

الدكتور عبد الجبار عبد الله

اللائقة بالتعليم الجامعي، وان تقوم بتهيئة الوسائل اللازمة للقيام بالتدريس قيما متقنا وعميقا، وتتلخص هذه الوسائل بتوفير المختبرات التعليمية واستكمال اجهزتها وادواتها واستكمال المكتبة وتزويدها باهم المراجع والنشرات والمجلات، وتهيئة قاعات الدراسة والمطالعة، وتوفير العدد اللازم من المدرسين المتخصصين.

والواجب الثاني: تربية الشباب تربية صحيحة تهيؤهم لان يكونوا مواطنين صالحين في الجمهورية العراقية. والمواطن الصالح في نظرنا من كان متمتعا بالصحة السليمة، جسمية كانت ام عقلية، ومن كان ناضجا في ثقافته الاجتماعية، واعيا لمطالب العصر المتطور، ومن كان واقفا على ميول جمهوريته ونزعاتها، متقهما اهدافها، مؤمنا بواجباته الوطنية تجاهها، قادرا على الاضافة الى فلسفتها ما من شأنه أن يؤدي الى تقدمها وتطويرها، متمكنا من التفكير الايجابي في القضايا التي تعرض عليه، مستعدا لتنفيذ ما يعهد اليه من الاعمال بروح متقبلة منطلقة من الايمان بصحتها ووجاهتها، مروضا نفسه على حب النظام والتقيد بالحميد من العادات الاجتماعية والسلوك المتزن المقبول. وللهنوض بهذا الواجب تعمل الجامعة على أن تهتئ ما يلزم لذلك في محيطها وفي مناهج اعمالها

نشرت هذه المقالة في مطلع الستينات (اي بعد حوالي سنتين من تأسيس الجامعة التي عهدت رئاستها الى عالمنها الراحل)، وتليت في الندوة التي أقامتها رابطة الأكاديميين العراقيين في لندن بتاريخ 29 حزيران حول التعليم العالي والبحث العلمي في العراق، مع الإشارة الى احتفاظ افكار د.عبد الجبار بأهميتها في عراق اليوم، وذلك باستثناء التفاؤل الواضح فيها حول آفاق الجمهورية الوليدة بغياب الديمقراطية السياسية، وهو تفاؤل ساد اليسار داخل العراق وخارجه

الواجب الأول للجامعة تدريس مختلف المهن التي تحتاج جمهوريتنا اليها، وإعداد المهنيين القادرين على القيام بالأعمال الاعتيادية التي تتطلبها الحياة في بلد متمدن راق، ولا بد ان يستهدف هذا التدريس اعداد الخبراء القادرين على الابداع ضمن اختصاصات المهن المختلفة، بالاضافة الى تسيير الاعمال الاعتيادية. فالعراق اليوم في فترة انتقال يتحول خلالها من بلد بدائي كثرت ثرواته الطبيعية وقل استغلالها، الى بلد متقدم راق يتطلع الى وضع تلك الثروات في خدمة الشعب، لترفع مستوى معيشته، ولينعيم بالرغد والرفاه. وللقيام بهذا الواجب تعمل الجامعة على ان تحور مناهجها التعليمية وتقدمها حتى تكون في مصاف المناهج

بعض أوجه نشاطهم وتشجيع صحافتهم ونشراتهم، حتى تنضوي معظم أوجه النشاط الجامعي الطلابي تحت لواء اتحادهم. ومجمل القول في هذا الواجب الثاني أي واجب التربية، انه تنتظم فيه كافة أوجه الحياة التي لا تتناولها المناهج الدراسية.

أما الواجب الثالث للجامعة فهو واجب البحث العلمي. وهنا لا بد لنا ان نقرر ان الكثير من جامعات العالم الراقية، تسلم بان البحث العلمي هو واجبها الرئيس، وتعتبر التدريس واجبا ثانوية يتأتى عرضا اثناء القيام بهذا الواجب.

وهذا هو الفارق الأساسي بين الجامعة وبين مجموعة من الكليات والمعاهد، فالمفروض في الكليات والمعاهد المهنية ان تخصص بالتدريس وتفرغ له، اما ما يقوم به بعض أعضاء الهيئة التدريسية من بحوث فانما يتأتى عرضا، وربما كان مرده الى رغبة فردية تنشأ في الباحث نفسه. ومن هنا نشأ السبب في ان بعض الدول قد اخذت عزل المعاهد والكليات المهنية من الجامعات، وقصرت الجامعات عندها على الكليات المتفرغة للعلوم الحرة، التي تؤهل الطالب للبحث العلمي.

والبحوث العلمية عموما على نوعين، بحوث اساسية وبحوث تطبيقية.

فاما البحوث الاساسية فهي التي يتوخى منها الاضافة الى معلوماتنا العلمية البحتة. وتحصل بتطوير النظريات القائمة وتقديمها وابتداع نظريات جديدة، واستخلاص النتائج الجديدة من النظريات القائمة. والجامعة هي الموطن الأول لهذا النوع من البحوث، فالعلاقة واضحة بين

ونظم حياة اسرتها، وان تجعل من ذاتها مجتمعا علميا تتحقق فيه الأهداف السامية لكي يحيا الطالب داخلها فيمارس الصفات المنشودة ممارسة كافية تمتاز في طباعه امتزاجا حتى اذا ما ترك الجامعة وامتزج بالمحيط الخارجي كان عاملا من عوامل رفع ذلك المحيط الخارجي الى مستوى الحياة التي فيها داخل الجامعة. وتستعين الجامعة على تأدية هذا الواجب بإنشاء الأقسام الداخلية الكافية، المجهزة باحدث السبل التي تساعد على حياة فردية راقية وحياة اجتماعية متقدمة، وبانشاء القاعات الصالحة لممارسة سائر الفنون الجميلة لكي تربي في الطالب الذوق السليم والميل الى الاستمتاع المفيد ويعتاد على الطريقة المجدية لقضاء أوقات الفراغ واشباع رغبة الانسجام والتألف الطبيعي، وبانشاء الوسائل الضرورية لممارسة الالعاب الرياضية بمختلف انواعها على أن يفرض على الطالب الاشتراك بتلك الألعاب بصفقتها جزءا ضروريا من ثقافته الجامعية. وان تنظم الجامعة المحاضرات التثقيفية العامة وتحسن للطلاب حضورها والمشاركة في مناقشتها، وان تنظم الحلقات الجدلية، والجمعيات العلمية، وتحيب للطلاب المساهمة فيها، على أن تعودهم على اصول الجدل العلمي والالتزام بقيوده و شروطه، وان تنظم السفرات القصيرة والطويلة الأمد، داخل البلاد وخارجها، فتعود الطالب على الحياة الكشافية وتربي فيه روح الاعتماد على النفس والثقة بها. وفوق كل ذلك تعني الجامعة بتنظيم الطلاب ضمن اتحاد الطلبة العام وتشارك في إرشادهم ومعاونتهم وتقترح عليهم

1- دراسة حاجات البلد ومشاكله القائمة وتشخيصها ووصف افضل الطرق العلمية لتأمينها في ضوء النظريات العلمية المعروفة.

2- دراسة النظريات القائمة وتفهمها وفحصها والتأكد من مطابقتها للنتائج التجريبية، فمتى تبين فيها شيء من الخطأ نبيه، واقترح حذفها او تبديلها او تحويلها.

3- دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية وفحصها ومحاولة اشتقاق القواعد التجريبية التي تخضع لها، ثم ربطها بالحياة العامة بغية الاستفادة منها.

ومن الجدير بالذكر ان البحث العلمي امر واحد لا حدود فاصلة بين نوعيه؛ فالباحث الاساس ينبغي له أن يفهم الباحث التطبيقي ويبين نظرياته في ضوء نتائجها، كما ينبغي للباحث التطبيقي أن يستوعب نظريات الباحث الأساس ويفهمها. وكثيرا ما يمارس الباحث الواحد نوعين من البحث في آن واحد، والى جانب النوعين المذكورين من انواع البحث العلمي، لا بد من وجود حلقة الوصل بين المفكر والعمل. وحلقة الوصل هذه هي التكنولوجيا؛ فالباحث التطبيقي يأخذ النظريات من الباحث الأساس ويصف الطرق لاستغلالها والاستفادة منها في الحياة الاعتيادية ثم يعطيها الى الاخصائي في التكنولوجيا لكي يبين له الآلية التي تعمل بموجبها، أو الجهاز الذي ينفذ تصاميم الباحث، وعند انعدام الأخصائي بالتكنولوجيا تبقى دراسات الباحث مجرد خطط مرسومة على الورق .

أما ما يلزم توفره للنهوض بالبحث العلمي فيلخص بما يأتي:

تعليم النظريات وبيان ابتداعها، غير أن ما نسميه (بالحقائق العلمية) ليست حقائق ثابتة مطلقة قد بلغت صفة الكمال النهائي، بل الصفة الغالبة عليها كونها حقائق نسبية معرضة للتغيير والتبديل. ولذلك كان لزاما على الجامعة أن تفحص هذه (الحقائق) وتعرضها الى التجارب الدقيقة ثم تحاول إصلاحها حينما يتضح الخطأ فيها، ونبذها متى بان فيها الانحراف عن مستدلات التجارب العلمية.

وربما كان هذا سببا في ان الكثير من الجامعات قد جعلت شعارها "البحث عن الحقائق وفحصها والدعوة اليها وتلقينها". وأما البحوث التطبيقية فالغرض الأول منها اخذ النظريات العلمية القائمة، واعتبارها حقائق نسبية مفيدة، ومحاولة وضعها في صيغ البحوث التطبيقية انما تنبثق عن المتطلبات الفاشلة في المجتمع. وكثيرا ما يحصل ان ترصد الظاهرة وتنشأ الحاجة الى الاستفادة منها قبل ان يهتدى البحث الاساس الى حل معضلتها والتوصل الى نظرية مقبولة بشأنها. ولذلك كان من واجب البحث التطبيقي أن يفتش عن فرضية تجريبية تخضع الظاهرة لها، ثم يستغل تلك الفرضية ويصف طرق الاستفادة منها ريثما يهتدى القائمون على البحث الاساس الى حل الغازها كما انه كثيرا ما يحصل ان يأخذ الباحث التطبيقي نظرية قد اعتبرت كأنها نظرية صالحة، ثم يضعها حيز التنفيذ العلمي، فيبان له خطأها وعدم صلاحها، عند ذلك ينبه الى مواطن الضعف فيها. ومن هذا نرى ان للبحوث التطبيقية ثلاث غايات رئيسية هي:

3- التأكيد على ضرورة انشاء مكتبة لائقة بالبحث والاشترك بالمجلات العلمية المهمة والاتصال بمؤسسات البحث الخارجية وتبادل النشرات معها. وتشجيع النشر داخل الجامعة لنقل ما يتوصل اليه علماءها الى الخارج وتشجيع النقد العلمي النزيه للتأكد من قيمة ما قد ينشر في الداخل والخارج.

4- اقامة المؤتمرات العلمية والحلقات الدراسية لمناقشة الانتاج الجديد وتمحيصه ومبادلة الرأي في المشاكل القائمة.

5- تشجيع الاشتراك في المؤتمرات العلمية الخارجية وإرسال الوفود اليها وتلخيص اهم ما يعرض فيها ونشره بين أسرة الجامعة.

6- منح الجوائز للباحثين المتفوقين والترفيه عنهم والاعتراف بقيمة مجهوداتهم.

وفوق كل ذلك لا بد من رسم الخطط العامة للبحوث العلمية، بحيث تنظم في مشاريع علمية تؤلف وحدات قائمة بذاتها، ويعمل في كل مشروع نخبة من الأساتذة والطلاب على شكل فرقة متضامنة واحدة يساعد كل منهم الاخر ويشارك في ارشاده. ولهذا فان الجامعة جادة في تأسيس مجلس علمي أعلى يقوم على وضع تلك الخطط وتحديد واجبات المشاريع وأعمالها، ولا بد من الاعتراف بالبحث العلمي كعمل مستقل يتطلب الانصراف عن سائر الواجبات الأخرى. فمن اهم ما يتطلبه الباحث ان يتوفر له الوقت وان لا يقطع عليه سلسلة أفكاره واجبات جانبية يضطر الى القيام بها لتطمين قوته اليومي.

1- توفر العلماء المجرابين الذين مارسوا البحث واعتادوا على طريقه وتطبعوا بطباعه. فالعالم كالعامل لا يأتيه العلم بطريقة الوحي والتجرد، بل يتعلمه ويعتاد عليه ويمارسه ويزداد رسوخا به كلما ازداد ممارسة له.

2- توفر المختبرات والاجهزة اللازمة للقيام بالبحث. ومختبرات البحث تختلف عن مختبرات التعليم، واجهزته ليست اجهزة التعليم، بل انها تتطلب الكثير مما لا تتطلبه اجهزة الدراسة.

3- توفر مراجع البحث في المكتبة وتداول المنشورات والمجلات التي تنقل نتائج ما توصل اليه العلماء في مختلف البلدان الأخرى الى العالم المحلي، بحيث يكون على اتصال دائم بالتيارات الفكرية العالمية، يتأثر بها ويؤثر فيها. فالعلم بطبيعته مظهر أممي شامل، والعالم الذي يعزل نفسه في برج عاجي لا يلبث أن يقضي على مواهبه ويقبر نفسه في برجه هذا.

4- توفر الجو العلمي الذي يساعد على البحث والانتاج ويشجعه ويحث العالم على شحذ مواهبه.

واما ما تستهدفه الجامعة للنهوض بهذا الواجب الرئيس فيتلخص في ما يأتي:

1- تهيئة العلماء بإرسال البعث الى الجامعات الخارجية للتدريب على البحث والممارسة واستقدام العلماء الأجانب ممن تضلعوا فيه، وتيسير العمل لهم في داخلها، وتدريب الموهوبين من شبابنا، طلابا كانوا ام مدرسين.

2- اقامة مختبرات البحوث والعمل على استكمال نواقصها وإضافة ما تحتاج اليها.

الا بالاستقلال. واذن فلا بد من ضمان استقلال الجامعة لتكون بعيدة عما قد يستجد من الأهواء والنزعات. ان احكام العلم كثيرا ما تكون قاسية وكثيرا تقابل لأول وهلة بالاشمزاز والاستهجان؛ فاذا تعرض العلماء الى شيء من الضغط او الأذى وجدوا أنفسهم في جو لا يشجعهم على التصريح بما يتوصلون اليه من النتائج، وضاعت الفائدة منهم وتحولوا الى اتباع بعد ان كانوا قادرين مرشدين، واذن فالشرط الأساس لممارسة الحرية الفكرية هو الشعور بالحصانة القانونية واستمداد القوة والصلابة من ذلك الشعور. ونحن اليوم في الجمهورية العراقية، ننعم بالانسجام التام بين اهداف جمهوريتنا الشعبية وبين اهداف العلم والحرية الفكرية، ولذلك فإننا لنعتمد مخلصين بأننا قادرون على تحقيق أهداف الجمهورية وتطويرها وتقديمها عن طريق ممارستنا استقلالنا وضمن الحصانة لأعضاء أسرتنا. ومن أجل ذلك فالجامعة جادة في أن تتقدم بطلب سن قانون جديد يحقق لها هذا المطلب الأساس.

والبحوث العلمية لا تزدهر وتتركز الا اذا نشأت في الجامعة دراسات عالية تجعل تلك البحوث من شروط الشهادة التي تمنحها وتفرضها فرضا وتعني بنتائجها. ولهذا فان الجامعة جادة في البدء بتنفيذ مشروعها بفتح دراسة الماجستير في الأقسام التي تتأكد من صلاحها لمثل هذه الدراسات.

ان جامعة بغداد، كما اسلفنا، ما تزال طفلة لم يمض على ولادتها الحقيقية أكثر من سنتين، والأهداف جسام لا يسهل تحقيقها بمجرد الرغبة وحسن النية. ولا بد من الانتظار مدة قد تطول قبل أن تبلغ تلك الأهداف النبيلة. ولكن هذا لا يمنعنا من أن نسير على الطريق القويم المؤدي الى بلوغها وان نزود انفسنا بما تتطلب اليه من متاع. ومتى يتأكد لنا ذلك نستطيع ان نطمئن الى اننا واصلون الى تلك الأهداف عاجلا أو آجلا. ومتى تستكمل الجامعة نواقصها وتبلغ سن الرشد تتقدم في توجيه هذا البلد نحو المدنية العلمية السعيدة. وأخيرا، لا بد من التأكيد على ان الاستقرار من اهم ما تتطلبه الجامعة للقيام بواجباتها. ولا يتأتى الاستقرار

• الثقافة الجديدة العدد 271 ، آب - أيلول 1996.

# نصوص مترجمة



# نحو نظرية نقدية للتواصل كتجديد وتحديث الإنسانية الماركسية (Marxist-humanist) في عصر الرأسمالية الرقمية

كريستيان فوكس

(معهد بحوث التواصل والإعلام، جامعة وستمنستر، المملكة المتحدة)

ترجمة وإعداد عادل كنيش مطلوب

## 1. المقدمة

في التعامل مع "التقليد الماركسي للتفكير النقدي" (Jhally، 2016، ص 338). حدث الابتعاد عن ماركس والتحليل النقدي للطبقة والرأسمالية في وقت توسع النيوليبرالية، والتي كان لها تأثير متناقض حيث أصبح التحليل الماركسي سياسيا أكثر أهمية من أي وقت مضى مع زيادة التفاوتات الاجتماعية وظهور أشكال جديدة من التشفير والعمل غير المستقر؛ في حين نفى التيار الأكاديمي والفكري السائد أهميتها. وفي كراهيتها لماركس والماركسية، شكلت ما بعد الحداثة والنيوليبرالية إجماعا أيديولوجيا غريبا.

في عام 2008، بدأت أزمة اقتصادية عالمية جديدة نتيجة لتطور تناقضات الرأسمالية النيوليبرالية (Foster & Magdoff، 2009؛ Harvey، 2010؛ Wallerstein، Roberts، 2016؛ Collins، Mann، Derluguian، &

منذ الثمانينيات، برزت اتجاهات للتنظير بأن النظرية الماركسية غير عصرية. في الفلسفة الاجتماعية، تحدث ما بعد الحداثة وما بعد البنوية، الروايات الكبرى والعالمية والامركزية التركيز على الاقتصاد. وكما أشار ديفيد هارفي (1990)، فقد أصبحت ما بعد الحداثة إيديولوجية شرعية لنظام التراكم المرن للرأسمالية، إذ حلت سياسة الهوية والاختزال الثقافي محل السياسة الطبقيّة والاقتصاد السياسي. في آخر مقابلة له قبل وفاته، لاحظ ستوارت هول، الذي دافع عن سياسات ما بعد البنوية والهوية في الدراسات الثقافية، بأن النظرية المعاصرة "في محاولتها الابتعاد عن الاختزالية الاقتصادية، نسيت نوعا ما بأن هناك اقتصادا على الإطلاق" (Jhally، 2016، ص 337) وأنها "ضعف حقيقي" لأن هناك نقاص

2013، Calhoun). منذ ذلك الحين، كان هناك اهتمام متزايد بأعمال ماركس (Fuchs & Monticelli، 2018). اليوم، أصبح من الصعب إنكار أن ماركس يستطيع أن يوجه تحليل مجتمع القرن الحادي والعشرين. في ضوء هذا التطور، تهدف هذه المقالات إلى المساهمة في تجديد النظرية الماركسية. بالنظر إلى أهمية تقنيات المعلومات والتواصل وعمل التواصل في المجتمع المعاصر، تحتاج النظرية الاجتماعية إلى أن تسأل: ما هو التواصل؟ ما هو دور التواصل في المجتمع؟ ما هو دور التواصل في الرأسمالية؟ ما هو دور التواصل في الرأسمالية الرقمية؟ يساهم هذا البحث في الإجابة على هذه الأسئلة من خلال تجديد الارتباط بتقليد معين للنظرية الماركسية، وهو إنسانية الماركسية.

## 2. إنسانية الماركسية اليوم

ظهرت نزعة إنسانية الماركسية في النظرية الاجتماعية في القرن العشرين. أساس هذه النظرية هو فلسفة هيجل الجدلية ومخطوطات ماركس الاقتصادية والفلسفية لعام 1844. كان اهتمامهما الأيكولوجي والسياسي هو إنشاء الاشتراكية الديمقراطية كبديل للرأسمالية والفاشية وأشكال أخرى من الدولة السلطوية. ركزت تحليلاتهما على الإنسان، والجوهر البشري، والممارسات البشرية، والاعتراب، والتطبيق السياسي، والصراعات الطبقيّة، ونقد الأيديولوجيا،

وجدل الموضوعات/ الأشياء، والممارسات/ الكيانات، والعمل/ رأس المال، والاقتصادي/ غير الاقتصادي، الاستمرارية/ الانقطاع، إلخ. هناك خمسة أسباب لاحتياجنا إلى تجديد إنسانية الماركسية اليوم.

السبب الأول هو ظهور الرأسمالية الاستبدادية. في النظرية النقدية، يعود مفهوم الاستبداد إلى إريك فروم (1941/1969)، الذي يعرفه على أنه شخصية اجتماعية تخضع لمن هم في السلطة وتتمتع بالسيطرة على الآخرين. بالنسبة لفروم، الفاشية هي الشكل الأكثر تطوراً للمجتمع الاستبدادي والرأسمالية الاستبدادية. يرى ماكس هوركهايمر (1939/1989)، ص 78) إمكانات استبدادية وبالتالي فاشية متأصلة في الرأسمالية نفسها. لكن ليس كل شكل من أشكال الرأسمالية يطور بالكامل إمكاناته الاستبدادية. يحدد أدورنو (1950-) عددًا كبيرًا من خصائص الشخصية الاستبدادية. جوهر هذا النهج يقع في أربع ميزات:

- الاستبداد الذي يجمع بين الإيمان المناهض للديمقراطية بضرورة وجود قادة أقوياء من أعلى إلى أسفل، وبين القومية.
- مخطط الصديق/ العدو وكبش الفداء الأيديولوجي.
- الإيمان بسياسة القانون والنظام.
- العنف، التشدد والحرب كأفضل الوسائل السياسية (Fuchs, 2018a).
- إن الرأسمالية الاستبدادية هي مجتمع

بدون سياسات طبقية ونتيجة لذلك، كان الإصلاح الليبرالي.

تقدم إنسانية الماركسية السياسات الاشتراكية الديمقراطية. لقد عززت ما بعد الحداثة كراهية ماركس. لكن في زمن الأزمة الرأسمالية الكبرى، كانت هناك حاجة ماسة إلى ماركس. لقد طورت نظرية وفكر ما بعد الاستعمار أشكالاً متقدمة من الاستشراق العكسي (Chibber, 2013; Warren, 2017) حيث تم اعتبار كل شيء غير أوروبي وغير غربي تلقائياً تقدماً، مما أضفي الشرعية جزئياً على الاستبداد. بينما تؤكد إنسانية الماركسية على العالمية والقواسم المشتركة بين البشر.

السبب الثالث هو الحاجة إلى التحليل الديالكتيكي. إن ما بعد الإنسانية، ومفهوم الأنثروبوسين، ونظرية شبكة الممثلين، والمادية الجديدة، وما إلى ذلك، هي عبارة عن هجمات على الإنسان تقضي على جدلية الوحدة والاختلافات في كيانات تقضي على أهمية البشر أو تقللها.

ما بعد الإنسانية يحط من قيم ديالكتيك البشر/ غير البشر والإنسان/ التكنولوجيا (الروبوتات) عبر شخص خيالي أو افتراضي تمتد قدراته الجسدية إلى ما وراء الحدود البشرية العادية بواسطة عناصر ميكانيكية مدمجة في الجسم. تعلن نظرية شبكة الممثلين لبورنولاتور أن الأشياء والأدوات مثل الآلات تشبه تماماً الفاعلين الاجتماعيين من البشر، ومعهم شبكات الممثلين. نتيجة لذلك،

يجمع بين الرأسمالية وهذه المبادئ. ظهرت أشكال جديدة من القومية والاستبداد في السنوات الأخيرة. إنها تشكل مخاطر على الديمقراطية ويمكن أن تؤدي إلى حرب عالمية جديدة، وإبادة جماعية، وفاشية، وما إلى ذلك. تشدد إنسانية الماركسية على الاشتراكية والإنسانية كمعارضين للفاشية.

أما السبب الثاني فهو محدودية ما بعد الحداثة في الرأسمالية المعاصرة. كان لألتوسير وفوكو تأثير كبير على ظهور وتطور ما بعد الحداثة وما بعد البنوية التي هاجمت النظرية الماركسية، والسياسة الطبقية، ومفاهيم الإنسان، والحقيقة، والاعتراب، والقواسم المشتركة، والعالمية، وما إلى ذلك.

في حين أن هناك منظري ما بعد الحداثة الذين استخدموا ماركس بشكل مثمر، فقد ساهمت إصدارات معينة من ما بعد الحداثة في تدهور النظرية الماركسية في عصر كانت فيه التناقضات الطبقية تتفجر. تنصدر إنسانية الماركسية التطبيق العملي كفضال طبقي ونظرية ماركسية. إنها نقد لما بعد الحداثة. طورت ما بعد الحداثة النسبية ومعاداة الكونية حيث لا توجد حقيقة. في عصر الأخبار الكاذبة، وما بعد الحقيقة، والقوميات/ الفاشية الجديدة، نحتاج إلى مفهوم سياسي للحقيقة. تمكنا إنسانية الماركسية من التفكير بشكل نقدي فيما هو صحيح وما هو خاطئ. لقد عززت ما بعد الحداثة سياسات الهوية

ينهي لاتور التمايز بين الإنسان باعتباره الكائن الاجتماعي وغير البشري باعتباره اجتماعيا (انظر أيضًا، Fuchs، 2020a، pp. 20–21).

تشكل المشاكل البنيوية السبب الرابع. (ما بعد) البنيوية تختزل البشر إلى حاملي كيانات تشبه الذمى على خيط. إنها تقلل من أهمية الممارسات البشرية والفكر البشري والتواصل والإنتاج والصراعات الاجتماعية في المجتمع. في المقابل، تؤكد نزعة إنسانية الماركسية على الممارسات والتطبيق وجدلية الممارسات/ الكيانات في المجتمع. تقسد الحسابات البنيوية للمجتمع الكيانات التي يتم تفسيرها على أنها جهات فاعلة مستقلة تعمل على البشر ومستقلة عنهم. إنهم يتجاهلون رؤية ماركس الديالكتيكية بأن البشر "يصنعون تاريخهم بأنفسهم، لكنهم لا يصنعونه كما يحلو لهم. إنهم لا يفعلون ذلك في ظل الظروف التي يختارونها بأنفسهم، ولكن في ظل ظروف تتم مواجهتها بشكل مباشر، ومعطاة ومنقولة من الماضي" (Marx، 1852، ص 103).

إن فتشية الاختلاف هي السبب الخامس (الفتشية هي السلوك الذي يهتم به شخص ما كثيرا بشيء أو نشاط ما لدرجة أنه يقضي وقتا غير معقول في التفكير فيه أو القيام به). إن تركيز ما بعد الحداثة على الاختلاف له ما يوازي إيديولوجية اليمين الجديد الذي يطالب بفصل الثقافات. إن الأشكال الجديدة للقومية التي انتشرت في السنوات العشر الماضية تبتث الاختلاف

من خلال التأكيد على الفخر بالأمة وكرهية المهاجرين واللاجئين والملونين، إلخ. تؤكد إنسانية الماركسية على عالمية الإنسانية، والسمات المشتركة للبشر، ولا يمكن تجزئة الإنسانية.

إن الأسئلة الأساسية التي يبدأ منها هذا النهج هو: ما هو التواصل؟ ما هو دور التواصل في المجتمع؟ القسم الثالث يتعامل مع هذه الأسئلة.

### 3 . التواصل في المجتمع

يحلل هذا القسم أولاً علاقة العمل والتواصل (القسم الفرعي 1-3) ثم يوسع المناقشة لتحليل دور التواصل في المجتمع بشكل عام (القسم الفرعي 2-3).

#### 3-1 العمل والتواصل

عند التفكير في نظرية نقدية للتواصل، سوف يفكر معظم العلماء فوراً في نظرية هابرماس للفعل التواصل، وهي النهج النقدي الأبرز والأكثر قراءة واستشهاداً بتحليل التواصل في المجتمع.

يختلف النهج المعرفي والمنهجي الذي يتبعه المؤلف الحالي كثيراً عن النهج الذي اختاره هابرماس في تكوين نظريته عن الفعل التواصل. شارك الفيلسوف الألماني بشكل أساسي مع منظري اللغة والتواصل غير الماركسيين، وخاصة جورج هربرت ميد، وجان بياجيه، وجون سيرل. لقد دعم هابرماس ضمناً التحيز القديم، ولكن من غير الصحيح، بأن الماركسية ليس لديها ما تقوله عن

التواصل والثقافة. على النقيض من ذلك، يحاول النهج الذي طوره المؤلف الحالي إبطال هذا الادعاء من خلال إظهار بأن هناك تقليدًا ثريًا ولكنه مُتجاهل للتفكير النقدي حول اللغة والتواصل في النظرية الماركسية.

انطلاقًا من فلسفة جينا لهيجل، طور هابرماس في مقال عام 1968 بعنوان "العمل والتفاعل" أفكارًا حول العمل والتفاعل التي شكلت في الثمانينيات أحد الأسس لنظريته لأبوبوس ماغنوم في "نظرية الفعل التواصلي" (Ha-ermas، 1985، أ، 1985 ب). في محاضرات جينا، جادل هيجل (1803/1804، 1805/1806) بأن العمل والتفاعل هما مظهران من مظاهر الروح. في تفسيره لفلسفة هيجل للروح، يجادل هابرماس (1968) بأن العمل والتفاعل جانبان من جوانب المجتمع يعتمدان على منطقتين مختلفتين، وهما الفعل الاستراتيجي (العمل) والفهم (التفاعل).

إن العمل والتواصل ليسا بعمليتين بشريتين منفصلتين، إنهما متطابقان ومختلفان. في أعماله الفلسفية المبكرة مثل "المخطوطات الاقتصادية والفلسفية" (Marx، 1844 ج) و"الأيدولوجيا الألمانية" (Marx و Engels، 1845/46)، سأل ماركس نفسه: ما هو الإنسان وكيف تعطل الرأسمالية الإنسان، وبنى نظريته النقدية عن الرأسمالية على هذه الأسس. الفكرة الأساسية لهذه

الأعمال هي أن الإنسان كائن مجتمعي. "الفرد هو الكائن الاجتماعي" (Marx، 1844 ج، ص 299). يشكل البشر ويتشكلون من خلال العلاقات الاجتماعية التي يدخلونها في الحياة اليومية: "ليس فقط إن المادة لنشاطي، التي أعطيت لي، هي كمنتج اجتماعي (كما هي حتى اللغة التي ينشط فيها المفكر): وجودي هو اجتماعي النشاط، وبالتالي ما أفعله من نفسي، أجعله من أجل المجتمع ومع وعي نفسي ككائن اجتماعي" (Marx، 1844 ج، ص 298). يضيف ماركس البصيرة القائلة بأن العلاقات الاجتماعية التي يدخلها البشر هي علاقات إنتاج. إن "إنتاج الحياة المادية نفسها [...] من أجل استدامة الحياة البشرية" هو "شرط أساسي في كل التاريخ" (Marx و E-gels، 1845/46، ص 42).

إن الإنسان كائن منتج، اجتماعي، مجتمعي. من خلال إنتاج ظروف حياتهم، ينتج البشر المجتمع ويعيدون إنتاجه. الإنتاج الاجتماعي، والإنتاج في العلاقات الاجتماعية، وإنتاج العلاقات المجتمعية والمجتمع، هي السمات الرئيسية للإنسان. تعني مادية المجتمع؛ أن الإنسان ينتج الاشتراكية وينتجها اجتماعيًا. الإنتاج لتلبية احتياجات الإنسان هو السمة الرئيسية للمجتمع. هذا يعني أن العمل هو العملية الأساسية التي يتكون منها المجتمع. إنها عملية اقتصادية لكنها تمتد من الاقتصاد إلى الحياة السياسية والثقافية. ينتج البشر

## 2-3 المجتمع كوسط للإنتاج المنظم بشكل تواصل

التواصل هو عملية إنتاج العلاقات الاجتماعية والجماعات والمنظمات والنظم الاجتماعية والبنى والمؤسسات. لذلك فهي أيضاً العملية التي تنظم وتتوسط إنتاج وإعادة إنتاج المجتمع بطريقة ديناميكية.

المجتمع هو الكل - مُركب المُركبات، كما يقول (Lukács (1986a, 1986b) - حيث ينتج فيه البشر ويعيدوا إنتاج العلاقات الاجتماعية التي تعمل على تهيئة وتمكين وتقيد ممارساتهم. إنها عملية جدلية حيث الممارسات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية تضع بعضها البعض بشكل متبادل. يتكون المجتمع من ثلاثة مجالات هي الاقتصاد والسياسة والثقافة. هذه العوالم ليست منفصلة من جهة ولا يمكن اختزالها بالكامل في نظام واحد ولا هي مؤسسات متساوية في المجتمع. كلها اقتصادية لأن جميع النظم الاجتماعية هي أنظمة إنتاج.

النهر هو تشبيه جيد للمجتمع. المجتمع هو تدفق ديناميكي ومنتج للأششطة البشرية. يصف جورج لوكاش المجتمع بشكل مجازي بأنه "نهر الحياة اليومية" (Lukács، 1963، p. 13، see translation from German). (the visualization in Figure 2 يبرز النهر باعتباره جدلية المجتمع في دور الشبكات والعمليات وتيارات

أيضاً علاقات سياسية، حيث يتخذون قرارات جماعية، وعلاقات ثقافية، حيث يصنعون معنى للعالم. لذلك، فإن الإنتاج لا يخلق فقط "الأكل والشرب، والمسكن، والملبس" ولكن أيضاً "أشياء أخرى مختلفة" (Marx و Engels، 1845/46، ص 42)، بما في ذلك العلاقات الاجتماعية، والمجتمعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية. إن البصيرة الاجتماعية الرئيسية لماركس هي أن كل شيء موجود في المجتمع هو علاقة اجتماعية، ويتم إنتاجه كعلاقة اجتماعية. التواصل، أي "إنتاج الأفكار" و "التواصل العقلي" للبشر، ليس غير مادي ولكنه جزء من "النشاط المادي" (Marx و Engels، 1845/46، ص 36). التواصل هو "لغة الحياة الواقعية" (ص 36). البشر هم "منتجو تصوراتهم وأفكارهم وما إلى ذلك". (ص 36).

يجادل ماركس وإنجلز بأن التواصل هو عملية إنتاج. هناك ديالكتيك في العمل والتواصل: يتواصل البشر بشكل مُنتج وينتجون بشكل تواصل. يهدف التواصل إلى إنتاج قيمة استخدام اجتماعية محددة، وهي أن البشر يفهمون العالم ويفهمون لبعضهم البعض. لذلك، يكون التواصل مثمراً. إن إنتاج قيم الاستخدام التي ترضي احتياجات الإنسان لا يمكن تحقيقه بشكل فردي، ولكن فقط في العلاقات الاجتماعية. التواصل هو العملية التي تنظم العلاقات الاجتماعية. لذلك، ينتج البشر بشكل تواصل.

#### 1-4 ما هو الاغتراب؟

البشر هم "مجموعة العلاقات الاجتماعية" (Marx، 1845، ص 4) حيث يتفاعلون مع البشر الآخرين في الحياة اليومية. نحن نتكون في مسار حياتنا من خلال العلاقات الاجتماعية التي ننتجها ونعيد إنتاجها وندخلها وحيث نلتقي بالآخرين كجزء من المجتمع. يمكن تنظيم العلاقات الاجتماعية والمنظمات والمؤسسات والمجتمع بأساليب مختلفة. في العلاقات الاجتماعية التعاونية، يتصرف البشر بأخلاق تفيد الجميع أو على الأقل الكثيرين. في العلاقات الاجتماعية التنافسية والفعالة، يحاول البشر الاستفادة من بعضهم البعض بحيث يستفيد أحدهم أو بعضهم على حساب الآخرين. هناك فرق بين المنطق التعاوني والادائي الفردي. يوجه الاداء الفردي الفعل البشري بحيث يستغل البعض الآخر، بينما يصوغ المنطق التعاوني الأفعال بطرق تخلق مزايا وحياة أفضل للجميع. إن إجراءات الاداء الفردية والتعاونية نوعان من العمل الهادف. في حين أن الأول يهتم بإحداث فوائد للقلة، يريد الثاني خلق فوائد للكثيرين.

الاغتراب هو المصطلح الذي يستخدمه ماركس لوصف العلاقات الاجتماعية المسيطرة وغير المتكافئة حيث لا يتحكم البشر في الظروف التي يعيشون فيها. في العلاقات المغتربة، لا يتحكم البشر في علاقات الإنتاج الاجتماعي ووسائله ونتائجه. يصف ماركس الاغتراب بأنه

الإنتاج الاجتماعي. وللأنهار فروع مختلفة تتدفق ديناميكياً داخل وخارج التيار الرئيسي. إن التصور المجازي للنهر يصف المجتمع على أنه دياكتيكي وإبداعي للتدفق المتناقض للإنتاج البشري.

إن السياسي والثقافي هما التيارات المنتجة، التي تتدفق من وإلى الاقتصاد. التواصل هو مياه الأنهار المجتمعية التي تتوسط وتمكن الحياة داخل التيار وتكاثره. في المجتمع الرأسمالي، غالباً ما لا تكون الأنهار زرقاء ونظيفة كما يوحي عنوان فالس ليوهان شتراوس "نهر الدانوب الأزرق الجميل". يبدو الواقع الرأسمالي أشبه بالنهر الملوث. النهر الملوث هو استعارة لكيفية تدمير الكيانات الطبقة والهيمنة على الحياة والبشر والمجتمع والطبيعة. تحتاج نظرية التواصل النقدية إلى النظر أيضاً في دور التواصل في المجتمع المغترب، أي المجتمعات الطبقة والمجتمع الرأسمالي. الجزء التالي من هذه الورقة يناقش التواصل في الرأسمالية.

#### 4. التواصل والاعتراب والرأسمالية

##### الرقمية

يناقش هذا القسم أولاً ماهية الاغتراب (القسم الفرعي 1-4) ثم يحلل العلاقة بين الاغتراب والتواصل في المجتمع الرأسمالي (القسم الفرعي 2-4) مع التركيز بشكل خاص على أمثلة من الرأسمالية الرقمية.

والاستبداد. في الأشكال الاجتماعية الاستبدادية، "تحدد السلطة ما هو جيد للإنسان وتضع قوانين وقواعد سلوك"، (Fromm، 1965، p. 6). في الأشكال الاجتماعية الإنسانية، يكون الإنسان "معطي القاعدة وموضوع المعايير" (ص 6). الاستبداد هو نوع من هيكلية الشخصية، والأيدولوجيا، والبنية الاجتماعية، والنظام الاجتماعي حيث يتم التعامل مع البشر مثل الأشياء والأدوات. الإنسانية هي نوع من هيكلية الشخصية، والأيدولوجيا، والبنية الاجتماعية، والنظام الاجتماعي حيث يتم التعامل مع البشر بطريقة إنسانية حتى يتمكنوا من إدراك إمكاناتهم ويمكن للمجتمع أن يدرك إمكانياته بحيث يستفيد منها الكثير. يستخدم جورج لوكاش (1971) مصطلح التجسيد للعمليات التي يُعامل فيها البشر مثل الأشياء. يدافع أكسل هونيث (2008) عن تجديد مفهوم التجديد في النظرية النقدية ويفسره على أنه عمليات تخلق عدم الاحترام وتحافظ عليه. يرتبط التجسيد ارتباطاً وثيقاً بالاغتراب. في حين أن إعادة التجسيد أكثر تقدماً لعملية اختزال البشر إلى حالة الأشياء، فإن الاغتراب له مزيد من الضغط على نتيجة هذه العملية، أي أن البشر ليسوا ما يمكنهم، ويستحقون ويجب أن يكونوا، لكنهم خارج نطاق السيطرة على الظروف التي تشكل حياتهم.

هناك تناقض أساسي بين منطق الاداء الفردي والتعاوني. يحدث على مستوى

"فقدان الذات" (ماركس، 1844، ص 228)، "العجز" (ص 228)، "فقدان الوجهة" (ماركس، 1844 ج، ص 273)، "فقدان الإنسان لواقعه" (ص 279)، "يكون انتاجه خسارة" (ص 279).

يرى ماركس الاغتراب على أنه عزلة اقتصادية، أي علاقات طبقية، علاقات يكون فيها نشاط العامل "ينتمي إلى نشاط آخر؛ إنه فقدان لنفسه" (ماركس، 1844 م، ص 274). لكنه من ناحية أخرى، يصف الأيدولوجية الدينية والدولة البرجوازية بالاغتراب (Fuchs، 2018c)، مما يدل على أنه إلى جانب الاغتراب الاقتصادي ومعه توجد أيضاً أشكال سياسية وثقافية من الاغتراب. لذلك يرى ديفيد هارفي (2018) أن الاغتراب هو عملية عالمية تمتد إلى ما وراء الإنتاج الاقتصادي إلى إدراك القيمة، واستهلاك وتوزيع السلع، والسياسة، والثقافة، والحياة الاجتماعية. يتحدث عن الاغتراب العالمي. يعرف هارفي (2003، 2005) الإمبريالية الجديدة والليبرالية الجديدة على أنها تسليع (تقريباً) كل شيء والتراكم عن طريق التجريد من الملكية. التسليع والاستغلال وبالتالي محاولة تعميم الاغتراب هي سمات جوهرية للرأسمالية. لقد نجحت النيوليبرالية في تحطيم حواجز دولة الرفاهية أمام عملية الاغتراب الاقتصادي بحيث أصبح التسليع قادرًا على تكثيف وتوسيع نفسه.

يميز إريك فروم بين النزعة الإنسانية

الشخصية الاجتماعية هي بنية شخصية نفسية نموذجية سائدة لديها احتمالية أعلى في مجموعة اجتماعية معينة مقارنة بالمجموعات الأخرى. السلطوية والإنسانية هما الشخصية الاجتماعية الأساسية التي يحددها فروم. الأفراد الاستبداديون مدمرون واستغلاليون وتنافسيون وعدوانيون وبغيضون. الإنسانيون مبدعون، مهتمون، محبوبون، متعاونون ومفيدون. تتشكل نفسية الإنسان ووعيه من خلال العلاقات الاجتماعية التي يدخلون فيها على مدار حياتهم، وبالتالي يتأثرون بالتجارب التي يخوضونها والمستويات الجزئية والمتوسطة والكلية للمجتمع، بما في ذلك العلاقات الأسرية والشخصية، الاقتصاد والحياة السياسية والعلاقات الثقافية.

الرأسمالية هي شكل من أشكال الإنتاج الاقتصادي، حيث يضطر البشر إلى بيع قوة عملهم للرأسماليين الذين يمتلكون وسائل الإنتاج كملكية خاصة وإنتاج سلع تُباع في السوق من أجل تحقيق ربح نقدي يُعاد استثماره بهدف تراكم المزيد من رأس المال. وفقاً لماركس، في الاقتصاد الرأسمالي، الطبقة العاملة هي "آلة لإنتاج فائض القيمة" والطبقة الرأسمالية "آلة لتحويل فائض القيمة هذا إلى فائض رأس المال" (Marx، 1867a، p. 742) و"مستخرج العمالة الفائضة ومستغل فائض العمالة" (ص 425).

الرأسمالية هي عالم مجتمعي عام شكله منطوق التراكم. في الاقتصاد،

الممارسات والكيانات التي تشكل بعضها البعض بشكل متبادل. في الاقتصاد، يأخذ التجسيد والاعتراب شكل العلاقات الطبقيّة حيث يستغل أصحاب الملكية الخاصة العمال. بينما في الاقتصاد الاشتراكي، هناك على النقيض من المجتمعات الطبقيّة؛ الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج والعمال بشكل جماعي يحكمون ويسيطرون على المنظمات التي يعملون فيها، فهناك ديمقراطية اقتصادية. في النظام السياسي، يعني التجسيد والاعتراب هيمنة مجموعة واحدة على الآخرين وفي حالتها القصوى؛ تجسدها الديكتاتورية. في المقابل، يعني العقل السياسي التعاوني ديمقراطية تشاركية، حيث يتحكم البشر بشكل جماعي في الظروف التي تشكل حياتهم (Macphe، 1973، Pateman، 1970).

في الثقافة المنفردة والمتحركة، هناك إيديولوجيات تحاول إخفاء الشرعية على المصالح المهيمنة عن طريق تشويه وإخفاء الواقع والكيانات التي تمنح الاحترام والشهرة للقلة وعدم احترام وتجاهل الكثيرين الذين يفتقرون إلى الصوت والرؤية. على النقيض من ذلك، فإن العقل الثقافي التعاوني يعني أن كل شخص يتم التعامل معه بطريقة محترمة، ومُعترف بها، وله صوت في المجال العام.

يقدم إريك فروم (1947، 1965، 1976) الشخصية الاجتماعية كمستوى يتوسط بين علم النفس الفردي والمجتمع.

الإعلان الرقمي. في اقتصاد الرأسمالية الرقمية، نجد الشركات الاحتكارية مثل Google أو Apple أو Fac- book أو Amazon أو Microsoft التي تتحكم في الخدمات الرقمية مثل محركات البحث أو الهواتف أو الشبكات الاجتماعية أو التسوق عبر الإنترنت أو أنظمة التشغيل.

نمت أهمية الإعلان عبر الإنترنت بشكل مستمر. يتحكم الإعلان الرقمي اليوم في الحصة الأكبر من عائدات الإعلانات العالمية. في عام 2018، استحوذت Google و Facebook معا على 72.1% من عائدات الإعلانات الرقمية في العالم و 31.9% من إجمالي عائدات الإعلانات العالمية. وتعد Google و Facebook من أكبر وكالات الإعلان في العالم.

بينما يعني التنظيم الإنساني لاقتصاد المعلومات الملكية الجماعية لوسائل التواصل وتنظيم التواصل والثقافة كسلع وهدايا مشتركة. هناك شركات ثقافية مدارة ذاتيا (تعاونيات ثقافية).

كانت شركة البث المملوكة للدولة النازية؛ تعني بأن الدولة النازية يجب أن تتأكد من أن المحتوى الذي تبثه وتنشره وسائل الإعلام يتماشى مع الأيديولوجية الفاشية والعنصرية ومعاداة السامية، إلخ. في التنظيم الاستبدادي للتواصل السياسي، هناك دعاية جماهيرية تحاول جعل الأفراد يستمعون إلى الزعيم المستبد. هناك عناصر استبدادية ليس فقط في الفاشية، ولكن في جميع أشكال الرأسمالية.

يعني التراكم ويستند إلى المنافسة بين الجهات الفاعلة في السوق، الذين يتعين عليهم السعي للسيطرة على رأس المال وتجميعه. في النظام السياسي للرأسمالية، هناك منافسة بين المجموعات السياسية التي تسعى جاهدة لمراكمة النفوذ وسلطة القرار. في النظام الثقافي للرأسمالية، هناك منافسة بين الأفراد الذين يسعون جاهدين ليصبحوا من المشاهير الذين يراكمون السمعة والاهتمام والاحترام. تشير كيانات التراكم إلى وجود رابحين وخاسرين. أقلية صغيرة من الرأسماليين والمديرين والمحافظين والمشاهير والمؤثرين تتراكم لديهم السلطة فيما يتم إضعاف العمال والمواطنين والأشخاص العاديين.

## 4-2 التواصل في سياق الاغتراب والرأسمالية الرقمية

في المجتمع الرأسمالي، يتم تنظيم العديد من تقنيات التواصل كملكية خاصة. هناك علاقة طبقية بين الطبقة المهيمنة والطبقة المستغلة من المعرفة وعمال التواصل الذين يخلقون المعرفة وأشكال التواصل التي لا يمتلكونها ولا يحكمونها ولا يتحكمون فيها. في الرأسمالية، يتم تنظيم التواصل والمعرفة على شكل سلع ثقافية تُباع في السوق من أجل تجميع رأس المال. هم جزء من الاقتصاد الثقافي للرأسمالية.

دعونا نلقي نظرة على مثال للاغتراب الاقتصادي في سياق الرأسمالية الرقمية:

اللوم عليهم في المشكلات الاجتماعية من أجل تشتيت الانتباه عن كيفية تأصل هذه المشكلات في طبقة الرأسمالية وكيانات السلطة.

إن الحكم الديمقراطي لوسائل الاتصال والمعرفة العامة هو سمة أساسية للتنظيم الإنساني للتواصل السياسي. يشارك المواطنون والعاملون في المجال الثقافي في إجراءات اتخاذ القرار في المؤسسات الإعلامية. لا توجد دولة أو غيرها من يستطيع احتكار الصوت. يتم تمكين المواطنين من قبل وسائل الإعلام للتحدث والاستماع إلى بعضهم البعض. لا تغطي التقارير الإعلامية فقط النخبة وتمجدها، ولكنها تهتم بحياة الناس العاديين. "أن يكون المرء قادراً على الاستماع إلى نفسه هو شرط أساسي للقدرة على الاستماع إلى الآخرين" (1947، Fromm، ص 79). يمكن التنظيم الإنساني للتواصل السياسي البشر من الاستماع إلى بعضهم البعض. كما أنها تمكنهم من الاستماع والاهتمام بأنفسهم. في مثل هذا النظام، يتفاعل البشر مع بعضهم البعض. هناك وسائل خدمة عامة مستقلة، مما يعني أن هذه الوسائط مستقلة عن سلطة الدولة والشركات وتوفر إشراكاً للمعلومات والتواصل والتعليم والخدمات الترفيهية. يتم تمكين وسائل الخدمة العامة بموجب القوانين ولكن لا تسيطر عليها الدولة.

في نظام ثقافي منظم بطريقة سلطوية ومنفصلة، نجد التواصل العام المستمر للأيديولوجيا. إن الأيديولوجيات هي

تريدنا وسائل الإعلام الرأسمالية أن نستمع ونعجب بالطبقة الحاكمة والنخبة البيروقراطية والمشاهير والمؤثرين. "نستمع إلى كل صوت وإلى الجميع ولكن ليس إلى أنفسنا. نتعرض باستمرار لضجيج الآراء والأفكار التي تدق علينا من كل مكان: الأفلام، والصحف، والراديو، والأحاديث الخاملة" (1947، Fromm، ص 121). في التواصل الاستبدادي، يتم إجبار البشر وتشجيعهم على الاهتمام بقائد (أيديولوجية أو نظام أو مجموعة أو فرد).

دعونا نلقي نظرة على الاغتراب السياسي في سياق الرأسمالية الرقمية الاستبدادية المعاصرة. في المجال السياسي للرأسمالية الرقمية، شهدنا ظهور أشكال جديدة من القومية والسلطوية اليمينية التي تشكل مرحلة جديدة من التطور الرأسمالي يمكن تسميتها بالرأسمالية الاستبدادية (Fuchs، 2018a). يستغل المستبدون اليمينيون الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي لنشر أيديولوجيتهم (Fuchs، 2020d). دونالد ترامب هو المثال الأكثر شهرة. مع 71.5 مليون متابع على Twitter في أواخر كانون الثاني (يناير) 2020، فهو الفرد صاحب المرتبة العاشرة من حيث عدد المتابعين. لديه متابعون على Twitter أكثر من Justin Timberlake وKim Kardashian. إن كيفية استخدام ترامب لـ Twitter، يعتبر مثلاً نموذجياً، لإلقاء اللوم على المهاجرين كمجرمين وإلقاء

أشكال من المعرفة، شرعت الهيمنة والمجتمع الطبقي. من خلال إنتاج ونشر الأيديولوجيا، يهدف أفراد ومجموعات اجتماعية معينة إلى إقناع أفراد الجمهور وكسبهم حتى يخلقوا هيمنة توافق على الاستغلال والسيطرة وترى هذه الظواهر ضرورية وطبيعية وجيدة. يستخدم الأيديولوجيون استراتيجيات مثل التسريع، والإيجاز، والإخفاء، والتشويه، والأكاذيب، والتلاعب، والتخصيص، والفضيحة، وكبش الفداء، والسطحية، إلخ. إنهم يريدون خلق وعي زائف وإعادة إنتاجه.

دعونا نلقي نظرة على مثال للثقافة المنفردة في سياق الرأسمالية الرقمية: فضيحة Cambridge Analytica. في المجال الثقافي للرأسمالية الرقمية، شهدنا ظهور أشكال جديدة للتواصل الإيديولوجي عبر الإنترنت. في هذا السياق، تعتبر الأخبار المزيفة على الإنترنت ذات أهمية خاصة. الأخبار المزيفة عبر الإنترنت هي قصص إخبارية ملفقة تنتشر على الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. الهدف منها هو تجديد وعي المواطنين من خلال الدعاية اليمينية التي تروق لمشاعر مثل الغضب والخوف والكرهية والحزن. الأخبار المزيفة هي إيديولوجية يتم تناولها عبر الإنترنت في شكل أخبار مصنوعة. من أمثلة مواقع الويب ذات اليمين البديل Breitbart وDrudge وReport وInfo Wars وDaily Caller وWorldNetDaily وDaily Wire.

أدى الجمع بين الإعلانات الرقمية والاستبداد الرقمي والأيديولوجية الرقمية إلى تمكين فضيحة Cambridge Analytica. فقد دفعت Cambridge Analytica أموالاً إلى Global Science (GSR) لإجراء اختبارات شخصية مزيفة عبر الإنترنت من أجل الحصول على بيانات شخصية على Facebook لما يقرب من 90 مليون مستخدم. تم استخدام البيانات لاستهداف الإعلانات السياسية والأخبار الكاذبة للناخبين. استفاد Facebook مالياً لأن تدفقات البيانات الضخمة هي جزء من نموذج تراكم رأس المال الخاص به. لذلك سمح للجهات المفتوحة التي تدعم جمع البيانات على نطاق واسع من قبل الجهات الخارجية. أدى الافتقار إلى التنظيم السياسي للإنترنت إلى تمكين المراقبة الرقمية. يستخدم المستبدون اليمينيون جميع الوسائل الضرورية، بما في ذلك خروقات البيانات وانتهاكات الخصوصية، لنشر أيديولوجيتهم. تم تمكين Cambridge Analytica من خلال مزيج من أيديولوجية اليمين المتطرف، والممارسات الرأسمالية الرقمية في Facebook، والسياسة النيو ليبرالية.

بسبب التقارب بين الإنتاج والاستهلاك، فقد رأينا كيف أصبحت الأسئلة الخاصة المتعلقة بالمستهلكين مسائل تتعلق بالعمل والإنتاج. ينتج مستخدمو Facebook وGoogle سلعاً، وهي البيانات والاهتمام

التي تمكن الإعلانات المستهدفة التي يتم بيعها لعملاء الإعلانات. إنهم عمال رقميون (Fuchs، 2017c). إن المراقبة وانتهاكات الخصوصية وخرق البيانات ليست مجرد قضايا تتعلق بالمستهلكين، ولكنها أسئلة حول العمل الرقمي لا ينبغي أن يتعامل معها المدافعون عن الخصوصية فحسب، بل أيضاً النقابات العمالية. السبب وراء قيام Google و Facebook بجمع كميات كبيرة من البيانات الشخصية وعدم حذفها أبداً هو أن البيانات هي الزيت الرقمي الذي يدفع أرباح هذه الشركات العملاقة. إن استخدام الإنترنت ليس مجرد مسألة تتعلق بحقوق المستهلكين بل هو مسألة تتعلق بحقوق العمال. نحن بحاجة إلى نقابات عمالية رقمية وفروع من النقابات القائمة التي تتعامل مع قضايا العمل الرقمي وتنظم حملات مع منظمات حماية المستهلك، ومنظمات حقوق الإنسان، ودعاة الخصوصية. في الرأسمالية الرقمية، الأسئلة حول حقوق الخصوصية وحقوق الإنسان وحقوق المستهلك هي أسئلة حول حقوق العاملين الرقميين.

إن الثقافة المنظمة بطريقة إنسانية لا تتطلب أيديولوجيا تنتجها وتشرها. إنها غير أيديولوجية. فهي تنتج المعرفة التي تشجع التفكير النقدي والنشاط الذاتي والإبداع.

بالنظر إلى تكثيف الرأسمالية والاعتراب في ظل الليبرالية الجديدة، يطرح السؤال كيف يمكن أن تبدو البدائل

والنضال من أجل البدائل؛ وما هو الدور الذي يلعبه التواصل في هذا السياق. يركز القسم التالي على هذا الموضوع.

## 5. التواصل والنضال من أجل البدائل

### في عصر الرأسمالية الرقمية

تعد الصراعات الاجتماعية والطبقية سمة مهمة من سمات مناهج إنسانية الماركسية. بالنظر إلى أن نزعة إنسانية الماركسية تؤكد على الإنسان، والاشتراكية كإنسانية، والإنسانية باعتبارها اشتراكية، والتطبيق العملي، فإن المعنى المنطقي هو أنها تقدم أهمية الصراع الطبقي والاجتماعي كجزء من الاشتراكية الإنسانية ومن أجل تحقيقها.

هناك علاقة اشتقاقية بين التواصل والمجتمع وعموم الناس (commons). في مجتمع تواصل حقيقي، يتحقق الأصل الاشتقاقي للتواصل. مجتمع التواصل الذي يفى بوعوده هو مجتمع العموم. لا يعني التواصل إذن؛ استخدام الأدوات، والتسليع، والبيروقراطية، وإضفاء الطابع الأيديولوجي على مشاركة المعرفة وجعل شيء مشتركاً بحيث يستفيد منه الكثيرون. عموم الناس هو المبدأ الأساسي لمجتمع التواصل الحقيقي. مجتمع التواصل هو مجتمع يمارس فيه البشر سيطرة مشتركة على الظروف التي تحكم وتشكل حياتهم. يكون التواصل في مثل هذا المجتمع قائماً على أساس عامة الناس، أي أنظمة التواصل التي تكمن فيها "حريتها الأساسية [...] في عدم كونها تجارة"

(Marx، 1842، ص 175). إن العداء الاقتصادي الأساسي الذي يشكل التواصل والثقافة والتكنولوجيا اليوم هو التناقض بين التسليع وعمومية الاستخدام. مجتمع العموم هو المجتمع الذي يدرك خلق الاقتصاد العام (الثروة وتحقيق الذات للجميع)، والسياسة العامة (الديمقراطية التشاركية)، والثقافة العامة (صوت الجميع والاعتراف بهم).

يتصور ريموند ويليامز ديمقراطية تواصلية وثقافية. في مثل هذه الديمقراطية، هناك تعاون بين وسائل الإعلام العامة، ووسائل الإعلام المجتمعية، والتعاونيات الثقافية. يتصور ويليامز "أنواعاً جديدة من المؤسسات المجتمعية والتعاونية والجماعية" (Williams، 1983، ص 123). يستخدم التواصل الديمقراطي المنطق وعقلانية التعاون. في نظام التواصل الديمقراطي، لا تتحكم الشركات والدولة والمشاهير في الصوت والصورة. في مثل هذا النظام، نجد حرية حقيقية في الكلام تمكن البشر من الاستماع والتحدث والمشاركة. وسائل التواصل الديمقراطية هي "وسائل المشاركة والمناقشة المشتركة" (Williams، 1976، ص 134). يجادل ويليامز بأن وسائل الإنتاج الرئيسية يجب أن تكون مملوكة ملكية عامة وأن تُمنح للاستخدام للمنظمات ذاتية الإدارة، والتي تحتاج إلى التأكد من وجود تنوع في الرأي السياسي وتجنب سيطرة الدولة على الآراء (Williams، 1979، p. 370).

بالنسبة لماركس، البشر عمليون لأنهم يغيرون المجتمع من خلال الممارسات. بالتطبيق العملي، يشير ماركس إلى شكل معين من الممارسة. التطبيق العملي يعني الممارسات السياسية التي تهدف إلى أو تنظم مجتمع محوره الإنسان. التطبيق العملي هو النضال العملي من أجل إنشاء واستدامة مجتمع قائم يشمل عموم الناس. إن إنشاء مجتمع تواصل حقيقي وجيد يحتاج إلى صراعات مستتيرة من خلال "الضرورة الحتمية للإطاحة بكل العلاقات التي يكون فيها الإنسان كائناً مهيناً ومستعبداً ومهجوراً ومقيتاً" (Marx، 1844، ب، ص 182). يشمل التطبيق العملي الصراعات الطبقة التي تهدف إلى إلغاء الاستغلال والطبقة والهيمنة. يريد التطبيق العملي تأسيس "إنسانية مطلقة" (Gramsci، 1971، ص 417).

تحتاج الصراعات الاجتماعية إلى ثقافتها الخاصة، والتي تشمل إنشاء القصص وإيصالها؛ التي تركز على؛ كيف يضر الاستغلال والسيطرة بالإنسان والمجتمع وكيف يمكن للمقاومة أن تكون ذاتية التنظيم. ويعتبر التواصل في مقاومة الظلم جانباً مهماً من التنظيم الذاتي للاحتجاج.

إن التواصل العملي هو شكل خاص من أشكال التواصل البشري له طابع أخلاقي وسياسي. إنه موجه إلى النضال من أجل الإنسانية والاشتراكية. فالتواصل العملي هو دائماً ممارسة تواصلية. لكن

الاستهلاك المنتج، نحتاج إلى أساليب جديدة للإضراب. لن يكون إضراب عمال المعرفة فعالاً إذا لم يكن مختلفاً نوعياً عن الإضرابات التقليدية المنظمة في النقل أو التصنيع. بشكل عام، الإضراب كرفض للعمالة يحتاج إلى وسائل ومستويات رقمية وعالمية من التنظيم.

أظهرت دراسة للتواصل في احتجاجات "حركات احتلوا" (Occupy movements) أن النشطاء يستخدمون وسائل متعددة للتواصل الموجه نحو التعبئة (Fuchs، 2014): التواصل الكلاسيكي بين الأشخاص عبر الهواتف والبريد الإلكتروني وجهاً لوجه، وملفات تعريف بوسائل التواصل الاجتماعية الخاصة بالإضافة إلى المزيد من أشكال التواصل مثل مجموعات Facebook و Twitter وقوائم البريد الإلكتروني. يعد نشر الإعلانات على وسائل التواصل الاجتماعي البديلة أمراً غير شائع أكثر من القيام بنفس الشيء على Twitter و Facebook. أظهر تحليل الارتباط أن المستوى الأعلى من النشاط الاحتجاجي يميل إلى ارتفاع مستوى استخدام وسائل الإعلام لتعبئة الاحتجاجات. إن ارتفاع مستوى المشاركة في الاحتجاجات له تأثيرات إيجابية على استخدام وسائل الإعلام للتعبئة السياسية. تميل التعبئة في التواصل وجهاً لوجه إلى التأثير بشكل إيجابي على الأشكال الأخرى من اتصالات التعبئة. يميل نشر الإعلانات على Facebook من أجل حشد الآخرين

فقط مجموعة فرعية من الممارسات التواصلية هي الاتصال العملي. التواصل ليس جيداً بشكل تلقائي. إنه ليس وسيلة تشكك بالاستغلال والسيطرة بشكل تلقائي. التواصل هو ممارسة من خلالها ينتجون ويعيدون إنتاج العلاقات الاجتماعية. يستخدم النشطاء التقدميون تقنيات التواصل مثل الإنترنت لتحدي الاستغلال والسيطرة.

دعونا نلقي نظرة سريعة على كيفية تغير الصراعات الاجتماعية في عصر الرأسمالية الرقمية. بالنظر إلى التغيرات التي طرأت على الطبقة العاملة وأهمية العامل الاجتماعي، والمصنع الاجتماعي، والرقمنة، والعولمة، وظهور الاحتجاج والعاملين لحسابهم الخاص في الرأسمالية، هناك حاجة إلى مفاهيم جديدة واستراتيجيات جديدة وأساليب نضالية جديدة في عصر الرأسمالية الرقمية. تهدف نظرية تواصل إنسانية الماركسية إلى إيصال الصراعات من أجل إنترنت عام جيد وقائم على خدمة الجميع؛ في مجتمع جيد قائم يشمل الجميع وله مجال عام ديمقراطي حيوي.

إن تفرد النيوليبرالية للعمل، وظهور العمل الرقمي، وطمس الحدود بين العمل والترفيه، الخاص والعام، الإنتاج والاستهلاك، المكتب / المصنع والمنزل، خلقت تحديات جديدة للنقابات العمالية والمنظمة من قبل الطبقة العاملة.

بالنظر إلى العولمة والرقمنة والمعلوماتية في العمل وظهور

الرأي للجميع. إن الصراعات الاجتماعية على الإنترنت، واستخدام الإنترنت، وضد رأس المال الرقمي هي عنصر أساسي في التواصل العملي الاشتراكي اليوم. لكن لا يمكننا الانتظار حتى اختفاء الرأسمالية الرقمية لإيجاد بدائل. يعد إنشاء منصات إنترنت بديلة في حد ذاته جزءاً من النضال من أجل الاشتراكية الرقمية. تعاونيات المنصات ومنصات الإنترنت للخدمة العامة نوعان من البدائل الرقمية. كلاهما نماذج غير ربحية لتنظيم الإنترنت. تعاونيات المنصات هي منصات إنترنت مدارة ذاتياً ومملوكة بشكل جماعي ويتم التحكم فيها. يقوم المستخدمون والعاملون الرقميون في المنصة بتشغيل وامتلاك وإدارة تعاونيات المنصات. منصات الإنترنت للخدمة العامة هي منصات الإنترنت التي يتم التحكم فيها وتشغيلها بواسطة وسائط الخدمة العامة مثل الـ BBC.

تُعد خدمة عامة مماثلة لـ YouTube تديرها شبكة من وسائط الخدمة العامة مثل BBC وARD وFrance Télévisions وما إلى ذلك بديلاً لموقع YouTube التجاري الخاص بـ Google. يجب أن تشجع الخدمة العامة المماثلة لـ YouTube على إنشاء مقاطع فيديو حول مواضيع مهمة للديمقراطية. يمكن القيام بذلك عن طريق إنشاء تحديات وحملات حيث تتم دعوة المستخدمين لإنشاء وتحميل مقاطع فيديو مصاحبة لبعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية.

إلى التأثير بشكل إيجابي على الأشكال الأخرى من اتصالات التعبئة.

في الرأسمالية الرقمية، اتخذت الصراعات الطبقيّة والاجتماعية أشكالاً جديدة. "Adbusters" هي حملة كندية ومجموعة تشويش ثقافي. كان لها تأثير كبير في إنشاء حركة "احتلوا وول ستريت". في سبتمبر 2018، نظمت Adbusters #OccupySiliconValley، إضراباً ليوم واحد ضد Amazon وApple وFacebook وGoogle. هذا مقتطف من دعوة #OccupySiliconValley للعمل: "كيف نتصدى لأكبر الشركات وأكثرها فساداً على الإطلاق؟ [...] يوم واحد من عدم استخدام أداة البحث في Google: الشيء الوحيد الذي نبحث عنه هو: هل Google يفعل الشر؟ نحن نجبر الروبوت الآلي (الميجابوت) على القيام ببعض البحث الذاتي. نرى ما إذا كان بإمكانه أن يخبرنا، نحن الناس، ما الذي يحدث بالفعل وراء هذا الستار التقني الخبيث". #OccupySiliconValley لم يكن مجرد مقاطعة من المستهلكين. كان إضراباً عمالياً رقمياً. لقد كان مثالا على الأبعاد التي يجب أن تأخذها الاضرابات في الاعتبار في عصر الرأسمالية الرقمية. إن الإنسانية الاشتراكية الرقمية هي البديل للرأسمالية الرقمية (Fuchs، 2020 ب). إنها مجتمع اشتراكي ديمقراطي حيث تفيد التقنيات الرقمية الكثيرين وتساعد في تكوين الثروة والمشاركة والاعتراف والتعبير عن

الاغتراب والأيديولوجيات ولمجتمع  
يجمع بين الإنسانية والاشتراكية.  
تؤكد نظرية تواصل إنسانية الماركسية  
على أن التواصل هو شكل من أشكال  
الممارسة البشرية والعملية التي تنتج  
الفهم الاجتماعي؛ والتي تشمل العلاقات  
الاجتماعية، والنظم الاجتماعية،  
والكيانات الاجتماعية في المجتمع.  
هناك جدلية في العمل والتواصل. في  
المجتمعات المنعزلة، نواجه أشكالاً من  
التغريب والعزلة من التواصل يحكمها  
المنطق الآلي.

إن التطبيق العملي هو النضال  
الاجتماعي من أجل مجتمع اشتراكي  
إنساني؛ وإنشاء وسائل تواصل ديمقراطية  
هو شكل من أشكال التواصل العملي.  
يتطلب المجال العام الديمقراطي وجود  
وسائل اتصال ديمقراطية لا تهدف إلى  
الربح؛ إعلام وتنقيف وترفيه بأسلوب  
غير متحيز؛ غير متحيز للأيديولوجية  
والسلطة الاقتصادية والسياسية؛ وإعطاء  
الناس أصواتاً عامة في المجتمع.

الاشتراكية الرقمية هي البديل الإنساني  
للرأسمالية الرقمية. الاشتراكية الرقمية  
هي النضال من أجل الإنترنت ومشهد  
الوسائط الرقمية، والمجتمع الرقمي  
الذي لا تهيمن عليه الشركات ولكن يتم  
التحكم فيه من قبل المستخدمين والعاملين  
والمواطنين في شكل ديمقراطية رقمية  
تشاركية.

يجب تشجيع الإنتاج الجماعي لمقاطع  
الفيديو هذه في مؤسسات مثل الفصول  
الدراسية ومجموعات التلاميذ والطلاب  
ودور المجالس ومجموعات تعلم الكبار  
والنقابات والجماعات الدينية والفلسفية  
ومنظمات المجتمع المدني وما إلى ذلك.  
يمكن تعزيز الإبداع الرقمي من خلال  
تقديم الخدمة العامة مواد أرشيف الوسائط  
بتنسيق رقمي باستخدام ترخيص CC-BY-NC-  
يسمح باعتماد المواد وتغييرها لأغراض  
غير تجارية. يجب ألا تتعاون وسائط الخدمة  
العامة مع وسائل الإعلام الرأسمالية ولكن  
مع وسائل الإعلام المجتمعية والمواطنين،  
وتعاونيات المنصات، والمؤسسات الثقافية  
العامة الأخرى مثل المتاحف والجامعات  
والمكتبات.  
يلخص القسم التالي النتائج الأساسية  
لهذه الورقة.

## 6. الاستنتاجات: الاشتراكية الإنسانية

في عصر الرأسمالية الرقمية  
طرح هذا المقال مفاهيم لتجديد  
إنسانية الماركسية والاشتراكية الإنسانية  
في الرأسمالية الرقمية للقرن الحادي  
والعشرين. تؤكد نظرية إنسانية الماركسية  
على أهمية الإنسان في المجتمع. إنه  
نهج موجه نحو الممارسة والتطبيق  
العملي الذي يؤكد على القدرة التحويلية  
للصراعات الطبقيّة والاجتماعية ضد

## REFERENCES

- Adorno, T. W. (1950). *The authoritarian personality*. New York: Harper & Brothers.
- Alderson, D., & Spencer, R. (2017). *For humanism. Explorations in theory and politics*. London: Pluto.
- Althusser, L. (1969). Ideology and ideological state apparatuses. In *Lenin and philosophy and other essays* (pp. 127–186). New York: Monthly Review Press.
- Althusser, L., & Balibar, É. (2009) [1968]. *Reading Capital*. London: Verso.
- Arendt, H. (1958). *The human condition*. Chicago, IL: The University of Chicago Press.
- Aristotle. (2009). *The Nicomachean ethics*. Oxford world's classics. Translated by David Ross. Oxford: Oxford University Press.
- Aristotle. (2013). *Aristotle's politics*. Translated by Carnes Lord (Second ed.). Chicago, IL: The University of Chicago Press.
- Brown, W. (2015). *Undoing the demos. Neoliberalism's stealth revolution*. New York: Zone Books.
- Chibber, V. (2013). *Postcolonial theory and the specter of capital*. London: Verso.
- Foster, J. B., & Magdoff, F. (2009). *The great financial crisis. Causes and consequences*. New York: Monthly Review Press.
- Foucault, M. (1969). Qu'est-ce qu'un auteur? In *Dits et écrits I 1954–1969* (pp. 789–821). Paris: Gallimard.
- Fromm, E. (1941/1969). *Escape from freedom*. New York: Avon.
- Fromm, E. (1947). *Man for himself. An inquiry into the psychology of ethics*. Abingdon: Routledge.
- Fromm, E. (Ed.) (1965). *Socialist humanism. An international symposium*. Garden City, NY: Doubleday.
- Fromm, E. (1976). *To have or to be?* London: Continuum.
- Fuchs, C. (2014). *Occupy Media! The Occupy movement and social media in crisis capitalism*. Winchester: Zero Books.

Fuchs, C. (2016a). Critical theory of communication: new readings of Lukács, Adorno, Marcuse, Honneth and Habermas in the age of the Internet. London: University of Westminster Press.

Fuchs, C. (2016b). Georg Lukács as a communications scholar: Cultural and digital labour in the context of Lukács' "ontology of social being". *Media, Culture and Society*, 38(4), 506–524.

Fuchs, C. (2016c). Herbert Marcuse and social media. *Radical Philosophy Review*, 10(1), 113–143.

Fuchs, C. (2017a). Günther Anders' undiscovered critical theory of technology in the age of big data capitalism. *tripleC: Communication, Capitalism & Critique*, 15(2), 584–613.

Fuchs, C. (2017b). Raymond Williams' communicative materialism. *European Journal of Cultural Studies*, 20(6), 744–762.

Fuchs, C. (2017c). *Social media: a critical introduction*. London: Sage. Second edition.

Fuchs, C. (2017d). The praxis School's Marxist humanism and Mihailo Markovic's theory of communication. *Critique*, 45(1–2), 159–182.

Fuchs, C. (2018a). *Digital demagogue: authoritarian capitalism in the age of Trump and Twitter*. London: Pluto.

Fuchs, C. (2018b). Towards a critical theory of communication with Georg Lukács and Lucien Goldmann.

*Javnost – The Public*, 25(3), 265–281.

Fuchs, C. (2018c). Universal alienation, formal and real subsumption of society under capital, ongoing primitive accumulation by dispossession: Reflections on the Marx@200-contributions by David Harvey and Michael Hardt/Toni Negri. *tripleC: Communication, Capitalism & Critique*, 16(2), 406–414.

Fuchs, C. (2019a). Henri Lefebvre's theory of the production of space and the critical theory of communication. *Communication Theory*, 29(2), 129–150.

Fuchs, C. (2019b). M. N. Roy and the Frankfurt school: Socialist humanism and the critical analysis of communication, culture, technol-

ogy, fascism and nationalism. *tripleC: Communication, Capitalism & Critique*, 17(2), 249–286.

Fuchs, C. (2019c). Revisiting the Althusser/E. P. Thompson-Controversy: Towards a Marxist Theory of Communication. *Communication and the Public*, 4(1), 3–20.

Fuchs, C. (2020a). *Communication and capitalism. A critical theory*. London: University of Westminster Press. <https://doi.org/10.16997/book45>

Fuchs, C. (Ed.) (2020b). Communicative socialism/digital socialism. *tripleC: Communication, Capitalism & Critique*, 18(1), 1–285.

Fuchs Christian (2020). Erich Fromm and the Critical Theory of Communication. *Humanity & Society*, 016059762093015. <https://doi.org/10.1177/0160597620930157>

Fuchs, C. (2020d). *Nationalism on the Internet: critical theory and ideology in the age of social media and fake news*. New York: Routledge.

Fuchs, C., & Monticelli, L. (Eds.) (2018). *Marx@200: Debating capitalism & perspectives for the future of radical theory*. *tripleC: Communication, Capitalism & Critique*, 16(2), 406–741.

Gramsci, A. (1971). *Selections from the prison notebooks*. New York: International Publishers.

Habermas, C. (2019). *Auch eine Geschichte der Philosophie. Band 1: Die okzidentale Konstellation von Glauben und Wissen*. Frankfurt am Main: Suhrkamp.

Habermas, J. (1968). *Arbeit und Interaktion. Bemerkungen zu Hegels Jenseiter "Philosophie des Geisters"*. In *Technik und Wissenschaft als "Ideologie"* (pp. 9–47). Frankfurt am Main: Suhrkamp.

Habermas, J. (1971). *Knowledge and human interests*. Boston, MA: Beacon Press.

Habermas, J. (1985a). *The theory of communicative action. Volume 1: Reason and the rationalization of society*. Boston, MA: Beacon Press.

Habermas, J. (1985b). The theory of communicative action. Volume 2: Lifeworld and system: A critique of functionalist reason. Boston, MA: Beacon Press.

Harvey, D. (1990). The condition of postmodernity. An enquiry into the origins of cultural change. Cambridge, MA: Blackwell.

Harvey, D. (2003). The new imperialism. Oxford: Oxford University Press.

Harvey, D. (2005). A brief history of neoliberalism. Oxford: Oxford University Press.

Harvey, D. (2010). The enigma of capital and the crises of capitalism. Oxford: Oxford University Press.

Harvey, D. (2018). Universal alienation. *tripleC: Communication, Capitalism & Critique*, 16(2), 424–439.

Hegel, G. W. F. (1803/1804). *Jenaer Systementwürfe I*. Hamburg: Felix Meiner Verlag.

Hegel, G. W. F. (1805/1806). *Jenaer Systementwürfe III*. Hamburg: Felix Meiner Verlag.

Honneth, A. (2008). Reification. A new look at an old idea. With commentaries by Judith Butler, Raymond Geuss and Jonathan Lear. Oxford: Oxford University Press.

Horkheimer, M. (1939/1989). The Jews and Europe. In S. E. Bronner & D. Kellner (Eds.), *Critical theory and society: a reader* (pp. 77–94). New York: Routledge.

Jhally, S. (2016). Stuart Hall: The last interview. *Cultural Studies*, 30(2), 332–345.

Lukács, G. (1963). *Die Eigenart des Ästhetischen*. 1. Halbband. Georg Lukács Werke Band 11. Darmstadt: Luchterhand.

Lukács, G. (1971). *History and class consciousness*. London: Merlin.

Lukács, G. (1978). *The ontology of social being*. 3: Labour. London: Merlin.

Lukács, G. (1986a). *Zur Ontologie des gesellschaftlichen Seins*.

Erster Halbband Bände. Georg Lukács Werke, Band 13. Darmstadt: Luchterhand.

Lukács, G. (1986b). Zur Ontologie des gesellschaftlichen Seins. Zweiter Halbband Bände. Georg Lukács Werke, Band 14. Darmstadt: Luchterhand.

Macpherson, C. B. (1973). Democratic theory. Oxford: Oxford University Press.

Marx, K. (1842). Debates on the freedom of the press. In Marx & Engels collected works (MECW) Volume 1 (pp. 132–202). London: Lawrence & Wishart.

Marx, K. (1844a). Comments on James Mill, *Éléments d'économie politique*. In Marx & Engels collected works (MECW) Volume 3 (pp. 211–228). London: Lawrence & Wishart.

Marx, K. (1844b). Contribution to the critique of Hegel's philosophy of law. In Marx & Engels collected works (MECW) Volume 3 (pp. 175–187). London: Lawrence & Wishart.

Marx, K. (1844c). Economic and philosophic manuscripts of 1844. In Marx & Engels collected works (MECW) Volume 3 (pp. 229–346). London: Lawrence & Wishart.

Marx, K. (1845). Theses on Feuerbach. In Marx & Engels collected works (MECW) Volume 5 (pp. 3–5). London: Lawrence & Wishart.

Marx, K. (1852). The eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte. In Marx & Engels collected works (pp. 99–197). London: Lawrence & Wishart.

Marx, K. (1867a). Capital. A Critique of Political Economy. Volume One. Translated by Ben Fowkes. London: Penguin.

Marx, K. (1867b). Das Kapital. Kritik der politischen Ökonomie. Erster Band. MEW Band 23. Berlin: Dietz.

Marx, K., & Engels, F. (1845/46). The German ideology. In Marx & Engels collected works (MECW) Volume 5. London: Lawrence & Wishart.

Pateman, C. (1970). Participation and democratic theory. Cambridge: Cambridge University Press.

Roberts, M. (2016). The long depression. Marxism and the global crisis of capitalism. Chicago, IL: Haymarket Books.

Smith, A. (1776). An inquiry into the nature and causes of the wealth of nations. London: Wordsworth.

Sohn-Rethel, A. (1978). Intellectual and manual labour: A critique of epistemology. London: Macmillan.

Taylor, C. (2016). The language animal. The full shape of the human linguistic capacity. Cambridge, MA: The Belknap Press.

Thompson, E. P. (1978). The poverty of theory & other essays. London: Merlin.

Wallerstein, I., Collins, R., Mann, M., Derluigian, G., & Calhoun, C. (2013). Does capitalism have a future? Oxford: Oxford University Press.

Warren, R. (Ed.) (2017). The debate on "Postcolonial theory and the specter of capital". London: Verso.

Weber, M. (2019). Economy and society. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Williams, R. (1976). Communications. Harmondsworth: Penguin Books.

Williams, R. (1977). Marxism and literature. Oxford: Oxford University Press.

Williams, R. (1979). Politics and letters: Interviews with New Left Review. London: Verso Books. Williams, R. (1980). Culture and Materialism. London: Verso.

Williams, R. (1983). Towards 2000. London: Chatto & Windus.

Žižek, S. (2007). How to read Lacan. New York: W. W. Norton & Company.

أدب

و

فن



## عيد العمال العالمي

### حسب الله يحيى

مسبوقة في ظل السلطة السابقة بتحويل الطبقة العاملة الى مجرد موظفين يؤدون أدوارا وظيفية روتينية تحت أوامر مشددة الى جانب ضغوط على تنظيمات العمال والفلاحين، ما جعلهم فئة مأجورة تملئ عليها ظروف وممارسات قاهرة وشاقة ولا انسانية.

وبعد العام 2003 ومرور ما يقارب عقدين من الزمن، نجد ان عمال العراق لا يعانون من اظالة امد ساعات العمل فحسب، انما بات البحث جاريا من اجل ايجاد ايدي عاملة رخيصة الى جانب ظروف عمل سيئة. بل أصبحت كثرة من العمال الماهرين بلا عمل، على الرغم من حصولهم على شهادات وتخصصات عالية. وهو الامر الذي فاقم من البطالة ومن ثم الفاقة والجهل والمرض بسبب غلق المصانع والمعامل ما تسبب بانتشار البطالة على نطاق واسع، الى جانب ذلك ظهرت عمالة جديدة من الخريجين، ممن لا يجيدون غير تخصصاتهم، الامر الذي جعلهم يلجأون للقيام باعمال شتى ادنى بكثير من تخصصاتهم، بل لا علاقة لها بأي تخصص، ما جعل هؤلاء يعملون في سبيل الابقاء على الحياة.

من هنا كان الاول من أيار عيداً يستعيد عن طريقه كل العمال والفقراء والعاطلين عن العمل، دأبهم في البحث عن عمل منتج شريف يؤدي مهامه بساعات محددة واجور افضل وحياة عمالية سليمة.

الاول من أيار.. عيدُ الشغيلة التي تعي دورها وتُدرِك مهامها وتتوجه للتغيير البناء.

في الاول من ايار/ مايو من كل عام، يحتفل عمال العالم بعيدهم الاممي، ولم يصبح هذا اليوم عيداً بشكل عفوي او مقترح سلمي او اجماع او رغبة عمالية هادئة؛ وانما جاء بعد مخاض نضالي عسير، سالت فيه الدماء وقست فيه القيود.

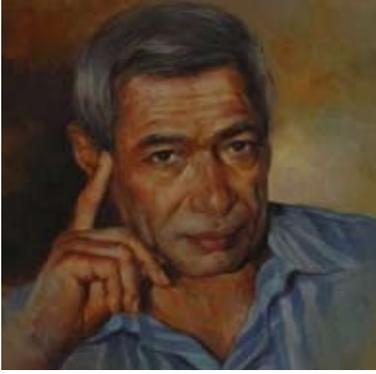
كان العمال في انحاء العالم يعملون ساعات طويلة وبأجور زهيدة وفي ظروف عمل غير صحية وغير آمنة.

وكان عمال امريكا (عمال شيكاغو تحديدا) وعمال استراليا وغيرهم من عمال العالم يخوضون سلسلة من الانتفاضات، احتجاجا على التعسف وظروف العمل الشاقة التي يعيشها العمال.

كان القرن التاسع عشر يقدم سلسلة من الانتفاضات التي تندد وتعترض وتناوئ ما كان يجري من قهر وتعسف وقسوة في التعامل مع العمال وممارسة شتى الضغوط عليهم من قبل الطبقة الحاكمة والطبقة المالية الضخمة التي تدير المصانع والمعامل وتستغل العمال أبشع استغلال في محاولة لتحقيق ارباح عالية على حساب صحة وارهاق وكفاءة العمال كذلك.

هذا الحال جعل العمال يقعون تحت طائلة اوضاع مزرية. لذلك جاءت سلسلة الانتفاضات والتظاهرات ضد قوى الانتاج التعسفية حتى تحقق في الاول من ايار/ مايو/ 1886 وتم الاعتراف بحقوق العمال، ما جعل هذا اليوم عيداً للطبقة العاملة في العالم كله. وفي ظروف العراق الراهنة التي كانت

# رحيل شاعر (القصيدة المدوّرة) رجل السلام ومجدد القصيدة العربية حسب الشيخ جعفر . . سلاماً



شأن كل الكبار الذين أثروا الثقافة والإبداع والفكر، ظل حسب الشيخ جعفر قامة شامخة في العطاء الذي يخدم الإنسانية.

ومنذ مجموعته الشعرية البكر (نخلة الله) والصادرة عام 1969، تنبه الوسط الثقافي الى شخصية ابداعية فذة، ذلك انه وُلد شامخاً وأمضى حياته في مسيرة قدمت القصيدة المجددة، والترجمة النابهة، والمقال المثين والعميق. دراسته الطوية في الاتحاد السوفياتي وترجمته لأعمال خيرة الأدباء الروس: بوشكين، ميسترال، الكسندر بلوك، يسنين، أفثسكنو... لم

تغربه عن بيئته المحلية، بل عمقت إيمانه بأن الانطلاق من التجربة الشخصية والبيئة المحلية أساس الشعر العظيم. (دون النبش في التراث يخلو العمل الفني من حجر الزاوية). هذا التعمق في التراث واللغة جمع أعمال حسب الشعرية ابتداء من الطائر الخشبي، زيارة السيدة العجوز، عبر الحائط في المرأة، وجيء بالنبيين والشهداء، وفي مثل حنو الزوبعة، اعمدة سمرقند، كران البور، الفراشة والعكاز، وجميعها صدرت في مجموعته الشعرية الكاملة في العام 2022. كما ترجم لبوشكين وغابرييلا ميسترالك وبلوك.. وكتب رواية (ربما هي رقصة لا غير) في 2012.

حسب.. تفرد بالحصول على جائزة السلام السوفيتية في العام 1983 وجائزة العويس عام 2002.

بين قصائد سعدي يوسف الصافية المنسجمة وبين تأمل وشروذ السياب والبياتي تكمن فريدة قصيدة حسب الشيخ جعفر في الذهاب الى ذروتها دون تردد أو خضوع لأية عوائق فنية تعترضها. وهذا ما ساعده أيضاً على المضي أكثر فأكثر باتجاه قصيدته المدورة القائمة على كسر الحواجز بين الأسطر، وتضييق المسافة بين الشعر والنثر، وتهميش التقفية لصالح الموضوع بحيث تصبح القصيدة نوعاً من النص التشكيلي المفتوح على الشعر والسرد والمسرح. رحل حسب الشيخ جعفر عنّا تاركاً لنا وللأجيال اللاحقة إرثاً غنياً من شعره وترجماته وتجربة ثريّة في الجمع بين المحلي والعالمي. سلاماً حسب الشيخ جعفر!

(الثقافة الجديدة)

2022/ 04/ 17

ملف (ادب وفن)  
الرواية العراقية . . محور نقدي

لأن الرواية العراقية، أخذت مساحة واسعة واهتماماً ملحوظاً من الكتاب والقراء على حد سواء، من دون أن يرافق هذا الامتداد الروائي الشاسع حركة نقدية جادة ورصينة، ارتأينا إصدار هذا المحور النقدي المعمق

محرر: أدب وفن

## علاجُ المحرّمات المريضة في (عيادة الحاج مهاوي)\*

ليث الصندوق



لا تُستثنى من ذلك حتى أحداث روايات الخيال العلمي التي تدور بعيداً عن الأرض، ويتماس مع مخلوقات فضائية، إذ يُعاد تكيف الشخصيات والأحداث والعلاقات فيها على وفق معطيات ارضية قارة. فالمعطيات السردية هي قرينة المعاني الشعرية المحدودة، ومحدوديتها هي من محدودية معطيات الحياة الواقعية، وهي مثل قرينتها مطروحة بين أيدي من يتحرى عنها، يُعيد صياغتها

باتت مقولة عزل النص الروائي عن كاتبه من بديهيات النقد الجديد، فكل منهما (النص وكاتبه) من معدن غير قابل للمزج مع معدن الآخر، إنهما كالماء والزيت لا يمتزجان معاً إلا في ظروف غير اعتيادية، إلا أن تحقق الظروف غير الاعتيادية ليس مستحيلاً، إذ أنّ ثمة دوافع إبداعية او عاطفية قد تدفع باتجاه خرق الحاجز النوعي ما بين المعدنين المتنافرين من أجل تيسير اختفاء الكاتب وراء إحدى الشخصيات الورقية، أو تفتيت فواصل من حياته الخاصة، وتوزيعها على مجموعة من حيوات الورقية، أو حتى ضخ شيء من حيوات الآخرين الذين عاش الواقع معهم، أو على مقربة منهم في حيوات الورق والحبر. فليس في المخيال السردية من تجربة لم يُجرّب بعضها، أو كلها في الحياة قبل أن تُحفظ - بعد تحريفات فنية، وتلفيفات إبداعية - في طيّات الورق،

- المستوى الثاني: وتمثله الفصول الأربعة الأولى من الرواية  
- المستوى الثالث: ويمثله الفصل الأخير الخامس

### المستوى الأول:

أو مستوى الإهداء، وهو مستوى خارجي وصمه الكاتب بضميره اللغوي، وخصه لذكرى ما، ألمح إليها، ولكنه أبقى تفاصيلها خارج إهدائه، وخارج مرويات الأبطال في المستويين الآخرين، مكتفياً أن يستل لقراره منها إسم بطلتها فقط، دون أن يأتي على العلاقة ما بين الإسم وما بين الدور السردي. وفي كل الأحوال فهو إسم وهمي اقترحه الكاتب ليجنبه، ويجنب - بطله الذكرى الحقيقية - حرجاً لا طاقة لكليهما به بحسب قوله.

ومن أجل تلافي الحرج لجأ إلى الترميم على تلك الشخصية النسوية على طريقة مزج المواد المتنافرة التي سبقت الإشارة إليها، فأضفى على تلك الشخصية بعض الغموض، جامعاً فيها ما بين الحلم ( إلى المرأة التي رسمتها أحلامي كما تحب وتتمنى وتشتتهي . ص / 5 ) وبين الحقيقة ( ... ومع ذلك فإنها ليست وهماً أو خيالاً روائياً، بل هي إنسانة مفعمة بالجمال والذكاء والطيبة والأنوثة . ص / 5 ) .

إذن فالكاتب هو الذي يتعمد إثارة فضول القارئ، ودفعه لطرح السؤال عن استقلالية النص وإمكانية تحققها، ومن ثم تحريضه على البحث عن موقعه داخل النص، من دون أن يُعينه على تلمس الفارق ما بين الحقيقة والخيال، وما بين النص وكاتبه، مكتفياً بالتلميح عن علاقة

بذكاء المبدع الخلاق، مموهاً الفوارق ما بين النموذج الأصل، والنموذج المعاد صياغته، حارصاً على ألا يترك لمن يتلقف الأنموذج الجديد أن يكتشف أنه إعادة تكرار محرّف عن صياغة سابقة.

من الواضح أن القارئ لا يُعنى، ولا ينبغي له أصلاً أن يُعنى بالمواقع التي يخفتي فيها الواقع داخل المتخيل. ولا ينبغي له أن يشغل نفسه وهو يقرأ النص بالبحث في طياته عن الموقع الذي يتوارى فيه كاتبه، فليس من مهمة القارئ أن يتحوّل إلى شَرَطِيّ يقتفي خارج النص أو داخله أثر من يقرأ له، بقدر ما يعنيه أن يقتفي أثر النص بحثاً في طياته عن أسرار المتعة ومكامن الجمال، ولعل أول متطلبات القراءة الجادة، يفترض على القارئ قبل أن يهّم بالقراءة أن يُميت الكاتب، وإلا فإن أية قراءة تحيد عن إبداعية النص وجماليته كفيلة بتحويله إلى وثيقة تاريخية. وفي ذلك إساءة للنص من حيث هو بنية جمالية، وإساءة للتاريخ من حيث هو حقيقة.

وعلى الرغم من عدم مشروعية التساؤل الساذج عن مكان اختفاء الكاتب داخل نصه، إلا أنّ القاص والروائي والإعلامي حسن العاني في روايته (عيادة الحاج مهاوي) تعمد جرّ قارئه إلى منطقة عدم المشروعية، وإكراهه على طرح التساؤل الساذج عن مكان اختفائه داخل روايته، وهذا ما سنفصله ضمن المستوى الخطابى الأول من الرواية.

تتكون (عيادة الحاج مهاوي) من ثلاثة مستويات خطابية:

- المستوى الأول: ويمثله الإهداء

ما بينه وبين إحدى بطلات روايته عن طريق الإهداء الذي لا يمكن إلا أن يُمثل شخصية الكاتب الواقعية.

ولهذا الإصرار على أن مستوى الإهداء يمثل خطاب الحقيقة / الكاتب، وليس خطاب المحكية / المتخيل ثلاثة أدلة:

- الأول : يتوافق مع أعراف الكتابة التي درجت على أن يكون هذا الحيز من النصوص المصاحبة مجالاً لإبرام ميثاق قراءة ما بين الكاتب والقارئ يتبرأ فيه الأول من أية صلة تربطه بأحداث روايته أو من أي تطابق ما بينه وبين شخصياتها. وقد أوفى الكاتب بشروط هذا الميثاق فيما يتعلق بنفسه هو بالذات، إلا أنه من جهة أخرى لم يف بمطالبات العقد فيما يتعلق بـ(وضحة) وهي إحدى أهم شخصيات الرواية والتي أخرجها من خزنة حياته الخاصة ودفع بها إلى منطقة التخيل بعد أن جردها من واقعيتها وأضفى عليها ملامح من تخيلاته الجانحة ليمسح بذلك اللحم والدم إلى حبر وورق، وليتجه بالواقع المختزن إلى أقصى حدود التخيل المعلن.

ثانياً: إن أي افتراض ينقض كون الإهداء هو خطاب الكاتب ويفترضه جزءاً مختلاً من النص سيؤدي إلى نقض منطوق المحكي الذي قدّر ان تمضي علاقة البطل مع وضحة في الفصل الرابع من الرواية باتجاه اشتراكهما معاً في العيش تحت سقف واحد على اعتبار أن مفهوم السقف الواحد مفهوم مجازي يراد به الزواج، وهذا ما انتهت إليه العلاقة بين الإثنين، على الرغم من أنها لم تكمل شروطها الشرعية بالإشهار والإعلان. بينما يفهم

من الإهداء أنه على لسان الرجل الذي لم يُقدّر له أن يعيش مع وضحة تحت سقف واحد (قدّر لها مثلما قدّر لي أن نكون تحت سقفين. ص / 5) فالرواية تضعنا في مواجهة حالتين متناقضتين لا بدّ من حسم الموقف بترجيح إحداهما، وإلا فإن ثمة ارباكاً سيخلّ بمنطق الأحداث. فإذا لم يكن ضمير المتكلم في خطاب الإهداء هو للراوي المشارك/ البطل الذي عاش مع وضحة تحت سقف واحد ( حتى ولو من قبيل المجاز)، فهو إذن لمن إن لم يكن للكاتب نفسه، وليس لسواه؟

ثالثاً: بالإمكان عدّ هذا المستوى الخطابى/ الإهداء – ومن دون الإساءة إلى بنية الرواية – على أنه خارج السياق، فلو تمت القراءة بدءاً من الفصل الأول بعزل وتخطي الإهداء لما انتقص ذلك في شيء من سلسلة الأحداث.

### المستوى الثاني:

وهذا المستوى يمثل نص الشخصية المحورية/ البطل، أو الراوي المشارك، وعبر هذه الشخصية يتم تبنيير الأحداث تبنييراً خارجياً على وفق آلية زمنية مستقيمة متجهة من الماضي نحو زمن السرد، لا تتقطع أو ترتدّ إلى الوراء باستثناء حالات قليلة وغير مؤثرة في توجيه ما يعقبها من الأحداث. وهذا التوجه في إدارة عجلة الزمن يضيف على الرواية طابعاً مبسطاً هو أقرب إلى القصة القصيرة (أو حتى الطويلة) منه إلى الرواية التي عادة ما تعتمد البنى المركبة ذات الطبقات الزمنية المتعددة والمتداخلة.

وعبر هذا المستوى تتوضّح هوية

وصف وتفصيل وتكرار المواقف الجنسية اللاهبة، فالكاتب في روايته لم تفته شاردة أو واردة منها إلا وتتبعها، فوصف الأوضاع الجنسية وصفاً لا يُضارعه فيه حتى باولو كويلو في روايته ( إحدى عشرة دقيقة ) مع أن الفارق الجوهري ما بين أوضاع الإثنين، فهي لدى كاتبنا تأتي في سياق الأحداث، بينما هي لدى كويلو الأحداث نفسها.

ولم يتوقف الكاتب عند الأوضاع، بل جاء على وصف التآوهات التي تتحول في لحظات الذروة إلى صرخات، وأمات اللثام عن أكثر طرق التحايل نجاحاً لاستدراج الشريك إلى الفراش، ثم أصغى لهمس الأصابع وهي تتحرى طراوة الأجساد العارية، وكشف المخفي من فنون لمس وعضّ وعصر الأعضاء الحساسة، واقترح آليات مبتكرة لممارسة الجنس من دون الخلع التام للملابس الداخلية، بل بإحداث فتق فيها، ولم يفته التطرق إلى الجنس الجماعي والسحاق، وأخيراً وليس آخراً فالظاهرة الجنسية لم تتحقق للبطل في الواقع فحسب، بل تعدته إلى أحلامه أيضاً. وسنأتي فيما بعد إلى تفصيلات أخرى في هذا السياق. فهل بعد كلّ تلك السخونة التي تقرب من درجة الغليان يحق لنا أن ننفي صفة الجنس لأجل الجنس عن النص.

ومع ذلك فتوصيف الأدب الإيروتيكي ليس تهمة، فله أساس راسخ في الأدب العربي منذ امرؤ القيس، والنواصي الحسن بن هاني، وألف ليلة وليلة، والوشاح في فوائد النكاح لجلال الدين السيوطي، وسوى ذلك كثير. ومع ذلك فهذا الأدب ما



الرواية التجنيسية بوصفها رواية إيروتيكية بامتياز من دون التحرّج - لا للقارئ ولا للكاتب - في البحث عن دوافع أخلاقية للتخفيف من وطأة هذا التوصيف، وربما اختلف مع الأستاذ باسم عبد الحميد حمودي الذي رأى أن (موضوعة الجنس التي طغت على الأحداث إلى حدّ الإغراق الذي يوهم بأننا في مواجهة رواية تقوم على - الجنس من أجل الجنس - ولكن في اللحظة التي نتفهم - المقصود - ونتحرر من النظرة الأحادية، نكتشف أن الظاهرة الجنسية في الرواية لها ما يقابلها، ويبررها، ويُبعد عنها الأحادية) (ص / 229). فعلى الرغم من وجاهة هذا التخريج الذي يغلب عليه الطابع الاجتماعي أكثر من كونه تفكيكاً لظاهرة فنية وإبداعية، إلا أن الأستاذ باسم عبد الحميد أخفق في تبرير ( الإغراق ) في

زال يستفز قيم المجتمع، في ضوء هيمنة التابوات الفوقية التي تضع في مستويات متباينة مع الجنس عدة تابوات أخريات، لعل أبرزها (السياسة، والدين، والتقاليد والأعراف الموروثة) والتي لم تسلم جميعها من خروقات كاتبنا سواء في عمله هذا، أو في عمله السابقين (ليلة الإحتفاء بالحرية) و (الولد الغبي). ولكنه في عمله هذا انتهر فرصة خلو الواقع الثقافي من متحدّ يجرؤ على المخاطرة وإعلان الحرب على المحرمات الموروثة، فتكفل هو نفسه بالمهمة وخرق بشكل حاد ومباشر اول التابوات/ الجنس، متحرراً من قيود الخارج الفوقية، معلناً إخلاصه التام لذاته كما يراها بمنظاره هو، وليس بمنظار الآخرين. فركب المخاطرة التي يتهيبها الشباب الكتاب، وكان له السبق بانتهاج طريق في الكتابة تصبح معه الرواية الإيروتيكية نوعاً أدبياً تتقبله الذائقة الأدبية العراقية الجديدة بأريحية، بعد أن كانت تتقبله في خمسينيات القرن المنصرم.

والطريف في تجربة الكاتب الإيروتيكية هذه أنها جاءت مرفقة بقاموسها المتفرد الذي يجمع ما بين بلاغتين الحسية واللغوية، ما جعله يتمكن من إخراج أقدم تجربة جسدية في حياة الإنسان من ابتدائها اللغوي المتواتر، ومن قولها القاعدية المألوفة، وصبها في قوالب لغوية مبتكرة، مستعيناً بآليات البلاغة التقليدية من تشبيهات واستعارات ومجازات وتوريات بعد إخضاعها لانزياحات شعرية حادة وذكية.

### محرمات التقاليد والأعراف:

وكما ألمحنا آنفاً، فالكاتب في روايته هذه لا يخرق تابو الجنس فحسب، بل هو يخرق جميع التابوات الثلاثة الأخريات ضمن صياغات متداخلة، بعضها يفتح على الآخر من دون أن يترك أثراً يفهم منه أنّ ثمة إقحاماً لغايات غير سردية، باستثناء ما يتعلق بخرق تابو الأعراف والتقاليد، إذ أن الرواية بكاملها تدور في حاضنتيه المكانية والاجتماعية، وقد تمّ خرق هذا التابو من منفذين، أولهما مباشر، والآخر غير مباشر:

### المنفذ الأول - غير المباشر:

وهو منفذ حكائي بامتياز تناول الموضوع بعيداً عن المباشرة، ومن دون إطلاق الأحكام الراضية أو المؤيدة، وذلك عن طريق مرويات أبطالها الذكور والإناث على حد سواء، وقد تجلّى ضغط التقاليد والأعراف بعدة صيغ مثل:

- تعدّد الزوجات (الحاج مهاوي والشيخ جاسم المحمود)

- زواج الذكور من بنات في أعمار بناتهم أو حفيداتهم (الحاج مهاوي والشيخ جاسم المحمود)

- حرمان الزوجات المتعلّمات تعليمياً عالياً من استثمار تعليمهن اجتماعياً، وإقصار دورهنّ على الإنجاب وتربية الأطفال والأعمال البيتية (فضيلة).

- زواج البنات المتعلّمات تعليمياً عالياً من أبناء عمومتهم الأميين (الشيخة وضحة).

والملاحظ أن كل الشخصيات الأربع الرئيسية (الحاج مهاوي وزوجه فضيلة،

متعارضين ومتحاربين (الشيوخيون والبعثيون).

وعلى الرغم من أن الرواية تحاشت التطرق إلى ملابسات الصراع التاريخي ما بين الفصيلين، لكنها أتت على انعكاس تأثيره الخفي على البطل. فأصدقائه من كل فصيل يجهدون من أجل جرّه إلى صفوفهم، مع إصراره على الثبات على حياده، وبدل أن يفسّر هذا الإصرار بحسن نية يتوافق مع دوافع الصداقة الحقّة، فسّر من قبل كل فصيل من الإثنين على أنه ميل إلى الضد. وقد عرّضه إصراره على حياده إلى مجموعة من الوشائيات الكاذبة. ومن دون تحديد أسماء الواشين من بين أصدقائه، أو انتماءاتهم السياسية اكتفى البطل بوضع القارئ في صورة الحيف الذي أوشك أن يورده موارد التهلكة جراء ثباته على حياده، لتكون تلك الصورة نوعاً من الإدانة المبطنّة، لكنها ليست إدانة لأصدقائه من المنخرطين بالعمل السياسي، بل لفصائلهم التي لقتهم مفاهيم عدم التسامح، وعدم قبول الآخر المختلف. وما تلك الوشائيات والمؤامرات بين الأصدقاء المختلفين في الرأي إلا انعكاس لصورة الصراع ما بين القوى الوطنية، وما قرية (عرب الشيخ عيدان) التي تحتضن هذا الصراع إلا الصورة الرمزية المصغرة للفضاء الوطني الملعوم بخلافات قواه المتصارعة.

#### التابو الديني:

هذا وقد ظل الموقف من الدين في هذا المستوى غامضاً، ويتسم بالتناقض، فلم يجرؤ على فتح ملفاته المغلقة، ولا تفكيك

والشيخ جاسم وشقيقته وضحة) قد نالوا تعليماً عالياً، من دون أن يكون لذلك أثر في التخفيف من ضغط التقاليد سواء ضمن بيوتهم أو ضمن فضاء القرية الأوسع، مما يعني أنّ سلطة التقاليد في مجتمع قرية (عرب الشيخ عيدان) هي أقوى من سلطة العلم. وأن تأثير العلم في الحد من أثر التقاليد هو أضعف من تأثيرها في الأميين والمتعلمين على حد سواء.

#### المنفذ الثاني - المباشر:

وعبره عولجت موضوعاً واحدة من موضوعات هذا التابو، وهي موضوعة تعدد الزوجات، معالجة مباشرة غلب عليها التكلف في استنباط الأسباب والدوافع، ما أفقدها عفويتها السردية، وأقحمها في سياق حوارية هو أقرب للبحث في العلوم الاجتماعية ما بين الراوي/ البطل وصديقه (فيصل المرهون). وقد كان بالإمكان إذابة طروحاتها المنطقية في تيار الأحداث، وعدم إقحام المنطق العلمي إقحاماً متكلفاً فيه، ما أفقد الحوار بين الصديقين عفويته.

#### إدانة مبطنّة:

أما التابو الثالث/ السياسة، فقد تناولها هذا المستوى بشكل عابر وسريع، على الرغم مما يضمّره اللعب في ساحتها الملعومة من مفاجآت غير سارة كادت أن تطيح بالبطل. وقد تم النفاذ إلى هذه الموضوعة الحذرة بالإكراه، ومن دون رغبة البطل الذي يتحاشى الإنخراط في أي نشاط سياسي، وذلك عبر أصدقائه الذين يتوزعون ما بين فصيلين سياسيين

فصارت جزءاً من بنيته القيمية لا يتخلى عنها لا بالضغط ولا بالاقناع. أما من الناحية التركيبية، فتبدو واضحة على صياغات هذا المستوى ملامح الإرتباك والتقطع في تنظيم سلسلة الأحداث، ما يجعلها تفتقد تماسكها، إذ كثيراً ما تُقطع وحدات السلسلة الحكائية بشكل مباغت، ومن دون مسوغ منطقي، ثم يُعاد ربطها بأحداث سابقة من سياق آخر منفصل عن سياقها الأول. وكثيراً ما يكون القطع والوصل بين السياقين المتباعدين من دون الإستعانة بأدوات الترقيم، أو الفواصل، أو من دون ختم السياق السابق بعلامة ما، وابتداء السياق التالي من رأس سطر جديد.

### المستوى الثالث:

ويمثله الفصل الأخير من الرواية، وهو مستوى (الراوي / الرواة) الذين يقفون في منطقة وسطى ما بين المفارقة والمشاركة، وسنأتي على توضيح هذا التباين فيما بعد. وهؤلاء الرواة لا يؤدون أفعالاً نوعية مؤثرة في مجرى الأحداث، باستثناء أنهم يُراقبون ما كان قد حدث، ويتعقبون آثار بعض أبطال الرواية الباقين على قيد الحياة. ويتجلى خطاب هؤلاء الرواة في صيغة جماعة المتكلمين، باستثناء مرة واحدة جاء الخطاب بصيغة تجمع ما بين خطاب المتكلم المفرد، وخطاب الجماعة ( ... وبخلاف ذلك أعتقد أن المعلومات الغزيرة التي حصلنا عليها من الشيخ عبد الله ... إلخ ) ( ص / 222 ) . وقد يُفسر ذلك بأن أحد أفراد جماعة الرواة كان على مدى هذا المستوى يروي - بصيغة

العلاقة ما بينه وبين واقع التقاليد الحاكمة في القرية، واكتفى باختزال مفهوم الدين، وقصره على الجانب التعبدية فقط، ما أقحمه في نوع من المنطق التوفيقي يسوّغ عبره لأبطاله الخضوع لشروط الدين التعبدية حتى وهم يمارسون الجنس المحرم خلصة (وقراءة الثانية بعد منتصف الليل، انتهينا من علاقة حافلة بالجنون والإثارة بحيث غفونا بعدها مباشرة، وهي ترقد عارية فوق جسدي، وعند فجر اغتسلنا معاً، وتوضأنا، وكانت هي أول مرة أفق فيها للصلاة. ص / 100) وقد جاء هذا التخرّيج على لسان إحدى بطلات الرواية الخاطئات (فضيلة). ويبدو أنه ليس دعوة للدين، بل هو دعوة للخطيئة التي تمادت في ممارستها حتى ما عاد تخريجها المنطقي ذاك يُفتق بأن ما تقترفه منها هو الحل لإشباع ما تعانيه من الحرمان.

بيد أن هناك مأخذين على هذا المستوى؛ أولهما حكاية، والثاني تركيبية، فمن الناحية الحكائية قد يُشخص نوع من التناقض ما بين الإمعان في وصف وطأة الأعراف وانغلاقها، ومن ثم انعكاسها على العلاقات الإجتماعية داخل مجتمع القرية من جهة، ومن جهة أخرى ما بين سماح أبرز شخصيتين قرويتين تمثلان الحماة والحراس لتلك الأعراف، سماحهما لرجل غريب وهو البطل في الاختلاء بنسائهما (زوجاتهما وبناتهما وشقيقاتهما)، بل والمبيت معهنّ خلف أبواب مغلقة. كما أنّ اقتناع الرجلين بذرائع البطل للسماح له بذلك الاختلاء تبدو مقحمة، ولا تنطلي على رجل القرية الذي تشبّع بأعرافها

الجماعة - نيابة عنها، ولم تمنعه نيابته عنهم أن يُعبّر في موقع واحد عن رأيه الشخصي في ما عُرض أمامه.

ويبدو القفز على خط الزمن المستقيم واضحاً في هذا المستوى، ولا بأس من اعتماد عُمر وضحة أداة لقياس مدّة الزمن المستقطع، وهو الزمن الذي يتوسط ما بين زمنين، الأول محدّد باللحظات الأولى من مقتل البطل - حيث يُفترض أن عمر وضحة كان يومئذ على مشارف الستين - والزمن الثاني هو زمن تدوين الرواية، والذي يبعد - بحسب ما يمكن استنتاجه - عن الزمن السابق بأكثر من ثلاثين سنة، حيث أنّ وضحة قد بلغت خلال الزمن الأخير التسعين من العمر، بحسب أخيها الشيخ عبد الله.

وبالعموم يمكن تشخيص مظهرين للرواية في هذا المستوى:

### المظهر الأول:

ويمثله الرواية المفارقون والمحايدون الذين تعقبوا حادثة القتل منذ بدايتها، وحتى الكشف عن القتل ومحرضتهم. وخلال هذا المظهر لم يكشف الرواية عن مواقعهم، ولا هوياتهم، ومن دون أن يعلنوا عن صوتهم اللغوي. ومن الواضح أن تعقبهم لحادثة القتل وملابساتها لم يكن بتماس مباشر معها، بل عن طريق مصادر ناقلّة أخرى متعددة أغلبها مصادر جماعية باستثناء مصدر ناقل مفرد واحد، يمثله الشيخ عبد الله، وعدها فجميع المصادر الأخرى هي مصادر جماعية غير محددة المعالم غلبت عليها تسميات بصيغ شتى كل منها تمنح المصدر وضعاً خاصاً تتحدد عبره مسافة

اتصال المصدر بالحدث، وفيما يأتي تفصيل لتلك المصادر الخبرية الناقلّة:

1 - منها ما جاء بصيغة (الشهود العيان)، وتفترض هذه التسمية أنها تمثل المصادر الأكثر تماساً مع الأحداث، وبالتالي فرواياتهم هي الأكثر مصداقية.

- (كما ذكر شهود عيان - تم العثور على جثة الدكتور ...) (ص / 218)

- (وعلى رواية الشهود العيان، اتخذ رجال الحكومة من مقر الشيخ ...) (ص / 218)

- (وعلى روايتهم كذلك - والمقصود الشهود العيان - تعرض الحاج مهاوي إلى حالة إغماء) (ص 218)

2 - وضمن الإطار نفسه، وعلى بعد ذات المسافة ما بين الأحداث والشهود العيان كما في الفقرة السابقة (1) تأتي تسمية المصادر بصيغة لا تقل عنها مصداقية.

- (... وذكر من كان حاضراً) (ص / 221)

- (ونقل من كان حاضراً ورأى المشهد عن قرب) (ص / 221)

- (أما الأمر المؤكد والذي أجمع عليه كلّ من التقينا بهم من السكان) (ص / 222)

3 - ومنها ما جاء بصيغة جماعية غائمة، من دون تحديد علاقة المصدر بالأحداث ولا طبيعة اتصالهم به:

- (على ما تناقله الناس) (ص / 219)

- (ولكنّ الناس على ما يُروى) (ص / 220)

- (ولكنّ أغرب خبر تناقله الناس) (ص / 221)

4 - ومن المصادر الخبرية ما بقيت شهادته ضمن حدود الإدعاء والزم، من دون أن ترقى إلى مستوى التصديق.

- (على ما زعم البعض) (ص / 221)

- (وآدعى آخرون) (ص / 222)  
- (حتى قال أكثر من واحد) (ص / 222)

5 - وهناك إشارة واحدة إلى مصدر خبري ناقل مكون من مستويين، جماعي (الناس) وفردى (مدير المركز الصحي). - (كما نقل الناس ذلك عن مدير المركز الصحي) (ص / 220)

### المظهر الثاني:

ويمثله الرواة المشاركون، ولو أن مشاركتهم ليست بأخذ دور نوعي ما ضمن الفاعلين الآخرين، بقدر ما هي مشاركة من يتعقب آثاراً مموهة أو ممحية لأناس انقطعت أدوارهم، من دون أن يعلن هؤلاء الرواة عن هوياتهم، وعن الغاية الصريحة والدقيقة من ذلك التعقب، على الرغم من ارتباطه مع مجريات التحقيق في حادثة مقتل البطل، فهل هو لغايات إعلامية؟ أم لغايات تحقيقية جنائية؟ وهل هم صحفيون، أم هم محققون جنائيون؟ أم أن مهمتهم كما ادّعوا توثيقية للمكان (ص / 222)؟ والإدعاء الأخير زاد مهمة الرواة غموضاً، فهو لا يعني شيئاً ملموساً، ولا يوضح المعنى العملي الدقيق لمفهوم التوثيق المكاني، والغاية منه، وعلاقته بقضية القتل بعد ثلاثين عاماً على اقترافها.

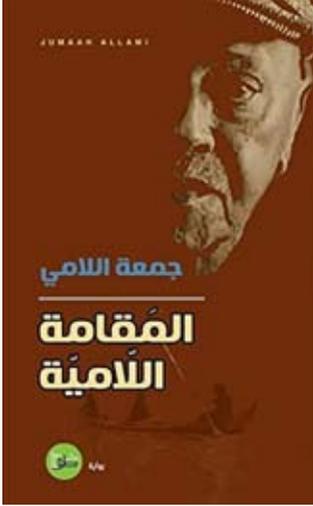
ويختلف هذا المظهر الذي يمكن عدّه مظهرًا ناطقًا عن المظهر الأول الذي كان صامتًا، وسبب الاختلاف بين المظهرين هو ذاته سبب تسميتهما؛ ففي المظهر الأول لم يعلن الرواة عن صوتهم اللغوي، بينما هم في هذا المستوى قد أعلنوا عنه، على الرغم من أن ذلك الإعلان جاء متأخرًا في الصفحات الثلاث الأخيرة من الرواية، وإعلانهم ذاك يكونون قد أعلنوا خروجهم إلى منطقة العن، وقد توافق ذلك مع اتصالهم بشخصيتي الرواية (وضحة وأخيها الشيخ عبد الله).

هذا، وينطوي المستوى الأخير الثالث على خاتمة ذات تلميحات ذكية تختزل رمزيًا صورة الهيمنة الذكورية، ومدى إحساس المقموع بتبعيته للقاعم، فعلى بالرغم من القهر الذكوري المتعدد الأشكال، ينتهي دور الراوي/البطل الذي شارك بشكل ما فيه ولو بصيغ مخالطة ومبطنّة من خلال خياناته المتكررة، أو (نذالاته) كما يسميها هو نفسه مقراً ومعتزلاً بها، ينتهي دوره بأن يرتقي - بعد مقتله - إلى مقام القداسة، فينال القاب (الشهيد والولي والرجل المبارك)، ويبنى له مسجدٌ باسمه، وقبرٌ يُتبرك به، والمفارقة أن النسوة اللواتي ساهم البطل في قهر بنات جنسهنّ كانت لهنّ حصّة وافرة في ترسيخ قداسته، فقد صار قبره مزاراً لهنّ (وربما تستغربون إذا قلت لكم أنه بعد مدة قصيرة بات مزاراً لمئات النسوة اللواتي لديهنّ نور، ويقصدنه طلباً للمساعدة) (ص / 223).

(\*) عيادة الحاج مهوي - رواية - حسن العاني - منظمة نخيل عراقي الثقافية - الطبعة الأولى - 2021.

# المقامة اللامية\* / مقاربات الدوائر المستقيمة

مرتضى محمد



دائرة الابتداء:

تبدأ من كوميدياً النسل الممتد:  
(ما بين بلاد أروك والغار المقدس  
ببكة)<sup>(1)</sup>

حيث البدايات، والنشأة التي لما تزل  
تستنطق الرموز، والأحرف المقطعة.  
تلك التي نُميت بـ (إيشانات) الوحي،  
والفكرة، والسلوك وألسنة حداد؛ اللاتي  
تعرف أيّ البلاد عقيم، أو ذات ولادات  
متأخرة، تعرف روائح الأتربة التي تُنمي  
إليها قوادم الخيل والصحراء؛ تلك بدايات  
تتألف فيها الأفقية فقط:

((سيقوم أهلنا وستمتد الأجساد نصف  
العارية ما بين بكة وطيبة وكوفان والخليل  
وأورشليم.. ويبدأ الطوفان))

دائرة الإبتداع / دُنيا السرد:

جديدة، ومبتكرة، وغريبة عن معطى  
القص المألوف في هذا الفن/ الرواية.  
مدخلاتٌ تنتقل برشاقة العارف عن  
مخاضات السرد الذي يبوح عن أعماق  
عارفة، وقارئ لمعطى الأرض والانتماء.  
أخذ في هذا السفر خروجاً إلى أداة ينتبذ  
بها مكاناً جنوبياً في غير موسم التمر،  
بل في موسم التقطيع الحرفي، واحتراف  
طريقة تستدعي انزياح الأفكار الباحثة عن  
أفق متغير، يتخذ من الثبات الدلالي في  
القص والتراث، حركة إبداعية تستدعي

التشكل الإسمي المتصالح مع ابتداع  
(الهمذاني)، والروعة (الحريرية).

((وأني الآن أرى الزمن لحظة بلحظة  
بل أنني الآن أعرف أسماء القتلى،  
السجون ومدن الأنصاف))

اتخاذ شكل (المقامة) في التعاطي مع  
القص؛ مهّد به البوح لشخصه كدائرية  
لما يريد الكلام عنه، من خلال إطلاق  
المستتر، والمؤلم، والمبهج، والماضي،  
والمستقبل، والقراءات التي تعتمد ذلك  
المسار الدال على ما يريد إيصاله في  
هذه الحكايات التي تتوزع على رؤوس  
الشخص التي تجتمع لتطرح اسمها

المُقَطَّع بينها (ج م عة).

دائرةُ الأسماء/ بُنى الشخصوس  
السردية:

((ال م: هو ذا اسمي، وهو اسم جدنا  
الأول. كان الجد كوفيا ارتاع للأوضاع...  
بعد أن تفكّر في أسبابها ونتائجها...))

أحمد العبد الله: أحد الشخصوس التي  
بُنيت/ بناها على شاكلات الاستفهام،  
ومحاولة استدعاء ذبذبات الجواب، ثم  
الاجتراح في السرد، مجدداً به الصيغ،  
وداعيا من خلاله إلى إعادة تعريف الحب،  
والعاشق، والهارب، متخذاً به (أحمد العبد  
الله) شراعاً فوق أعاصير الخط الأحمر  
المائل للسواد في أحياب الموقف.

إبراهيم الأحمد: هو مع شخصوس  
المقامة تلك، والتي هي عبارة عن مائدة  
مستديرة للشخوس، والتي نصبت سرادق  
الرحلة ومقوماتها، وهو من الشخصيات  
التي ألبست الطعن مفادات الرحيل،  
وأيضاً استرقت السمع من خلف الأكمة  
التي كانت تنمو بفعل المياه المتسربة من  
عيون مبهمة:

((فعندما كان (ال م) في معتكفه،  
سمعته ينطقُ بكلام لم تسمعه من قبل: إذا  
كان هذا مصير شعبي فأني القي بهم إليك  
أي ربي وحتى ان تعرّف إليك بعضهم -  
وهؤلاء قلة من القلة-))

وليد الأحمد: شخصية التقاطع الذي  
رَسَمَ أحاديث الأنثى، ومنحها الرؤية  
والرواية، واتخذها الحبيبية، والأم،  
والجدة، والأرض، وأعطى مساحة  
لتشعبات الوجود الأنثوي، الذي يتداخل  
مع الأسطورة.

سالمة: هي سلالة:

((منجذبة إلى قطب آخر لا أعتقد

بوجوده: الروح))

فسالمة، التي بها (أتاك المادحون  
مردداً) كونها الآتية من بين صُلب تل  
(اليشن) وترائب (زينب) ذات العيون  
المغمضة في التأريخ، والبصيرة في  
استحضارها للتعاطي مع الأفكار التي  
تنأى عن (الصيهود) راجيةً (خنياب)<sup>(2)</sup>  
التواتر للإيجاب:

((أنت تحبها، وسيكون من العار،  
على أي إنسان يلقاها ولم يقع في أسرها،  
وأفكر إنك ستقول لي: سالمة اغتار  
الحياة...))

تحيلك تلك الأسماء إلى عوالم تلك  
التجليات الكتابية التي تنتاب الحالة  
المتوحدة في عوالمها، تأخذك بمظهرها  
لغير المؤلف، بإيرادها صور التجلي،  
ملتحفةً مرة بالواقع، ومرة بالمجهول، ومرة  
بتبعات (أقرأ)، والرؤى التي تداخلت مع ما  
قبل (أقرأ) وما بعدها؛ محيلة رؤى جديدة  
أتى بها (أحمد العبد الله) من خلال صور  
(جمعة اللامي) التي جمعها من أخريات  
التجارب، والبوح، والألم، والوحدة-وحدة  
الموقف والسلوك والمعطى- حيث كانت  
تلك الصور المشكلة:

الصورة الأولى:

((بينما تبقى عيناه تلويان الى أمام،  
إلى أعلى وأسفل، نحو الشرق والغرب،  
تريدان تضمّن هذا الوجود وتحويله الى  
صور قلبية))

والصورة الثانية:

((صوتا يصل إليه من أمكنة مختلفة.  
أمكنة دائرية كان الصوت يفاجئه ناعما  
ورقيقاً وأمراً: (أقرأ) ولا يتذكر سوى ألم

غير مؤذ في مقدمة رأسه))

أما الصورة الثالثة:

((... حينئذٍ يستطيع أن يرنو ببصره فيرى آخر امتداد في الصحراء، أو أنه يخوض في غياهب من المياه الزرق والبيض، ويرى بأم عينيه أشكالا آدمية تدب على أربع، وصوراً بشرية تجري)) دائرة الصحف والتلاقي/ صحف<sup>(3)</sup> المغايرات السردية:

تلك دائرية الاشتقاق التي يتبناها اللاوعي الإبداعي الذي يرحل من صورة إلى صورة، ومن قلب إلى قلب، شريطة أن يكون العقل عاملاً غير ثابت؛ لكي يعيد صياغات تلك الإبداعات والشطحات الإنسانية، ويهبها إلى القارئ بصيغ، وبناءات، وشخص جديدة تامة. فـ”... لما كنا في الخلق الخيالي، وفي إعادة الخلق التي هي القراءة الواعية، نجرب طريقة معقدة من العلاقات ذات المرامي المتعددة... إن الرمزية الخارجية في الرواية؛ تهدف الى الانعكاس في رمزية داخلية...“<sup>(4)</sup>. يأخذك (جمعة اللامي) بإحدى رمزياته التي تفرزها مدينته، مدينة (أ.ل.م)، بأن هناك قراءات ماورائية تُجهدها أترية هاتيك الأمكنة.. حيث يكون ابداع التلاقي عبارة عن ومضة قرأت وأبدعت فيما بعد وفيما قبل:

” أنست من قلبي القساوة. حين حلت ساوة. فأخذت بالخبر المأثور. في مداواتها بزيارة القبور... فلما صرت إلى محلة الأموات... رأيت جمعا على قبر يحفر. ومجنوز يقبر. فأنحزت اليهم متفكرا في المأل. متذكرا من درج من الآل...“<sup>(5)</sup> فيتأتى لنا أن نقرأ:

((إن كل شيء في حركة وتنافر وتجادب، أن القرى القديمة تعرضت إلى إبادة مرة بالصاعقة، ومرة تالية بريح عاتية، غير أن مدننا جديدة كانت تنبت...))

لم نألف -على الأقل بالنسبة لي- في دنيا القص/ الرواية أن هناك صحفا ملقاة على قارعة الختام، تبدأ قصصا أخرى، تلك الدائرية الجميلة المؤلمة، الماورائية بطريقة البوح، الضاجة بالتجربة وذكرى سنوات عجاف/ سمان كانت خلف أسوار الرمل، وشخصه المتحركة التي تتلعب أقدام لوركا، وأبي ذر، وشيء من طرفة بن العبد، وبقايا أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي. صحف قرأت خوالج الرب الذي يقتبس من هنا وهناك، تجليات المحبة والأمل، والقدرة على استقراء الغيب بلغة الواقع/ الماضي/ المستقبل، صحف تستجلي صدا الفراغ الصوفي الذي اختفى خلف أسيجة اليقين، والقراءات السبع، ذاك التجلي الذي يعود مرات بمعراجة الخاص إلى الدموع الأولى، والقراءات الأولى، والبوح الأول:

((... يا (أ.ل.م) من ذا يدعونا، لتنتذكرك، أكثر من الصلاة الوسطى، حتى ونحن في زلزلة سجنك المظلم؟))

هذا ما خط على صحفه الأولى/ صحيفة إبراهيم. تقلبها توصيفات تبيح لقراءتها مفادات:

((هنا لا شيء سوى كلمات (أ.ل.م).))

الناس كلمات.

الله كلمات.

وأنا كلمات ايضا))

يرتاع المد المليء بخبايا، ومفازات

شتى، ألفت الأصقاع والناس لتقترب  
أخيرا في محطة رحال الساحل، والتمر،  
والسموم؛ لتنشئ صحيفة عزلتها، مغنية  
بصوت غَلَبَ عليه سُكْر الحواريات  
التي حاورها نفسا بنفس على مقربة من  
شيراز:

”أيها الساقى أشعل بنور الخمر كأس  
شرابي ...  
فكثيرا ما رأيت في كأس الشراب،  
صورة الحبيب ممثلة بادية ...  
تعال أيها الصوفي!! فأنا مرآة القلب  
صافية لكأس من الشراب ...  
وأنظر فيها لكي ترى ...  
وأسأل السُكّارى المعربدين عن  
الاسرار التي يكتنها الحب والستر  
فهذه الحال ليست حالة الزاهد العالي  
المقام  
والعنفاء ليست صيدا لأحد، فأجمع  
شباكك  
فكل ما يقع فيها هو قبض الريح ...!!  
»(6)

((أيها الساقى:

لا تحزن، ولا تفرح

لا تمت ..))

وحيث للمكانات طللٌ، ووقوفٌ على  
ذكرى وليالٍ عشر، المكان وما له وفيه  
وإليه، تلك اللواعج التي تُبث تباعا منذُ  
أزل، ولوعةٍ، وأسئلةٍ تفتتح مصراعي  
الأبواب، والأسيجة، والعنبات الغنية بتلك  
الأحاديث، واللقاءات:

من سجايا الطلُولِ أَلَا تُجيبا

فَصَوَابٌ من مُقَلَّةٍ أَنْ تَصُوبا

فاسألها وأجعل بُكَاءَ جوابا

تُجِدِ الدمع سائلا ومجيبا(7)

مع هذا الطلل، ومكاناته، ووقفاته كانت  
(صُحف المطر) مبللة عن بكرة جفافها؛  
بُللت بالحب، والأشواق، والأمكنة:

((يذكرني بكـ المطرُ

عندما يغسل الرملَ في باحة  
السجن ..))

نعم أن هناك لونا رماديا أخضر كان -  
ربما - موجودا على باب الحانة، الحانةُ  
التي تقراً مكنونات الأشواق وتستقرئ  
خباياها، وألمها:

((نادلة الحانة

لا تعرفكـ

لكنها

أذا رأنتي..

نطقت باسمك ..))

فكثيرا ما رأيت في كأس الشراب،  
صورة الحبيب ممثلة بادية ...  
تعال أيها الصوفي!! فأنا مرآة القلب  
صافية لكأس من الشراب ...  
وأنظر فيها لكي ترى ...  
وأسأل السُكّارى المعربدين عن  
الاسرار التي يكتنها الحب والستر  
فهذه الحال ليست حالة الزاهد العالي  
المقام  
والعنفاء ليست صيدا لأحد، فأجمع  
شباكك  
فكل ما يقع فيها هو قبض الريح ...!!  
»(6)

ليغني (جمعة) وصحيفته تلك، مرة  
ثانية أمامِ عوالمِ مجتمته:

((بلابل المنازل،

ونيران اصفهان

حَمَامُ المساجد

وعصافير العرب

فاختات الحلة النخيل

كان غناؤه هذه المرة بصحيفة عزلته  
تلك، وبلسان سكرٍ ثانٍ مفاده، وبوحه:

((النومُ، والبحار، الجبال، الريحُ،

المياه، السماوات المجرّات، الملائكة،

الانعام، الانوناكي،

سُكْرى مثلي))

بين من هم قد تشبعوا بذِيَاك الألم المبهم  
لنفوسهم ليمنحوه بطاقة خلود أخرى في  
أدمغة المادة، وسيالانات الأفكار التّواقّة  
إلى العيش كصيب؛ ليتأتى لهذه الصحف  
أن تجد مديات في تلك الرواية التي بُنيت  
على غير المألوف في أسلوب القص  
المرتکز على أبجديات تراثه ولغته ليهب  
أغانيه الجديدة.

ليأتني أحد الشخوص الذي يهبنا من  
دائرة روايته وشخصه وبوحه وأغانيه،  
يهبنا بياض فكرته حول لياليه البيضاء  
قاصا إياها من أن في:

((تلك الليلة البيضاء ليلة اللحي  
والوجوه الملتمة/ ليلة الخيل المجنونة  
والأفاعي ذات الأنياب الخضراء/ ليلة البرد  
الأزرق وصراخ الصندل/ ليلة ابتهاج  
نخلة الدار وعواء الذئب))  
دائرة النهايات المفتوحة/ مقامة  
الخروج:

إليك يسعى الباحث، والمتشكك.. ومنك  
يتورد المفتاح ومآلات التقصي.. يامن  
تكورت بالصدفة، والأزل، ثم بالمبهم  
والجدل.. تواريت ربما، ولماذا، ومن  
أين، وماذا.. يا من قلنا أمام إحاطته:

((يا هذا الذي لا تطاله المعرفة.. يفتح  
الشدق.. ويتباعد الشدقان. العوز الثأري  
يحولني إلى واحد وأنت الواحد. فلا أجد  
الجواب بوحدتي ووحدانيتك، ولا بقوة  
الحق لأنك خارج اجتهاده)).

فيتأتى لنا أن نقرأ تلك، ويسري  
بنا التلاقي إلى حيث ومضات العقل  
الناقل لصيحاته، وتطلعاته، وخلجاته،  
وهومومه؛ لتتناسل أخريات الأرحام  
أفكاراً وصياغات أخر، على مقربة  
من القلب المتجلي تجاه المطلق بكل  
استفهاماته، ورؤاه، وكفره وإيمانه،  
وأيمانه وكفره؛ لبيان دلائل أول الفهم،  
وشكل المعرفة. "قبل مئة سنة من هذا  
اليوم كتب شاعر: عند الفجر، مسلحين  
بصبر متأجج، سندخل المدن الرائعة.  
أنا أو من بنبوءة رامبو... أنني لم أت  
من إقليم غامض، من بلاد مفصولة عما  
سواها بجغرافية قاطعة. كنت الأكثر  
هجرانا بين الشعراء، وكان شعري  
محلياً، مؤلماً وماتراً. ولكنني كنت  
أثق على الدوام بالإنسان... بالصبر  
المتأجج فقط سنقتحم المدن الرائعة...  
وبهذا لا يكون الشعر قد غنى هباء" (8)

وحيث أن هناك بصورة مفاجأة قد:  
((صرخ أحدهم يا رئيس العرفاء  
قد هرب أحمد العبد الله... سمع صيحة  
السجين سدّد بندقيته على أحمد العبد  
الله فانهار الجسد العاري نصفه في  
داخل السجن.. ونصفه الآخر خارج  
السور)).

هذه أوراق الصحف التي اشتقتها  
قراءة الرمزية، وتم إعطاؤها من ذلك  
الإنسان ملامح الشبه والتأثر النفسي

\*بُنيت هذه المشايعة على آلية كتابة هذه الرواية والتي صدرت عن دار خطوط وظلال/ عمان - الأردن/ طبعة جديدة، 2021. حيث جعلها القاص والروائي/ جمعة اللامي على غرار المقامات العربية مثل (مقامات الحريري/ القاسم بن علي بن عثمان أبو محمد الحريري). فجاءت هذه المشايعة بتلك المقاربات؛ محاولة أن تساير تلقي نهج القص الجديد والغريب في عالم السرد!

#### الهوامش:

- 1- ما بين (( )) ستكون العبارات هي مختارات من رواية المقامة اللامية.
- 2- الصيهد والخبنياب: مفردتان من اللغة العامية العراقية تعنيان (على التوالي): شحة المياه وفيضانها.
- 3- ضمت الرواية ملحقاً كان عبارة عن صُحفٍ ابتدعها الروائي، كحالةٍ كتابيةٍ جديدةٍ وغريبةٍ في عالم السرد، حيث كانت مسمياتها (صحف إبراهيم، صحيفة العزلة، صحيفة المطر، صحيفة الرماد، صحيفة البياض، صحيفة المروءة، صحيفة الحب).
- 4- 4 ميشيل بوتور (2019)، بحث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونوس، وزارة الثقافة والرياضة، دولة قطر.
- 5- مقامات الحريري (1978) القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد الحريري، المقامة الساوية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 6- ديوان أغاني شيراز (2004)، غزليات حافظ الشيرازي، ترجمة الدكتور ابراهيم الشواربي، المشرق للثقافة والنشر، طهران، ط1.
- 7- البيتين لأبي تمام حبيب ابن أوس الطائي.
- 8- أنطونيو سكارميتا (2011)، ساعي بريد بابلو نيرودا، تعريب صالح علماني، مسكيلياني للنشر، تونس.

# تيار الوعي والوعي الثقافي

## رواية "راحلون رغما عن أنوفهم" أنموذجا

نجاه تميم



"لا يستطيع أحد الكتابة من دون أن يتخذ موقفا انفعاليا مما يحدث في العالم".  
رولان بارت

### تيار الوعي

عندما نذكر رواية تيار الوعي، سيحضرنا، بالتأكيد، سرد عن كل ما يخالج الشخصية الروائية من مشاعر وإحساسات متناقضة وربما اضطرابات نفسية تجري في تيار منساب من أعماقها، تشاركنا، من خلاله، تجربتها الحياتية وتخطباتها على شكل اعتراف أو إعادة حسابات أو تنفيس عن طاقة مكبوتة.

يعتبر "تيار الوعي ثورة في الأدب في القرن العشرين". فهو، حسب روبرت همفري، علمٌ يكشف الحياة الداخلية والعقلية والعاطفية للإنسان. يعتمد على سرد قصص تركز أساسا على ارتياد مستويات ما قبل الكلام من الوعي وذلك للكشف عن الوعي الداخلي والنفسي للشخصية.

ويصنف روبرت همفري أربعة أنواع أساسية من التكنيك المستخدمة في تقديم تيار الوعي؛ وهي المنولوج الداخلي المباشر بالضمير المتكلم، والمنولوج الداخلي غير المباشر، والوصف عن طريق المعلومات

المستفيضة، ومناجاة النفس<sup>(1)</sup>. ونعلم أن إدوارد دو جردان هو أول من استعمل المنولوج الداخلي في روايته "أوراق الغار المقصوصة" عام 1888<sup>(2)</sup>. ولقد توصل دو جردان إلى أن المنولوج الداخلي، الذي يستخدم ضمير الغائب أو ضمير المخاطب، هو مجرد قناع للمنولوج الداخلي بضمير المتكلم. واستخدم، لذلك، مصطلحا مستعارا هو المنولوج الداخلي غير المباشر<sup>(3)</sup>.

لقد اكتشف وليم جيمس أن الذكريات والأفكار والمشاعر توجد خارج الوعي الظاهري وأكثر من ذلك فهي تظهر للإنسان لا على أنها سلسلة بل على أنها تيار... فيضان<sup>(4)</sup>. فالوعي هو وعي الانسان بالتجربة الانسانية وهذا ما تجسده الكاتبة والروائية العراقية، صبيحة شبر، في عملها. فتطلق

العنان لذكرياتها وتجربتها الحياتية وتعبّر عن مشاعرها وأوهامها وحتى تخيلاتها. وبهذا فقد تصل إلى رؤية وبصيرة تجعلها تمزج بين التجربة الروحية والعقلية. فتتداخل المشاعر والأحاسيس والوعي الثقافي الذي عن طريقه تُحدّد الشخصية موقفها في الحياة كإنسانة أولاً وكامرأة يسارية في مجتمع تقليدي ونظام متسلط.

تقع هذه الرواية في 178 صفحة من القطع المتوسط وتتكون من سبعة فصول وثمانين جزءاً مرقماً ومتتالياً. بعد الاستهلال، ينقسم السرد إلى مستويين تتناوب فيهما تقنية المنولوج الداخلي المباشر وأحياناً مناجاة النفس والمنولوج الداخلي غير المباشر. ففترة ابتعاد ليث لمدة شهر عن سامية يجعلهما، كل على طريقته، يعيدان النظر في حياتهما ويسترجعان ما حدث خلال ثماني عشرة سنة مضت. فليث هو السارد الأول، أما السارد الثاني فهو سارد عليم يتمثل في وعي الشخصية الرئيسية سامية. فتارة يقص علينا ليث ما حدث منذ يوم عيد ميلاده النحس، وتارة أخرى، يتوجه السارد العليم بضمير المخاطب إلى سامية.

يروى لنا السارد ليث أحياناً في منولوج داخلي مباشر وأحياناً في مناجاة مع نفسه قائلاً: "لا داعي لأن أترك شعوري بالإثم ينمو في داخلي ويتضخم، إنما جميل أن يكون لي ضمير صاح يحاسبني إن أكرمت في حق الأعبة.." ر.(ص6). فينتقل بنا السارد العليم مخاطباً سامية أصبحت تتعيين بسرعة.. وحين كنت في الشهر الثاني نزلت، لأنك أرهقت نفسك في الأشغال المنزلية التي لا تجددين أحداً يقوم بها سواك" ر.(ص6).

وهذا السارد الذي يستعمل ضمير المخاطب ويتوجه مباشرة إلى سامية ما هو إلا وعيها - قرينها الذي يذكرها بأحداث في الماضي. ويحاول الوعي - القرين أن يعيد النظر في هذه الأحداث ويُقيّمها في الحاضر. فزوجها نصير لا يساعدها في الأعمال المنزلية كما أنه يعاتبها لعدم التنويع في وجبات العشاء. ويذكرها وعيها - قرينها بتصرفات زوجها. فكيف تتحمل هذا الزوج الذي يستغلها مادياً ولا يهتم لتعبها ويصرف راتبها على أهله من دون مشورتها، وجعلها تستعني عن ركوب التاكسي وهي حامل في شهرها السابع لأنه صرف راتبها وما تبقى أعطاه لأخته لتسافر به إلى فرنسا، فضلاً عن تعب الحمل وتحمل تصرف زوجها وجب عليها أن تتحمل، أيضاً، مضايقات وإلحاح وتهديد جلاوزة الحزب الحاكم لكي توقع وتنضم إليهم. لكن حصل ما كانت تخافه. أتوا فجرأ وأخذوا زوجها نصير وقد صادف ذلك يوم عيد ميلاد ليث ابن جيرانها. لكن قبل أن يطفئ ليث شمعات الكيكة الخمس طرق الباب واقتحمه مسلحون متهمين العائلة باجتماع ممنوع. وحدثت الكارثة.

جاء الاسترجاع الفني في هذا النص السردى على شكل نسق زمني هابط، فانطلق من نقطة في الحاضر وهي ذروة الحدث؛ إحساس ليث بالذنب تجاه سامية، خلال فترة غياب مدتها شهر، ثم ارتد إلى الماضي. بدأ ليث يسترجع ذكرياته وحياته مع سامية، أحياناً في مونولوج داخلي مباشر، بحيث يواجه وعيه بمناجاة نفسه ويُعلم بذلك المتلقي بما يجول في دواخله واستكناه عالمه الخفي الذي يخفي فيه عشقه لحبيبته سامية، التي

تكفلت بتربيته بعد إعدام أهله. لقد مرّت خمس سنوات على زواجه منها. وأصبح عمره، الآن، ثلاثة وعشرين ربيعاً.

فبعد اعتقال زوجها، نصير، نصحتها رفاقها بمغادرة العراق كونها ترفض التوقيع والانضمام إلى الحزب الحاكم. كانت حاملاً في شهرها الأخير فتوجهت إلى الكويت وأخذت معها ليث لتلتحق بوالديها اللذين اضطرا قسراً لمغادرة العراق. فهربت بتاكسي وباغتتها آلام المخاض على الحدود، لتلد ابنة ميتة وفي الوقت نفسه كانت والدتها، في الكويت، تحتضر وتفارق الحياة قهراً على فقدانها لأولادها الخمسة، وتموت أيضاً شهيدة.

إن هذه الرواية لا تعالج فقط ثيمة الجندر ووضعية المرأة العراقية اليسارية في مجتمع تقليدي وإنما تذهب إلى أبعد من ذلك وتوثق لفترة زمنية من تاريخ العراق المعاصر؛ حيث نرى عوائل تخنقي تماماً تحت التراب لمجرد أنها تتوق إلى بلد مدني ديمقراطي، أكثر عدالة وحرية. فنجد أن الجد الشيخ يُقتل من قبل النظام الحاكم وكذلك أقرباؤه وأصدقائه. ويضطر ابنه لأن يغادر العراق إلى الكويت بعد ما اعتقل ولده عادل وطالب وأعدما لاحقاً. كما أن بناته الثلاث هدى ونجوى وشذى غائبات وصديقتهن ولا يُعرف مصيرهن. والشاهد الوحيد، الراوي ليث ما زال يتذكر ما قيل له آنذاك، يوم احتفالية عيد ميلاده الخامس: أنت الصغير ستبقى شاهداً أننا نحب الأطفال ر. (ص 19).

وبهذا فإن وعيها يُعكس ويرى نفسه أيضاً معكوساً. وإذا وقفت الشخصية الرئيسية خارج الأحداث لكي تستعيد ما حدث، فذلك لأن الوعي يريد أن يبرز الأنا الأخرى ويمنح اهتماماً لصوت هذا الوعي<sup>(5)</sup>. وبذلك يحدث حوار بين الأنا نفسها وقرينها. وقد تكون "الأنت" السردية "مناسبة للإشارة إلى الذاتية الممنوعة والحديث الصامت عند البطلة"<sup>(6)</sup>. وهذا ما حدث مع الشخصية سامية، فوعياها يبحث عن البصيرة. وربما وجدها. فأخذ يحاور عقلها وخوالجها خلال فترة غياب ليث. فيعود شريط حياتها إلى عامها الأول من زواجها بنصير. فهنا ضمير المخاطب أو بالأحرى وعيها - قرينها يشير إلى الراوي المتكلم وهو مُنقسم على ذاته يُكلمها ويُذكّرها. فتستعيد سامية ذكرياتها وتعب الحمل وإجهادها في الأعمال المنزلية. وأن نصير لم يكن متفهماً لحالتها الصحية والنفسية لتعرضها السابق للزيف، "رغم أنه يردد الأقوال التي تدل على التقدمية ومناصرة المرأة"<sup>(7)</sup>. ر. (ص 7). لكنه لم يبادر بتقديم المساعدة بل كان يعاتبها. فتحاور نفسها؛ يسألك:

- ماذا أعددت لنا لطعام الغداء؟

- كباب مقلي وسلطة...

- كل يوم نأكل الطعام نفسه... ألا تملين ر.

(ص 7)؟

فعندما يراها والدها حزينة ومتضايقاً يقول لها: ابكي.. لا تبتئسي يا ابنتي، كلنا في الهم عراق ر. (ص 14)!

### التكرار في السرد

نلاحظ استعمال التكرار في هذا النص السردية؛ كلمة وحدثاً. ولقد جاء تكرار

### الجندر

إن استعمال الضمير المخاطب يجعل الشخصية الرئيسية تأخذ مسافة من الأحداث،

الأحداث ليثبت أهميتها، في جزء لاحق، ويعمل كوسيلة للانتقال من جزء إلى آخر؛ أي كمدخل لتسلسل الأحداث. وقد استخدم أيضا لخلق إيقاع وتعزيز الفكرة والإحساس والعاطفة، وهذا ما يسميه جان جيرودو "الصدى"<sup>(7)</sup>. هكذا صادفنا تكرار أكثر من حدث خلال مستويي السرد المتناوب. لكنه، أحيانا، يربك القارئ وربما يدفعه أكثر إلى التركيز في القراءة.

وسنرى أيضا أن الكاتبة سخرت مفهومي "الصمت" و"العجز" لإغناء النص وإعطاءه مدلولات متعددة.

#### - مفهوم الصمت

الصمت، بحسب موريس بلانشون، هو جزء من اللغة، يقول نصمت، إنها أيضا طريقة للتعبير عن أنفسنا<sup>(8)</sup>. وبالتالي فإن أي صمت لمحدث قادر على الكلام، يجب اعتباره عملا تطوعيا كخيار متعمد، كأسلوب للتعبير. الصمت فعل، توقف عن الكلام أو فعل عدم البدء في الكلام. لذلك فهي عملية استراتيجية، إنها تواصل<sup>(9)</sup>. أما جوزيف رسام فيقول إذا كان الكلام يُميّز الإنسان فالصمت يعرفه ويحدده. الكلام والصمت نوعان من القدرات الأساسية المتاحة للإنسان. على الرغم من أن كليهما متساويان في الأهمية، إلا أنه لا يمكن، في نظر رسام، وضعهما في الرتبة نفسها. والصمت، بالنسبة له، هو أكثر تعبيراً، وأكثر بلاغة، ويشكل في حد ذاته السمة اللافتة للنظر، والنوعية الأسمى، ونوعاً من اللغة المطلقة التي تتجاوز الكلام وتتفوق عليه<sup>(10)</sup>. وربما صدق صمويل بيكيت (1906 - 1989) وأوجين إيونييسكو (1909 - 1994) عندما لم يكتفيا بوصف

أمراض اللغة (الكلام) ولكنهما أشارا إلى ضعفها؛ عيوبها وإفلاسها<sup>(11)</sup>. وكما نعلم أن الصمت أساسي في مسرح بيكيت الذي تجاوز كل الحدود ليُقدم الصمت كمادة وكموضوع الأداء المسرحي. وهناك أمثال وأقوال تؤكد هذا الافتراض باحتمال تفوق الصمت؛ فإذا كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب، ونذكر أيضا بأن نقلب اللسان في الفم سبع مرات قيل أن نتكلم.

في هذه الرواية، نلاحظ أن للغة الصمت حيزاً كبيراً. وهي تعكس ثقافة معينة، تميز حياة الشخصية الرئيسية، سامية وأحيانا تطغى عليها. ففي ظرف شهر، أعادت الشخصية الرئيسية سامية حساباتها ووقفت على نقاط الضعف في شخصيتها وتساهلها أحيانا لطبيعتها وأحيانا لأخذها بعين الاعتبار أعرافاً اجتماعية، تربت عليها، وأحيانا أخرى ظروفًا سياسية جعلتها تكبت آراءها وأفكارها خوفاً من بطش الحاكم. وهكذا حُطت مسيرة حياتها. فكان الصمت، أحيانا، العائق الأكبر في اتخاذ قراراتها، على الرغم من أن سامية إنسانة عصامية، متعلمة وفنانة، لكنها لم تطبق نصيحة أبيها حتى في حياتها الخاصة: لا تسكتي عن إبداء رأيك يا بُنيّتي ر. (ص 173)! فتبدأ رحلة الصمت مع التهرب من التوقيع للانخراط في الحزب ويطبق الصمت على حياتها خلال شهر العسل عندما يناديها زوجها نصير باسم امرأة أخرى، سهام. وتشعر آنذاك كأنه يقوم باغتصابها. ولم تنس أنه اعترف بحبه لأخرى تحت تأثير الكحول في جلسة أصدقاء. كما أنه لم يطلب لها، يوماً، التاكسي لزيارة أهله وذلك لأن ما تبقى من راتب سامية أعطاه لأخته لتسافر به إلى فرنسا. لم تكن راضية عن هذه المعاملة لكن

مع هذا كانت ترضخ له. تصمت. فضلاً عن أنه لم يكن ميالا لزرع الثقة في نفسك وكثيرا ما كان يستهزئ من قدراتك، يضحك باستصغار حين تصممين على أمر، أراد أن يقتل الثقة التي زرعها أبوك في نفسك. فأصبح التردد صديقك، وزاد وزنك وتضخم بدنك، ولم تعد الرشاقة تشغلك. وإذا احتجت إلى ملابس الحمل، اخذ نصير يصرخ: خزانة ملابسك ملأى بملابس جديدة ر. (ص 41)... وكم أهداك أبوك أشياء بسيطة تحمل الفرح إلى النفوس وقد حرمك منها نصير، مع انها لا تكلف شيئا. (ص 38). بالإضافة إلى ذلك فإن ليث يشكو من مضايقة جلاوزة النظام الحاكم له للانضمام إليهم، لكنه لا يهتم لمضايقتهم لها. تتذكر سامية أنها أرادت، يوما، أن تطلب الطلاق من زوجها نصير، لكن والدها الذي كان أصلا يرفض زواجها منه، منعها من ذلك، حتى لا يحكم على ابنها باليتم قبل ولادته. فالطلاق بالنسبة لوالدها هو ببساطة موت الأب. فكانت تكبت صمتها الصارخ. وعندما يُعْتَفُّها نصير بكلام جارح تصمت متوهمة أنه يحبها كما تحبه. والآن، تصمتين، ماذا يمكنك أن تقولي، تتوهمين أنه يحبك كما تحبينه... (ص 8). ويذكرها وعيها - قرينها: أه لو كنت قادرة على التعبير عن رفضك له، ما بالك. فلماذا أنتِ بهذا الضعف؟ (... كوني قوية كما ينصحك أبوك المحب. (ص 58). تصمت سامية، أيضا، عندما يسألها الطبيب عن شرب الحليب أثناء حملها وتخفي عنه انها لا تستطيع شراءه لأن زوجها يوزع راتبهما على بيتهما وعلى أسرة والديه وإخوته. وهذا أيضا تخفيه عن أهلها. كما أنها تصمت عند قبولها، من أخت زوجها، ملابس رثة، ووالدها قد أرسل لها،

من بلد المهجر، الكويت، كل ما يحتاجه المولود الجديد. وأختها تعاتبها على ذلك. لكنك تصمتين، ليس من عادتك أن تجرحي أحدا. (ص 28). وعندما يعيدون لها زوجها نصير جثة هامة، يجبرونها على تسليمهم تكاليف الدفن وأن لا تخبر أحدا بذلك. صممت سامية، لم تعد تستطيع الكلام (ص 22). ثم تغادر العراق إلى الكويت وتعيّن مدرسة للرسم. تضطرين للذهاب إلى السفارة العراقية بالكويت لتجديد جوازك، فماذا ستقولين عندما يطلبون منك أن تجاوبي على أسئلتهم (ص 37)؟ تصمتين، فأنت تعرفين أنهم لم يوجهوا لك انتقادا لأنك فنانة ولا تعبر رسوماتك عن رأيك مباشرة (ص 71). وأنت واثقة أن للمبادئ التي تسعين إليها أعداء كثيرين، لا يناسبهم أن يكون العالم بخير، وأن تتحقق المساواة بين البشر (ص 37).. تمقتين الخيانة بكل أصنافها، تسمعين من بعض الصديقات أنهن يقابلن خيانة الزوج بالمثل. تصمتين، تتعجبين لهذا الكلام، كيف تقوم المرأة بالخيانة (ص 94)؟ يذكر ليث أنه سمع اصداق متتورين والذين غادروا العراق هروبا من الاضطهاد يقولون: لا يمكن أن نساوي أنفسنا بالنساء! وأي حماقة تجعلنا نضحى بالمكتسبات التي حققها تسلط الرجال طيلة آلاف السنين (ص 143). ومع هذا يقرُّ ليث، معاتبنا نفسه، أنه تغَيَّرَ وأصبح يكلف سامية بأصعب الأشغال. وهي تتحمل صاعرة، ولا تتطق بأي كلمة تدل على رفضها لمعامليتي التي لم أكن أتوقع أن أقوم بها نحو سامية المعشوقة (ص 144). ولم تتذمر يوما كونها تتحمل كل الأعباء. وتمر الأيام وهي صامدة، مهما حصل لها من ضرر، وابتسامتها مرسومة على وجهها.

تستقبل صديقات ليث في بيتها وترحب بهن، رغم أنهن يحاولن الإساءة لها والتجاوز على حياتها الشخصية. وكيف لك أن تتحملي كل هذا الذل؟ أنت في بيتك؟ لأنه تحبينه وهذا هو الجحيم بعينه! هل لأنك صامتة؟ هل السبب يكمن في طبيبتك..؟ أنت الساهية الصامتة عن حَقِّك (ص 154). وأنت القوية المحترمة في مؤسسة التعليم وفي قاعة الرسم. هل تواصلين الصمت؟ هل تقومين بالصراخ؟ هل تواصلين الصبر (ص 154)؟ فتحت الباب عليهما، هو ورحاب، ووجدتهما في عناق وقبلية طويلة. فلماذا أخذ ليث يصرخ في وجهك؟ ”هل ليداري على فعلته، أم ليجبرك على الصمت، هل خشي أن تقومي برفع دعوى ضده للسلطات (البلاغية)؟ أم أنه استمرأ سكوتك وتحملك لإهانته المتواصلة. أنت جبانة.. توجهين كل الناس للدفاع عن حقوقهم، وتصمتين حين يكون المعتدي عليك فردا من أفراد عائلتك (ص 155). وبقيت سامية صامتة والنساء الزائرات لبيتها يتفننن في إظهار عواطفهن الحارة نحو زوجها ليث. وهذا يحدث طبعاً أمام ابنتيهما، شهد، ذي الرابعة من العمر؛ التي جهزت، حسب الكاتبة، فنجانين من القهوة لأبيها ولرحاب، عندما تركتهما سامية لوحدهما وذهبت إلى مرسهما. فكان أصدقاء سامية يعاتبونها على تربية شهد. هذه الأخيرة تلوم أمها وتصطف مع أبيها الذي يعاملها كفتاة شابة: صرت كبيرة حبيبتى، دخني هذه السيارة. (ص 159)!

تتذكر سامية بأنهن ينعتهن بالمعقدة، لا تحب التجديد، ولا تتلاءم مع مواصفات الحداثة لمجرد أنها لا تتوافق معهن. فيذكرها وعيها - قرينها: أخذت تصمتين، إذ لا فائدة ترحى من إسداء النصح لأشخاص يحبون

السخرية من الناس (...). صمتك أخذ يطول، وهم ينتقدونك لكل شيء. (ص 164). وأنت صامتة لا تميلين إلى الكلام الذي لا يجديك. (ص 165). فغايتك هي إرضاء ليث، لكن من حَقِّك ان تدافعي عن حبك الذي سيسرق منك؟ والأهم أنك ترين أن من واجبك المحافظة على بيتك أن يتهاوى وقد بذلت العمر كله في تقوية أركانه ر. (ص 166). لكن في النهاية يعترف ليث، لنفسه، أن النقاد الفنيين يشيدون برسوماتها المعبرة عن قضايا الإنسان المعاصر، الذي يتوق إلى الانعتاق من أنواع القيود. أما اصداقاهم فهم يصفونها بالأم المثالية والزوجة المخلصة. ويعود ليث إلى ابنته شهد وسامية، هذه الأخيرة التي كثيرا ما سهرت الليالي لتندراً المرض عنا.. وأثرتنا على نفسها. (ص 177)... فالشخصية سامية فضلت العمل بمقولة الحاكم الروماني ماركوس أوريليوس التي تقول: ”أعطني القوة لقبول ما لا أستطيع تغييره والشجاعة لتغيير ما يمكنني تغييره والحكمة للتمييز بين الإثنيين“،<sup>(12)</sup>.

فيعد هذا المسار، يبقى السؤال: هل هذا الصمت، يا ترى، تصرف سلبي أو حكيم أو عجز؟

### - مفهوم العجز

تعريف الفعل عجز هو عجز عن الشيء، ضَعْفٌ ولم يقدر عليه أو لم يكن حازماً. وكل عجز من شأنه أن يحد جزئياً أو بصفة مستديمة من القدرة على العمل. وقد كانت قيمة العجز موضوع بيكيت المتكرر. على الرغم من ذلك فإن عظمة إنسانية بيكيت لا تكمن في نفي الحياة والإنسان، بل في استمرار نداءها لعدم السماح لأنفسنا بالدمار

وهو يبحث عن أصداء في جميع العالم حيث توجد قدرة وإرادة للعيش<sup>(13)</sup>.

لقد استعملت كلمة "العجز" اثنتي عشرة مرة في هذا النص السردي. وكل مرة تحمل دلالة متباينة. ففي البداية، كان العجز الجنسي، الذي أصاب ليث، وسببه الإحساس بالذنب لخيانته لزوجته وللمبادئ التي تربي عليها. أراجع طبيبا. إنني مصاب بعجز جنسي مبعثه الشعور بالإثم. (ص 5). كما أن العجز يشكل عقبة في الحياة عندما سلب الظالمون حيوات أحببنا نشعر بالعجز وعدم القدرة على الحياة لأن المصاب يعجز عن رؤية الجانب المضيء من الحياة. (ص 79). لقد فقدت الشخصية الرئيسية سامية، في ضربة واحدة، شقيقين عادل وطالب وثلاث شقيقات مُعَيَّبات. أما والدها، فإن الألام التي تراكمت عليه منذ إعدام أبيه الشيخ الجليل، ذي التسعين ربيعا، جعلته عاجزا أن يكون في محله التجاري كل يوم (قبل مغادرته للعراق مُنْجَها إلى الكويت). ضعفت قوة الوالد بعد إعدام والده الشيخ ولم يستطع أن يفعل له شيئا. تتذكر سامية كيف كانت تواسيه، فبقي يلوم نفسه:

- ماذا بإمكانك أن تفعل يا والدي وهم عتاة مجرمون؟ وأبوك شيخ أعزل؟  
- كان يمكن أن أولب الرأي العام العالمي.

- أي رأي عام يا أبي، وهم يملكون الرأي وأصحابه. (ص 86)!

إن العجز يعيق الحياة ويؤثر سلبا على الجسم والعقل والروح ويصيب الفكر بالشلل ويعرقل الطموح والتوق إلى الأفضل؛ وقد يكون عجزا عضويا أو ماديا أو معنويا. فليث، الطفل الذي ربّته سامية، كان أيضا

عاجزا عن تخفيف ما تعانیه سامية من ضغوط نفسية من آلام فقدان والحرمان بعد إعدام زوجها. وكذلك العراقيون المقيمون بالكويت، فقد غادروها لمضايقة السفارة العراقية لهم وكثرة الضغوط عليهم لدفع مبالغ مالية كبيرة لدعم الحرب. فكانوا يحسّون بالعجز بسبب ضيق اليد. (ص 118). أما سامية، الابنة البارة، فبقيت بعد وفاة والدها بالمهجر، الكويت، عاجزة عن تنفيذ وصيته ودفنه بالعراق. يوصيها والدها: حين يتغير نظام الحكم في العراق، ادفنوني قرب أحبائي هناك (...). ضعيني مع الأحباب في وطني. (ص 124). اضطرت للرحيل مرة أخرى رغما عن أنفها وأحست بالوحدة واليتم في مدينة صوفيا، بعد وفاة والدها، وكان ليث يتألم وهو العاشق الولهان. ويتساءل: لماذا أشعر بالعجز، وأنا أرى حبيبتني تنوح وحيدة تعاني آلام التكل. (ص 130). بعد أيام سيبلغ ليث ربيعه الثامن عشر. وهو الذي يعاني من حبه لها، أظل عاجزا عن التعبير لسامية عما يغلي داخل نفسي الولهي وقلبي الذي تتربى على عرشه الحبيبة سامية. (ص 135). سامية التي أصبحت فنانة نشيطة، تقيم المعارض في صوفيا وفي دول أوروبية وعربية وتدرّس الرسم في مدارس بلغاريا. لكنها تحس بغربة مضاعفة وسط البلغاريين لعدم تمكنها من اللغة والاندماج في المجتمع، تبقي عاجزة عن فهم مدلول ما يقولون. (ص 136). وربما ملاحظة وعيها- قرينها تكون الخطوة الأولى لكي تُتقن سامية لغة البلد المضيف. ففي أحد الأيام طلب ليث من سامية أن تعلمه كيفية طهي الطعام. لكن حَبْل صبره كان قصيرا وهو يعرف أنه لا

يملك الصبر الذي يجعله يحرز التقدم. فذلك كان ينتقل من عمل إلى آخر. فعندما أصابه الضجر طلب من سامية:

- أكلمي الطبخة واغسلي الأواني!

- عرفت من البداية أنك لن تكمل. (ص 150)!

لم ينس هذه الحادثة فيناجي نفسه وبعاتبها: أبديت غضبي من سامية لأنها تجرأت وعتتني أي عاجز عن الطبخ. (ص 149). ويذكرها وعبها - قرينها بأن ليث كان يتهمها بانها لم تحسن فهمه، مع أنك لم تطلبي شيئا منه. فما زالت كلماته ترن في أذنيك: كلاً قلت... اعترفي أنني لا أجد شيئا وأنني عالية عليك. (ص 151). فتجيبينه بأنك لن تعترفي بشيء ولم تقولي أي شيء. إن ليث وسامية مرًا بظروف قاسية وأليمة، لم يستطيعا استيعابها. لذلك أثرت على قرارات وتصرفات غير مدروسة في حياتهما. فأحياناً اليأس وعدم الثقة بالنفس والتخبط والشك كل هذا يساهم في الإحساس بالعجز العضوي والفكري والنفسي. ويضطر المرء، أحياناً، إلى اتخاذ استراتيجية للاستمرار في الحياة وتجاوز مصاعبها المعقدة.

### الوعي الثقافي السياسي

حرصت الكاتبة على أن تؤرخ لفترة زمنية من تاريخ العراق وألّمت بالإشكاليات النفسية والفكرية لشخصيات روايتها من خلال قصة سيدة متعلمة ومدرسة للرسم، متخرجة من أكاديمية الفنون الجميلة. ترفض أن تنضم إلى الحزب الحاكم وتحمل المضايقات حتى خلال نزفها بالمستشفى. يحاربونها بعدم تعيينها كمدرسة رسم وركنوها كموظفة استعلامات. اعتقلوا زوجها وهي حامل. لكن

مع كل هذا فإنها تفكر بمصير زوجها نصير وتتساءل إذا كان سيتحمل التعذيب ولا يفشي بالأصدقاء، ويكشف عن أسرارهم وعن أحلامهم في تغيير الواقع المظلم إلى حياة أجمل ر. (ص 19). لكنهم أعادوه إليها جثة هامة ومنعوا من التحدث عن ذلك واستقبال التعازي. واضطرت لمغادرة العراق وان تلتحق بوالديها بالكويت. لكن هناك أيضاً لم تسلم من تدخلات السفارة العراقية في شؤون العراقيين، خصوصاً خلال فترة حرب الخليج الأولى. وصلت إلى الكويت بصعوبة وهي حامل في شهرها الأخير وأخذت معها ليث. تعينت مدرسة في ثانوية الأمل بعد أن اضطرت لتصديق شهادة التخرج، بعيداً عن السفارة العراقية. كما أكدت ذلك لليث؛ نحن فنانون، يا حبيبي ليث، ونجيد التواقيع ر. (ص 64). انكبت على الرسم وإقامة المعارض في الكويت وفي دول أخرى منها بلغاريا. كما كانت سعيدة ومخلصة في عملها إلى أن التحقت بالمدرسة وكيلة جديدة تخلف الوكيلة الراحلة أهات الطيبة. فبدأت تضايقها وتطلب منها دعم الحرب، في ثمانينيات القرن الماضي، بكل طاقتها وهذا ما كانت ترفضه سامية بصمت، وتنسل إلى أن هزت الرحال وغادرت الكويت إلى صوفيا وذلك بعد وفاة والدها الذي كان يعاني من مرض فقدان الأحبة والذي ساءت حالته بحيث أصبح يهذي وينادي بأسماء أولاده، عادل وطالب وبناته الثلاث، لكي يودعهم.

### النتائج

1 - يلعب تكنيك تيار الوعي دوراً مهماً في الغوص في أعماق الشخصية الرئيسية ويجعلها تحاور وعبها - قرينها وتعيد النظر

في قراراتها وسلوكها وبذلك تقيّم تجربتها الحياتية عن طريق البحث عن المعنى والتعرف على الذات، تماماً كما تعمل فرجينيا وولف مع شخصياتها.

2 - هذه الرواية تستند إلى الجندر بامتياز؛ وتسلب الضوء على العلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع يحدد تحركاتهما. فالشخصية الرئيسية، سامية، سيدة متعلمة وفنانة؛ فهي مثل للمرأة العصامية التي استطاعت، رغم الظروف الاجتماعية والسياسية، أن تتخطى

عراقيل كثيرة، نفسية واجتماعية وسياسية. وتتغلب على العجز باستعمال لغة الصمت.

3 - نجحت الكاتبة في توثيق فترة تاريخية من خلال شخصية نسائية، ألمت بوضعها النفسي والاجتماعي والثقافي والسياسي وجعلتها تراجع نفسها وتواجه عجزها وصمتها وتستخلص العبر من تجارب انسانية واجتماعية.

ونختم بقول هنري جيمس، بأن التجربة لا تحد أبداً، ولا تكمل أبداً.

الرمز: ر. يشير إلى رواية صبيحة شبر، راحلون رغما عن أنوفهم، بيت الكتاب السومري، بغداد، 2018.

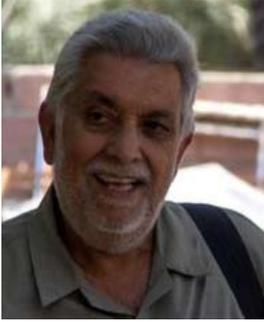
#### الهوامش:

- 1- روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ت. د. محمود الربيعي، دار غريب، 2001، ص. 58.
- 2- Robert Humphrey، 'Stream of Consciousness' in The modern Novel، University of California، 1954، p. 24.
- 3- Ibid، p. 28-29.
- 4- روبرت همفري، ص. 28.
- 5- Gabrielle Moix، 'Poésie et Monologue intérieur' problèmes de l'écriture dans l'oeuvre de Valéry Larbaud، Editions Universitaires، Fribourg Suisse، 1989، p. 66/67.
- 6- برايان ريتشاردسون، السرد بضمير المخاطب، فنيته ومعناه، ترجمة خيرى دومة. نشرت المقالة في مجلة "جونغ" خريف عام 1991، ص 17.
- 7- Etienne Brunet، 'La répétition dans la phrase. Études statistiques'، Journal.openedition.org.
- 8- Annette de La Motte، 'Au- delà du Mot، une écriture du silence dans la littérature Française au vingtième siècle'، Verlag، Münster، 2004، p.12.
- 9- Ibid، p.13.
- 10- Joseph Rassam، 'Le silence comme une introduction à la méthaphysique'، Le Mirail، 1980، p. 40.
- 11- Alain Satgé، 'Samuel Beckett، "En attendant Godot"'، Presses Universitaires de France، Paris، 1999، p.30.
- 12- Kakyo Tannier، 'De Kracht van Stilte، zo vind je rust in de hectiek van alledag'، Xander، Amsterdam، 2017، p.38.
- 13- Alain Satgé، p. 10.

# غليان القدر على الأثافي

## في رواية الوقوف على ساق واحدة لحسن كريم عاتي

مؤيد داود البصام



(الوقوف على ساق واحدة) رواية حسن كريم عاتي التي صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، بـ168 صفحة، القطع المتوسط، سبق أن صدرت له روايتان ومجموعتان من القصص القصيرة إلى جانب ثلاثة كتب دراسات.

يروى فيها حكاية الاهوار جنوب العراق ومعاناة أهلها تحت حكم الاقطاع والظلم الواقع على جمهرة الفقراء من الفلاحين عبر رسم واقع عائلة، تتكون من الأب خشين وزوجته غرنوكه وولده خزل وطفله الرضيعة فتنة، وخشين من رجال الاقطاعي الذي يسيطر على مساحات شاسعة من الاراضي في منطقة الاهوار من دون أن يحدد المكان، تحت حكم المالك الاقطاعي، والذي يدعونه المحفوظ، خشين من حاشية المحفوظ، الذي لا يعرف متى يناله الرضا أو ينال الزعل من المحفوظ لاسباب يعرفها ولا يعرفها، (كان على يقين أنهم سيعاقبونه سواء أحسن الصنع أم أساء) ص13 وما يترتب عليه من مهانة وضرب وابعاد، كما يفعل مع المساكين من الفلاحين الذين وضعه المحفوظ مراقبا عليهم، وشدته مع

عصاه الغليظة وجعلته مكروها من أبناء جلدته، الا أن خشين ليس له مكان الا في خدمة المحفوظ وكسب حظوته أن رضى أو ابى، يسارع في الخدمة وإظهار الولاء حتى وهو يدرك انها طريق الخطأ، فلا مصير له إلا الخضوع لهذا المحفوظ أو ذاك حتى يستطيع العيش وعائلته، وهي النقطة المهمة التي اراد الروائي تأكيدها عن حالة الفرد في مجتمع الارياف والهور وهيمنة الظلم والقهر والاستبداد.

الرواية تتحدث عن فترة زمنية سبقت التحول في شكل الحكم في العراق عندما انقلب ضباط من الجيش العراقي وقادوا انقلابا أطاح بالنظام الملكي، وأصبح العراق جمهورية، أنه يتحدث عن مجتمع الريف تحت حكم الاقطاع، وفي ظل

سلطة ترعى مصالح الاقطاعيين على حساب جمهرة الفلاحين وتحت ظل المحتل الأجنبي، الذي رمز له بما يعرفه العراقيون (الصاحب)، ووظف الحكاية عن عائلة (خشين) ليسرد لنا تفاصيل الظلم والقهر الواقع على طبقة الفلاحين في تلك الفترة الزمنية.

كتبت الرواية بثلاثة فصول، سمي كل فصل منصبة، والمنصبة هي واحدة من الأثافي الثلاث التي يجلس عليها القدر وقسم كل منصبة من الثلاثة إلى أجزاء متساوية، منحها أرقاماً لكل واحدة تسعة أرقام، أي 27 جزءاً لأقسام الرواية الثلاثة، في الفصل الاول يحدد متن الحكاية، في قسوة المحفوظ على خشين لاجل رضوخ زوجته غرنوكه لشهواته عندما ترفض، واكتشاف خزعل اغتصاب المحفوظ لأمه في كوخهم، وإن زعل المحفوظ على ابيه لغرض الضغط حين ترفض غرنوكه معاشرته (فأرسل إليها من تخبرها: الا

### عنوان الرواية.. ورموزه

حسن كريم عاتي من المهتمين بالرموز والشفرات في الكتابة السردية وله كتابات في ذلك، وله كتاب (الرمز في الخطاب الادبي)، لهذا فان العتبة (العنوان) أو (ثريا النص) كما سماها الراحل محمود عبد الوهاب، له صلة مباشرة بالمتن الحكائي الذي اراد أن يوصله لنا، فالوقوف على ساق واحدة، ليس لأن زوجة خشين اسمها غرنوكه، انما تعني (تطلب توازن الجسم أثناء الوقوف على ساق واحدة مجهوداً من البعض، واكتشف باحثون في جامعة كيوتو اليابانية أن القدرة على الوقوف

على رجل واحدة تدل على سلامة وصحة العقل)، (حيث ترتبط القدرة على الوقوف على ساق واحدة بزيادة مستويات النشاط البدني وتقليل مخاطر السقوط وبجودة الحياة وطولها، فإن الوقوف على ساق واحد مؤشر صحي يمكن أن يحسن من اللياقة البدنية)، دمج بين اسم بطلة الرواية غرنوكه وبين صحة الموقف في التمرد والثورة ضد حكم الاقطاع، (غرنوق، طائر مائي أبيض طويل الساق، جميل المنظر له قنزعة ذهبية اللون، وهو نوع من الكراكي (امراة غرائق وغرانقة) ممثلة جميلة ناعمة - شاب غرائق/ فتاة غرائق: حسن جميل) معجم اللغة العربية المعاصرة . على الرغم من أنه حاول أن يجعل من القرية بأشخاصها أبطال قصته لأنها الحياة التي يتحدث عنها، وهو ما يشير إلى أن القدر الموضوع على الاثافي يأخذ مساره من الغليان للوصول إلى التمرد والثورة، التمرد البديل عن الذل والمهانة التي كان المحفوظ وحاشيته يذيقونها للفلاحين، وأن بوادر الثورة نمت في هذه الاجواء ضد الاقطاع والهيمنة الاجنبية، لهذا أطال في الوصف لمعاناة الفلاحين ومجتمعهم عموماً، وقليلاً ما كان يتحدث عن اسرار جمال الاهوار وروعة الطبيعة التي لم ينجُ كاتب سبقه من الحديث عن الأهوار وكتب في اسرار جمالها، ومن المصادفات أن مونيكا نبيل عزيز الكاتبة المصرية أصدرت روايتها (الوقوف على قدم واحدة) تروي فيها عن: لاجئين، أقليات، عابرو جنس، أصحاب بشرة سوداء، ضحايا عنف وحروب وتعذيب واغتصاب. لوحة قاسية



لمجهولين .. (القاهرة. القدس العربي) وكذلك صدر للشاعر أمل دنقل ديوان شعر (الوقوف على قدم واحدة) القاهرة. وكلاهما يتحدثان عن مأساة الإنسان في هذا العالم الظالم، ولا سبيل الا الوقوف على قدم أو ساق واحدة الموقف السليم، ليأخذ العقل والإدراك مساره لإتمام التمرد والثورة، للوصول إلى الحياة السعيدة.

ولأجل أن يضعنا في الصورة كتب سرده بتمرس في اللهجة الجنوبية بلغة شعرية انسيابية تخللتها (الابوذيات) التي تشتهر بها المنطقة للتعبير عن الحزن والالام، لايضاح حالة الحزن المكبوت، والظلم الذي يخرج أهات بين فترة وأخرى، وربط بين ممارسة الجنس لزوجة خشين والمحفوظ ومعرفة ابنه خزعل لهذا الانتهاك الذي حرّك في داخله روح التمرد والثورة، وجاء الوعي بالظلم ذاتيا لشعوره بالعار الذي لا يستطيع من الوقوف امامه، ولم يأتئه طبقيا كما كان يرى في عدم التوزيع العادل للانتاج الزراعي، عندما كان يناقش اياه عن ظلم تقسيم المحاصيل بين الفلاحين والحوشية ونصيب المحفوظ، لم يكن بالوعي للقيام بالفعل الثوري أو التمرد حول هذا العامل الاساس في الظلم، وعندما بدأ يمارس الجنس مع زوجة المحفوظ الاخيرة وهي تشبه ما سرده سابقاً (القاص فهد الاسدي في احدى قصصه) الا أن العبد الذي دعته زوجة الاقطاعي في قصة الاسدي كان رضوخا لزوجة الاقطاعي وخنوعا لاوامر سيدته، وشيء لا يصدق له، بينما ممارسة خزعل للجنس مع زوجة المحفوظ، كان بدايات التمرد لأخذ الثأر

من فحلة الاقطاعي في اغتصاب أمه، حتى الوصول لرفع السلاح وقتل المحفوظ. تنمو الرواية مع نمو الحدث الذي يوصل ما شاهده خزعل من اغتصاب أمه وابعاده عن كوخهم من قبل حراس المحفوظ، وعلى الرغم من تأكيده على الحدث الذي سيصيغ نهاية الرواية الا أنه كتب في معاناة الفلاحين بما يفي للوصول إلى التمرد والثورة وان أحالها إلى خزعل وقبلها تمرد عشيرة الصهبان كعارض ضمن السياق ولكنها تعطي العلامة في بدايات غليان القدر على الاثافي.

### مسيرة الرواية...

أكثر الراوي الكتابة عن العادات والطقوس الاهوارية، وعلى الرغم من أهميتها لمعرفة حياة المغبونين، الا أنها بدت في مواضع أقرب للتقرير أو مقال توضيحي، مهملا الحديث عن شخصية خزعل على أهميته في الرواية، فلم يوصل

لنا عمره او مقدرته أو أي شيء ينبئنا عن شخصيته لانه سيأخذ المبادرة في إعلان التمرد والثورة سوى فكرة الثأر، ولكن على الرغم من ذلك تبقى الرواية ذات حبكة وقدرة سردية عالية ورائعة مع تمكن في تطويع اللغة وجرها إلى المبنى الحكائي بسهولة ويسر، وإذا أمعنا النظر في اصل الحكاية فانه اختصرها في عائلة خشين لإيضاح واقع الحياة في الاهوار والظلم الذي عاشه المجتمع الفلاحي في ظل الاقطاع والهيمنة الاجنبية، وهي المقطع الذي وضعه تحت المجهر لكشف واقع الحياة في ريف الاهوار. أن رواية (الوقوف على ساق

واحدة) رواية مكرسة لكشف مدى الظلم والقهر الذي عاشه الفلاحون تحت ظل الاقطاع، موظفا أدواته السردية كافة بصيغ شعرية للتعبير عن مجتمع البؤساء، متخذاً من المنولوج والرمز والشفرات والحوار المكثف وتيار الوعي والحلمية، الابعاد التي توصله لربط القضية الفردية بالقضية الاجتماعية لطبقة المسحوقين، وشكل القهر والذل الذي كان يعيشه الفلاح، وكأنها رد عنقول عن تلك الفترة (الزمن الجميل)، فكيف يكون جميلاً وقطاع واسع بين الثلث إلى نصف المجتمع، يعيش الظلم والقهر والحرمان من أبسط حقوق الانسان في مجتمعه؟

# غواية السرد وخطاب المضمّر في رواية (أوبرا 40)

قراءة د. صارم داخل أحمد



والأحداث تؤشر وبوضوح القصديّة الاستراتيجيّة للمؤلف الذي اجتهد في خلق عوالم من الدهشة والإبهار والرومانسية إزاء مفاجأة الأحداث وتنوعها لحظة ولادة الدولة العراقيّة في بداية القرن العشرين الذي شهد تلاشي إمبراطوريات ودول وظهور دويلات عدة على أنقاضها تسعى جاهدة لإثبات وجودها عبر بناء علاقات دولية ترسخ مكانتها بين الأمم، وفي لجة النسق السردية المحتدم بالشخوص والأحداث العفوية يضع المؤلف نظاماً دلاليّاً مضمرّاً يتوارى خلف رموز وضعت في مواقع منتخبة بقصديّة فكرية لتشكل في ما بعد خطاب الرواية المستقبلية متمثلاً بمنظومة العلاقات الاجتماعيّة

تشكل الرواية المعاصرة نظاماً سرديّاً وتعبيرياً متنامياً يعبر عن حالة الوعي الاجتماعي وتحولاته والعناصر الفاعلة في بنيته التي تؤثر في صيرورة اللحظة التاريخيّة الفارقة والتي ينتخبها المؤلف بقصديّة لتأسيس نقطة انطلاق الحدث الروائي وغالباً ما تكون لحظة قدرية تقع بالصدفة لتؤكد عبثية الحالة الوجودية التي تمر بها شخوص الرواية، لذا فالمنجز الروائي المعاصر هو أسلوب سردي خاص يعبر عن روح المجتمع وقيمه المتحوّلة من خلال توظيف اللغة والبنى المجاورة (الموروث الشعبي، العادات والتقاليد، الأساطير) وغيرها لانتاج صور متخيّلة بشاعرية عالية لتوثيق حركة المجتمع بكل تناقضاته وأزماته التي تؤثر في تعزيز قيمه وهويته التاريخيّة، لذا فقد اجتهدت الرواية المعاصرة في إنتاج خطاب فكري وجمالي يحفز الفعل التّأويلي للمتلقّي فمن خلال توظيف تقنيات السرد المتداخلة والمترابطة، تمنح المتلقّي القدرة على تفكيك المنجز الروائي للتوصل إلى جوهر وسر المنجز الروائي. تمكن المؤلف (أحمد عبد الله الصانع) من خلق متهاتات من الصور والأماكن

التي اشتملت على الحب والكراهية ثم الزواج والولادة والموت ثم القفز نحو المستقبل، تغوي رواية (أوبرا 40) القارئ لتتبع النسق السردي والحكايات المختلفة للأبطال وانتقالاتهم ما بين بغداد والموصل والبصرة ونجد وكذلك إسطنبول وباريس وميلانو، ومن خلال هذه الغواية كان هناك نسق تم إخفاؤه بإتقان بالغ له دلالات مضمرة ذات خصوصية لأن يتم الإفصاح عنها إلا عند اكتمال الحدث العام.

### غواية السرد:

استخدم المؤلف (أحمد بن عبد الله الصانع) أسلوباً سردياً ساحراً متأثراً بأسلوب السرديات المعاصرة والذي يعتمد الوثيقة والواقعة التاريخية لخلق بيئة حلمية سرمدية تنتقل فيها الشخصيات بين الأماكن والأزمنة وفقاً لحدث قدرتي يقع بالصدفة، ففي الفصل الأول من الرواية يقع الحدث (الرومانسي) في مدينة بغداد ليلاً في جو ماطر تتعطل فيه سيارة البطلة (عالية) ابنة رئيس الوزراء (عبد المحسن بيك العود) (السعدون) وهي طالبة جامعية تدرس في بيروت، كانت في زيارة لإحدى قريباتها في بغداد، فتعطلت سيارتها بطريق عودتها للبيت، يلاحظ (عبد الله) في شتاء عام 1930م وهو نائب وزير الداخلية ومحافظ بغداد آنذاك وأحد المخلصين لوأدها الذي شغل منصب رئيس وزراء العراق، ومات منتحراً سنة 1929م نتيجة لضغوط سياسية من الإنكليز والقصر الملكي، وبعد عودته

من واجب معين لاحظ توقف سيارة على رصيف الشارع لفترة طويلة، فترجل من سيارته الفارهة وسط المطر، وذهب باتجاه السيارة المتوقفة لمعرفة أسباب توقفها ولابداء المساعدة: (مررت من هنا قبل فترة فكننت بداخل سيارتك ثم عدت بعد فترة فوجدتك ما زلت بداخلها لا أقصد التطفل عليك ولكن هل أمورك طيبة ياسيديتي؟) ص16.

كان بإمكان (عبدالله) وهو محافظ بغداد أثناء متابعته الوضع الأمني مع احتمالية حدوث فيضان في المدينة آنذاك، كان بمقدوره أن يرسل إحدى الدوريات لمعرفة سر توقف السيارة لمساعدتها إن دعت الحاجة، لكنه تصرف كفارس نبيل، وهي إشارة لأصوله العربية البدوية والتي سوف تطبع كل سلوكه اللاحق وتودي به إلى سوء العاقبة. عالية: (ممتنة لك سيدي لا أود أن أعطلك عن شؤونك في هذا الجو) ص16.

لقد شعرت (عالية) من خلال أسلوبه وهندامه أنه شخص مهذب، ولكن وتحسباً لأي طارئ فقد كانت هراوة المرحوم وأدها الغليظة حاضرة في الكرسي الخلفي لتستخدمها إذا دعت الحاجة لذلك، فالعصى الغليظة كانت هي المرجعية الأخلاقية المتوارثة التي تتوارى خلف السلوك الحضاري وهي تحت اليد في وقت الحاجة. وبعد أن استعلم (عبدالله) عن عطل السيارة عاينها ثم عاد لسيارته فأحضر عدة التصليح، فلاحظ وجهه في المرأة الجانبية لسيارته فتذكر الحرب العالمية الأولى 1914م عندما تطوع



للدفاع عن مدينته البصرة، وأشار إلى قضية الجنود الهنود الذين كانوا طلائع الجيش البريطاني وقوته الضاربة التي كانت لا تحب المسلمين العثمانيين لمواقف تاريخية سحيقة (كان أغلب جنود الجيش البريطاني من معلمي الطائفة السيخية الهنود وتم اختيارهم حتى لا تأخذهم الرحمة بالقوات العثمانية المسلمة بسبب عدااء قديم في الهند بين الطائفتين السيخية والمسلمة منذ أيام حكام الهند المغول المسلمين).

يتنامى السرد تدريجياً وينتقل بين الأزمنة (عالية) تستذكر علاقاتها في جامعة بيروت وكيف أسست جمعية لمناصرة المرأة، وأما (عبدالله) فقد استحضر أحداثاً من الماضي عندما تطوع للقتال دفاعاً عن (البصرة) ضد البريطانيين قبل احتلالها في أكتوبر سنة 1914م، وبعد محاولات إصلاح السيارة يكتشف (عبدالله) أن إطار السيارة مثقوب، وهنا تظهر صفات الفروسية والنبيل لكل من (عبدالله) و(عالية) حيث أصر (عبدالله) على متابعة (عالية) وهي تقود سيارتها بعد أن أصلحها من مسافة قريبة ليساعدها في حال تعطلت سيارتها مرة أخرى حتى تأكد من وصولها لبيتها بسلام. أما (عالية) فقد أصرت هي الأخرى على ضرورة رد الجميل من خلال تعرف عائلتها عليه بواسطة أخيها (علي) رجل العائلة بعد الوالد الفقيد.

إن سلوك (عالية) لهو دلالة على ثقافتها الكبيرة بنفسها فهي فتاة تتمتع بأصول كريمة وتربية عالية ولا تجهل الأصول وتعرف الواجب جيداً، وحاولت جاهدة

أن ترد له المعروف بشكره مع أهلها لشهامته. وهنا ينتخب المؤلف لحظة قدرية حيث يتعرف أخوها (علي) على (عبدالله) كونه ذراع والده القوي الذي اعتمد عليه في مشروعه السياسي والإداري، فيطلب منه بإلحاح شديد الدخول للمنزل للسلام على (الخاتون) الوالدة بعد غياب ثلاثة أعوام، فهذا بيت (العود) الذي تعلم فيه كل شيء بعد والده أحمد باشا متصرف لواء البصرة، وكان رئيسه (العود) نافذته المطلقة على أسرار الحكم، فانطلق الحدث واشتبكت الأفعال وتدخل القدر كقوة ضاغطة لرسم طريق ومصير الشخصيات، وكما هو متوقع في هذا الفصل فقد أوقعنا المؤلف في دائرة سحره وأصبح من الضروري أن نتابع قصة العشق التي سوف تحدث بين (عالية) و(عبدالله)، وبعد أن تأكد (عبدالله) من حقيقة مشاعره تجاه (عالية) وكما هو متوقع فقد تقدم

## تمظهرات الخطاب المضمّر في رواية أوبرا 40:

تبقى الرواية أحد اشتقاقات الملحمة كون الرواية جنساً أدبياً يتمتع بالقدرة على نقل الواقع والتعرض لبؤرة الحدث الكبرى والتماهي خلف اتساقات سردية متداخلة لتمرير خطاب الرواية وقصديتها في الوجود بالتوازي مع ديناميكية الحكاية السردية، إذ كان هناك خطاب مضمّر يتوارى خلف صور وضعت بقصدية واضحة لبناء متن دلالي يحقق رؤياً المؤلف، فكل شيء مقصود ولا يوجد أي شيء بريء في متن هذه الرواية؛ حيث منح المؤلف لشخصياته جزءاً اجتماعياً وفكرياً يضرب عميقاً في قلب البنية الاجتماعية العراقية ما بعد الحرب العالمية الأولى. في بداية ظهور الممالك العربية بعد هزيمة العثمانيين وخروجهم من الشرق الأوسط، وولادة المملكة العراقية عام 1921م من خاصرة الإرث العثماني، ولم ينقطع الحبل السري بين المملكة العراقية والجمهورية التركية إذ كان معظم رجال الحكم وكبار موظفي البلاط من ضباط الجيش العثماني أو موظفي المؤسسة الإدارية العثمانية السابقين، فكان (عبد المحسن بيك العود) (السعدون) هو الأنموذج العصي على المغادرة والحاضر بمبادئه التي تتناقل عبر الأجيال على الرغم من موته، وصولاً إلى (عبد الله بيك العدل) الذي تشرب بالمبادئ الوطنية لأستاذه (عبدالمحسن بيك السعدون)، (عالية) ابنة (عبد المحسن بيك السعدون) هي شخصية مختلطة العروق فولدتها تركية

لخطبتها، فوضعت شرطها الأوحد والمستحيل وهو أن يطلب يدها من ملك العراق (فيصل الأول)، كون (الملك) هو رأس البيت الهاشمي وهو راعي عائلة (عبد المحسن العود)، فينصاع (عبدالله) لشرط (عالية) ويذهب لمقابلة الملك (فيصل) ويطلب منه يد (عالية)، وبعد إجراء بعض الالتزامات الشكلية يتم الزواج، ثم وفي أحد الأيام يتفجر غضب شيخ قبيلة العود، نتيجة رفض القضاء في دولة الملك فيصل قضية استحواذ جده على أرض شاسعة بصورة غير قانونية، فيزور الشيخ (ابن فالح) وهو أحد أبناء عمومة (عالية) زوجها (عبدالله بيك) في مكتبه بمتصرفية بغداد وبعد أن يدخل الشيخ (ابن فالح) ويشرب القهوة كأحد الضيوف، يطلب من وكيل وزير الداخلية (عبدالله بيك) التوسط في قضية استعادة أرض جده فيسمع رد (عبدالله) برفض القضاء والملك فيصل لحجة الاستحكام الأصلية، هنا أمر (ابن فالح) (عبدالله) بتطبيق (عالية) فلما رفض (عبدالله) تطبيقها أرداه قتيلاً غدرًا بطلاقات من مسدسه وجلس على الكرسي المقابل يدخن سيجارته (ص 418) فيستعرض المؤلف طبيعة الحكم الهش، وكيف كانت الدولة الفتية تدار بالترهيب والترغيب من قبل شيوخ العشائر إبان الانتداب البريطاني، فتهاجر عالية وعائلتها حينها لتركيا، ثم تعود بعد نصف قرن من الزمان لزيارة قبر زوجها الراحل سنة (1980م) ثم تعود لتركيا حيث تنتقل إلى الرفيق الأعلى وتدفن هناك سنة (1987م) ص 438 .

ومن خلال تداخل القوى الضاغطة على قرار الحكم تم كشف بنية النظام السياسي الفاسد (نوري سعيد وفريق حكمه)، والتي تعمل مع البريطانيين بعيداً عن الإرادة الملكية فيتم سجن (ابن فالج) وبعد سنة ونصف يتم إطلاق سراحه.

ثم ننقل للمستقبل لیتمظهر خطاب العولمة بكل وضوح في النسق السردی من خلال شبكة علاقات الملياردير التركي (إبراهيم بك)، وهو قوة اقتصادية كبيرة وفاعلة تضغط بنعومة وتحرك الحدث الروائي بكل هدوء (مجموعة شركات مساهمة تحمل قيماً إنسانية تعمل على مساعدة الفقراء ورعاية الأيتام والأرامل والمحتاجين والقيام بمشاريع خيرية) هي إشارة واضحة لظاهرة عصرنة الإسلام التي تعمل على فكرة أن الدين الإسلامي دين تعايش وسلام ومحبة وحياة. (هو من مناصري الجمهورية والدستور والعلمانية) ص182.

يجدد المؤلف قصة الحب القديمة والتي انتهت بفاجعة قتل (عبدالله بيك العدل) بقصة أخرى تقع بين الراوي (أحمد العدل) السعودي الجنسية (د. ياسمين) التركية ابنة (إبراهيم بك الفاتح) والتي تختم بحفل زواج اسطوري في موقع اثري (قلعة تاريخية مطلة على البحر، يمثل هذا الزواج إشارة واضحة لامتداد المشروع القديم بين (صحراء نجد وتركيا) ليتحقق محملاً بالشكل الطاغی العولمة، وربما تكون جسور محبة قد مدت لطي صفحة الماضي، لتحديث شبكة العلاقة بين القومية والدين والعلمانية، ونجد أحداث الجزء الثاني لأوبرا 40

ووالدها عربي كان ضابطاً في الجيش التركي برتبة نقيب، تتغنى بالأنموذج التركي في تطبيق الشريعة الإسلامية والديمقراطية (قل هذا الكلام لربعك في نادي الضباط في بغداد، لقد حفظ الدستور التركي حقوقنا وبارك الله بأبي الدستور والديمقراطية السيد مصطفى كمال) ص119.

(عبد الله بيك) زوج (عالية) قومي عربي تطوع في الجيش العثماني لمحاربة البريطانيين أثناء احتلال البصرة في أكتوبر عام 1914م وصار محافظ بغداد ووكيل وزير الداخلية أثناء دراسة (عالية) في الجامعة الأمريكية في بيروت تلك المدينة التي تعتبر مهد الفكر القومي العربي ما بعد الحرب العالمية الأولى، فأسست (عالية) مع مجموعة من الطالبات العراقيات المبتعثات حزباً بغرض زيادة الوعي النسوي وهذه المجموعة تتكون من أربع طالبات (مسلمة شيعية، مسلمة سنية، مسيحية ويهودية) ص14.

خلق المؤلف علاقة فكرية جدلية بين العرب القادمين من الصحراء (مملكة نجد) والحالمين بدولة عربية من المحيط إلى الخليج وبين إسلام الدولة العثمانية/ التركية (المدني) وهذا النموذج هو النسق الفكري المشكل للخطاب المضمر الذي يتوارى خلف المتن الحكائي وبنية السرد المتداخل، لقد أجهض (ابن فالج) الرجل العشائري المتمرد من جنوب العراق هذا المشروع باغتيال (عبدالله) الرجل الرمز الحالم بوطن عربي كبير يضم جميع أبنائه باختلاف أطيافهم القومية والدينية،

المستقبلية في الفصل المحذوف (عاشق الياسمين) ص 475 المرتبطة بالأبطال الجدد (ياسمين) و(أحمد) ومغامراتهما وأسرتهما.

(عبد الله) و (عالية) توضيح لقوة عشائر جنوب العراق في صناعة القرار السياسي العراقي وعرضها كقوة منفلة لا تخضع لقوانين الدولة المدنية بقدر خضوعها للحلف العشائري.

وختاماً: كل النساء التركيات الجميلات يتزوجن من رجال عرب! (علاقة المحبة القديمة بين العرب والأتراك دون النظر الى السياسة، والدليل على ذلك زيارات العرب المتكررة إلى تركيا) ص85.

عرض صورة مثالية للحياة الاجتماعية في تركيا من خلال العلاقة بين (عبد الله) و(عالية) (المجتمع التركي يعتبر أكثر انفتاحاً من المجتمع العربي المنغلق بعاداته وتقاليده القديمة) ص301.

(أنا لا افقه الكثير من عادات عشائر العراق مع حرص والدي الله يرحمه على شرحها لي وبصراحة هي لا تهمني كما تهمني غيري) ص301.

(هم حنابلة يابني لذلك تجدهم متشددين ونحن احناف نقبل غيرنا كما هم وليس مثلهم!) ص301.

الإشارة الواضحة باعتبار الفرس غزاة يمثلون خطراً على العرب، وكان العرب ناسا مغلوبين على امرهم وهم بحاجة للحماية التركية. وفي المقابل هناك إشارة بتضحية الأتراك من أجل العرب (داوود باشا (والي بغداد) المتوفى سنة 1851م ولن ينسى له التاريخ دفاعه الباسل للذود عن حمى بغداد من الغزوات الفارسية المتكررة التي حاولت جاهدة احتلال بغداد الرشيد، فهزمتها ثلاث مرات متتالية) ص318.

تحاشى المؤلف قسوة الحكم العثماني وما فعله ولاية الحكم العثماني (جمال السفاح)، تغاضى عن التسمية المتداوله للخلافة العثمانية (الرجل المريض) والذي كان فريسة سهلة للغربيين في تفكيك الإمبراطورية العثمانية وتقاسمها في ما بينهم.

رواية من 575 صفحة شكلت إضافة أسلوبية للرواية العربية حيث وضع المؤلف وبكل دقة الصور والمشاهد الشيقة التي تنقل القارئ للعيش في قلب الحدث والتعرف الى تجارب وأحداث أبطال رحل أغلبهم، وصلتنا ذكراهم العطرة عبر أدب نخبوي وموسيقى وأشعار وأغاني تردد عبر الزمن.

## الصدقة والأنثروبولوجيا

بقلم: بتينا بير

ترجمة: د. هناء خليف غني



العديد من المجتمعات لتوقعات ومعايير واضحة المعالم.

يبدو واضحاً، من منظور الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية المقارنة، التنوع الكبير في مفاهيم الصداقة وتصوراتها مع اشتراكها في بعض الجوانب الأساسية. وما زلنا، حتى هذا اليوم، نفتقر إلى البيانات المتعلقة بالمعاني المختلفة المقترنة بالأصدقاء والصدقة في المجتمعات المتنوعة وحتى في داخل المجتمع الواحد. هناك العديد من المفردات التي تدل على "الصديق" في أكثرية اللغات. في اللغة الإنكليزية مثلاً هناك: "pal, chum, buddy, bosom friend, old friend, etc." التي تُساعد على التمييز بين أنواع ومعاني العلاقات الاجتماعية المعروفة إجمالاً بـ "الصدقة". يُمكن

الصدقة، بأبسط تعاريفها، هي علاقة اجتماعية غير رسمية مبنية، خلافاً للقرابة، على الاختيار والطوعية: نحن نبحث عن الأصدقاء ويؤمننا أن نرتبط بعلاقة بهم. والصدقة. بناءً على ذلك، تُمثل الصداقة علاقة مكتسبة لا متوارثة أو أمراً مُسلماً به، وتتصف في العادة بأنها وجدانية مع ملاحظة التنوع الهائل في "محتواها العاطفي" (بين 1959). وتُعد التبادلية، المتعلقة بالفوائد المتوخاة من الصداقة أحد متطلباتها الضرورية.

تسود في بعض المجتمعات علاقات صداقات لا متماثلة يتعذر أحياناً تمييزها عن الرعاية والموالاة. والصدقة، بعد ذلك، مبنية على المشاركة؛ فزيادة على الجوانب ذات القيمة المادية، يشارك الأصدقاء بعضهم في قضاء الوقت، وفي مواجهة المشكلات ووضع الخطط والأمال والأفكار. بيد أن هذا العلاقة تحمل معها مخاطر كذلك: فإذا تشارك الأصدقاء الأسرار، ثم انهارت علاقتهم لسبب ما، فقد يؤدي بهم هذا الموقف إلى النميمة والعداوة. لاحظ الباحثون في هذا الجانب خلو علاقة الصداقة عموماً من توقعات دور ثابتة على الرغم من تبني

أيضاً ملاحظة المفاهيم المختلفة للصدقة في داخل المجتمع الواحد في ما يتصل بالجنس والعمر والمكانة الاجتماعية فضلاً عن الأماكن أو السياقات المختلفة التي تقع فيها هذه الصداقات مثل مناطق الجوار أو المدرسة أو مواقع العمل. كما أغفلت الدراسات البحثية دراسة جانب آخر مهم هو "تطور" الصداقة ونموها. فالصدقة لا تتغير عبر الزمان وحسب، بل تتأثر بمدّة بقائها، بمعنى إن الصداقة بعد عشرين عاماً، مثلاً، على شاكلة جميع العلاقات العاطفية الأخرى، ليست هي الصداقة التي كانت عليها في لحظات تشكلها الأولى.

الصدقة، بحسب الأنثروبولوجية (سارة اوهل) (1991)، هي إحدى أنواع "المؤسسات غير المتأسسة" التي تختلف عن العلاقات الناجمة عن قرابة الدم أو القرابة المصطنعة. وهذا التعريف يتجاهل حقيقة تحول الصداقة إلى علاقات أكثر تأسساً، مثل الأبوة المشتركة، في أية مرحلة قادمة من مراحل دورة الحياة.

### الاهتمام الأنثروبولوجي بـ "الصدقة":

في حديثها عن الصداقة، حددت (سارة اوهل) أحد أهم المعوقات التي تقف حائلاً دون إجراء دراسات بحثية منتظمة عن هذه العلاقة. إذ على الرغم من تمثيل هذه العلاقة ظاهرةً عامةً، ما تزال النظرة إليها تميل إلى وضعها في خانة العلاقات الخاصة. ومع أن الشيء ذاته يصدق على الزواج، يُلاحظ تمثيل

العلاقة الأخيرة أحد أهم الموضوعات في الأنثروبولوجيا منذ بواكير انطلاقتها. إذ عُرف الأنثروبولوجيون غالباً بتركيزهم على القرابة التي صرفت أنظارهم عن مفاهيم الصداقة المتداخلة أحياناً.

اللافت للانتباه هنا هو تركيز أكثرية الدراسات التجريبية التي أجراها الباحثون في الأنثروبولوجيا الثقافية - على قلة عددها - على المجتمعات الغربية. وإذا كان الأنثروبولوجيون قد درسوا الصداقة على الاطلاق، فأنهم اختاروا التركيز على العلاقات الرسمية المتميزة بحضور الالتزامات المتبادلة الواضحة والمحددة مثل القرابة الطقوسية والتبادل أو العلاقات المبنية على العمل.

ثمة جانب آخر لافت هو استئثار العلاقات بين الذكور على اهتمام الدراسات الأنثروبولوجية - التي أُجريت النسبة الأكبر منها في مناطق أوروبا الجنوبية - على حساب العلاقات بين الإناث (بوايفين/ 1974)، (غلمور/ 1975). لوقتٍ طويلٍ، شاع افتراض يُفيد أن النساء البالغات تحديداً يُشكلن علاقاتهن الاجتماعية الأكثر أهمية في داخل العائلة ومع الأقارب، في حين تُؤلف الأشكال المختلفة للصدقة بين الرجال جزءاً مهماً من الحياة العامة. وأدت هذه العوامل مجتمعةً دوراً في تحجيم الاهتمام البحثي بعلاقة الصداقة بين النساء باستثناء عددٍ من الدراسات الحديثة (كندي 1986، مثلاً).

يعني هذا، بسهولة ويسرٍ، تعذر

دراسة الاضمحلال المزعوم لمكانة  
القربة والأهمية المتنامية، ربما، لأهمية  
الصدقة.

### موضوعات ومناهج:

حظيت أبعاد الصداقة المختلفة بمكانة  
متميزة في حقل البحث الأنثروبولوجي.  
إذ فرق (ارك ر. وولف/ 1966) بين  
”العلاقات العاطفية والأدواتية“ التي  
تعوض نقصا من نوع ما عند طرفي  
العلاقة، إلا أن هذه التسميات - العاطفية  
والنفعية - مُضلة إلى حد ما لانطوائهما  
كليهما على جانبٍ نفعي واضح. حرص  
وولف في مقاربتَه على ربط الصداقة  
بالأشكال المجتمعية الأوسع: إذ تعاني  
المجتمعات نقائص وعيوبا مختلفة، تعمل  
أنواع مختلفة من الصداقة في الاستجابة  
لها. ويؤلف تصور وولف نقطة انطلاق  
مفيدة لإجراء المزيد من الدراسات التي  
وضعت الصداقة في إطار نظري أوسع.  
وهي، بهذا الجانب، تختلف عن فكرة  
(روبرت بين) عن صداقة أكثر عاطفية  
ومتجهة نحو الداخل وخاصة بالطبقة  
الوسطى.

نزعت مقارنة عالم الأنثروبولوجيا  
الاجتماعية (ديفيد ياكوبسن) للصدقة  
نحو التأكيد على الجانب الموقفي، فهو  
لم يهتم بالصدقة الدائمة وخصائصها،  
بل بـ”عملية التسمية ذاتها، أي بالمواقف  
التي يمنح فيها الشخص شخصا آخر لقب  
الصديق أو ينتزعه منه“ (1975). في  
الواقع، قد تتغير علاقتنا الصداقة والانتماء

العثور على معلومات كافية عن معاني  
الصدقة في المجتمعات غير الصناعية.  
والاستثناء لذلك هو دراسة (ثوماس كيفر)  
المهمة عن الصداقة المتأسسة والحرب  
في أوساط مجموعة (توسوغ) العرقية  
المُسلمة في منطقة جولو في الفلبين. إذ  
ينظر أفراد الجماعة إلى الغرباء وجميع  
الأشخاص الذين لا يرتبطون بهم بصلة  
قربة بوصفهم أعداء. في هذا السياق،  
تُعد الصداقة - التي يُقسّم الأفراد على  
الحفاظ عليها رسميًا بالقرآن الكريم - أحد  
العوامل المحورية في تشكيل التحالفات  
بين الجماعات القرابية وبين الزعماء  
المحليين في المستوى الإقليمي.

هؤلاء قد يكونون أعداء سابقين أو - في  
حالة الحنث بالقسم - أعداء في المستقبل.  
تستمد الصداقة الرسمية في مجتمع  
(توسوغ) الفلبيني معناها من العداوة  
- فالأصدقاء حلفاء في مواجهة الأعداء  
المشتركين، غير أن دراسة (كيفر) ركزت  
مرة أخرى على أنماط الصداقة الرسمية  
للغاية بين الذكور.

في الواقع، ما تزال أنماط الصداقة  
المتأسسة والرسمية، والشراكات المبنية  
على التبادل والتعاملات التجارية، مثل  
علاقة الصداقة المعروفة بـ (tau soa)  
في جزيرة تيكوبيا في جنوب غرب محيط  
الباسيفيك التي وصفها ريموند فيرث  
(1967)، تنصدر الاهتمام اليوم في  
دراسات الانثروبولوجيين الثقافيين. ومن  
المهم، في مستوى المقارنة بين - الثقافية  
(ويشمل ذلك المجتمعات الأكثر تقليدية)،

إلى مجموعة عرقية بناءً على الموقف. ويمكن لدراسات الصداقة، بالتنسيق مع دراسات الهويات الجماعية، أن تؤدي إلى نتائج مهمة في حقل دراسات العلاقات بين - الإثنية. إذ يمكن إقامة علاقات الصداقة عبر الحدود الإثنية إلى جانب الارتباط عبر المصاهرة الذي يُساعد في نشوء التحالفات بين الجماعات الإثنية المختلفة. هناك الكثير من الأمثلة على العلاقات بين-الإثنية في الحكايات الفولكلورية الخاصة بالصداقة، منها قصة الصديقين من جماعتَي (كيسغيز) و(ماساي) الإثنية في كينيا اللذين تبادلوا العسل والسهم ولكنهما خدعا بعضهما بهذا الفعل (دونز 1971). أوضح الآن دونز أن موضوع الدخول في علاقة صداقة والتخلي عنها في المجتمعات الأفريقية يؤلف أحد الموضوعات الشائعة في السرديات. تتحدث إحدى القصص، مثلاً، عن صديقين أحدهما معاقٌّ والآخر كفيفٌ قاتلا معاً في هجوم شنه الأعداء على قريتهم. فحمل الكفيفٌ صديقه المُعاق على ظهره بينما كان الأخير يرشده. وسواء أكان قتل علاقة الصداقة أو مهاجتها ومنافعها هو المحور الرئيس في هذه القصص، يؤلف فعل التبادل على الدوام محور العلاقات الموصوفة.

إلى مجموعة عرقية بناءً على الموقف. ويمكن لدراسات الصداقة، بالتنسيق مع دراسات الهويات الجماعية، أن تؤدي إلى نتائج مهمة في حقل دراسات العلاقات بين - الإثنية. إذ يمكن إقامة علاقات الصداقة عبر الحدود الإثنية إلى جانب الارتباط عبر المصاهرة الذي يُساعد في نشوء التحالفات بين الجماعات الإثنية المختلفة. هناك الكثير من الأمثلة على العلاقات بين-الإثنية في الحكايات الفولكلورية الخاصة بالصداقة، منها قصة الصديقين من جماعتَي (كيسغيز) و(ماساي) الإثنية في كينيا اللذين تبادلوا العسل والسهم ولكنهما خدعا بعضهما بهذا الفعل (دونز 1971). أوضح الآن دونز أن موضوع الدخول في علاقة صداقة والتخلي عنها في المجتمعات الأفريقية يؤلف أحد الموضوعات الشائعة في السرديات. تتحدث إحدى القصص، مثلاً، عن صديقين أحدهما معاقٌّ والآخر كفيفٌ قاتلا معاً في هجوم شنه الأعداء على قريتهم. فحمل الكفيفٌ صديقه المُعاق على ظهره بينما كان الأخير يرشده. وسواء أكان قتل علاقة الصداقة أو مهاجتها ومنافعها هو المحور الرئيس في هذه القصص، يؤلف فعل التبادل على الدوام محور العلاقات الموصوفة.

إن هذا التباين في الموضوعات في السرديات الأفريقية لهو خير دليل على الصراع بين الأعراف الاجتماعية والسلوكيات الفعلية. وهذا الاختلاف بين نظام القيمة والسلوك هو أحد جوانب

إلى مجموعة عرقية بناءً على الموقف. ويمكن لدراسات الصداقة، بالتنسيق مع دراسات الهويات الجماعية، أن تؤدي إلى نتائج مهمة في حقل دراسات العلاقات بين - الإثنية. إذ يمكن إقامة علاقات الصداقة عبر الحدود الإثنية إلى جانب الارتباط عبر المصاهرة الذي يُساعد في نشوء التحالفات بين الجماعات الإثنية المختلفة. هناك الكثير من الأمثلة على العلاقات بين-الإثنية في الحكايات الفولكلورية الخاصة بالصداقة، منها قصة الصديقين من جماعتَي (كيسغيز) و(ماساي) الإثنية في كينيا اللذين تبادلوا العسل والسهم ولكنهما خدعا بعضهما بهذا الفعل (دونز 1971). أوضح الآن دونز أن موضوع الدخول في علاقة صداقة والتخلي عنها في المجتمعات الأفريقية يؤلف أحد الموضوعات الشائعة في السرديات. تتحدث إحدى القصص، مثلاً، عن صديقين أحدهما معاقٌّ والآخر كفيفٌ قاتلا معاً في هجوم شنه الأعداء على قريتهم. فحمل الكفيفٌ صديقه المُعاق على ظهره بينما كان الأخير يرشده. وسواء أكان قتل علاقة الصداقة أو مهاجتها ومنافعها هو المحور الرئيس في هذه القصص، يؤلف فعل التبادل على الدوام محور العلاقات الموصوفة.

بدراسات تُحدد وتصف الشخص الذي يكتسب تسمية صديق والأنواع المختلفة لفئات الأصدقاء الشائعة في سياق ثقافي مُحدد. وكما تبين في أعلاه، لا يُمكن التسليم بالتطابق بين مفاهيم الأنثروبولوجيين عن الصداقة ومفاهيم الإخباريين. فمع تطور الخبرة وتراكم المعرفة بالمعاني والمفردات المقترنة بالصداقة، تتعزز أيضاً إمكانية تطبيق تحليل الشبكة وغيرها من المناهج الكمية في السياقات بين الإثنية. يُمكن الحصول على صورة أكثر وضوحاً وتمائزاً لمفردة "الصداقة" الغامضة عند النظر في التداخل بين المشاركة في الحياة اليومية وتقييم التجارب الشخصية والدراسة المنهجية المنتظمة للصداقة.

### العمل الميداني والصداقة:

ليست الصداقة موضوعاً مُهماً في الدراسات والأبحاث وحسب، إنها علاقة مهمة كذلك في العمل الميداني. ومما يؤسف له قلة توثيق أوجه الصداقة بين الأنثروبولوجيين وأفراد الجماعات الذين يعيشون بينها لمددٍ طويلةٍ في الغالب، على الرغم من أن هذه العلاقات هي على الأرجح تجارب شخصية مُهمة للغاية في أثناء العمل الميداني، وقد تُمثل في بعض الحالات شرطاً مُسبقاً لإنجاز العمل. والاستثناء لهذا الوضع هو الدراسات التي اجراها كل من جوديث (فريدمان هانسن/1976)، و(جو هندي/1992)، و(روبن أي. رينا/1959). جدير بالملاحظة أن علاقات الصداقة التي

تشكلت في مسار العمل الميداني لم تُعامل بالأمانة المطلوبة ولم تُدرس بانتظام ومنهجية في حقل الأنثروبولوجيا حتى الوقت الحاضر. يحظى الأنثروبولوجيون في العادة بالعديد من الأصدقاء في عملهم الميداني وعند نشرهم لدراساتهم يكون لزاماً عليهم شكر جميع "الأصدقاء" الذين ما كان للدراسة أن تُنجز من دونهم. غير أن طبيعة هذه الصداقات وأهميتها للعمل الميداني يغيبان عن الوصف والتعليق في أكثرية الحالات. ولذا، ما يزال السؤال عن الكيفية التي تعامل بها الأنثروبولوجيون مع مفاهيم الصداقة غير المألوفة في المجتمعات التي درسوها قائماً بلا إجابة. إن أكثرية الدراسات لا تُقدم شرحاً وافياً أو واضحاً للمقصود بـ "الصداقة"، ولم يتحدث سوى القليل من الكُتاب عن إمكانية تسمية العلاقة بالإخباريين بـ "الصداقة" من منظور العامل في الحقل أو من وجهة الإخباريين المنتمين. وبالمثل، لم تُدرس إلى الآن الأشكال بين-الثقافية الأخرى من الصداقة-التي تُمثل الصداقة بين الأنثروبولوجيين والإخباريين أحد جوانبها.

في أدبيات العمل الميداني، توصف الصداقة أحياناً من زاوية واحدةٍ محدودةٍ تجعل من الإخباريين أصدقاءً للعاملين في الميدان. وهذا يؤدي إلى معضلةٍ أخرى تتمخض عن مقارنة للصداقة نفعيةٍ للغاية وخادعة في العادة. يتطلب الحقل العلمي أن تستحصل المعلومات من الإخباريين أو أن "تحلبهم" مجازياً. والباحث يحقق

ذلك عبر إقامة علاقات صداقة معهم، وتبادل الثقة، وتقديم الهدايا والحديث معهم لساعات عن موضوعات تثير الشعور بالملل. لكن ماذا عن الإخباريين؟ هل هم أصدقاء أم موضوعات علمية في هذه الحالة؟ يُدرك الإخباريون في العادة إنهم يُستخدمون لتحقيق غايةٍ ما. ويرى بعض العاملين في الحقل أن الغايات العلمية تبرر الوسيلة، وإن استغلال الإخباريين لا يُمثل مشكلةً أخلاقيةً. لكنها كذلك للعديد من المعنيين بالعمل الميداني والبحثي (بواسفين/ 1985).

في السياق ذاته، حذر مؤلفون آخرون من صداقة الإخباريين متذرعين باحتمالات بروز ما يُعرف بـ "صراع الأدوار". إذ نصح جيمس ب. سبرادلي، مثلاً، زملاءه الأنثروبولوجيين بالامتناع عن إزعاج أصدقائهم بالحديث عن مهمتهم المُملة مُكرراً في الأثناء الأسئلة ذاتها عن بحثهم الدائم عن المعلومات والشروحات. لكنه لم يبدِ اعتراضاً، فيما عدا اعتراضه على هذا الجانب، من الدخول في علاقات صداقة في مسار العمل الميداني.

وقدمت (جوي هندلي/ 1992) وصفاً رائعاً للصداقة في العمل الميداني. إذ تحدثت بالتفصيل عن التغيرات التي شهدتها علاقتها التي دامت زهاء عقدين بصديقتها اليابانية. كما قارنت، هامشياً على الأقل، حجم التوافق بين تصورات الفرد عن الشخص الذي يتخذه صديقاً له وكذلك التوقعات الخاصة بالكيفية التي يرتبط بها الأصدقاء في ما بينهم في

بريطانيا واليابان. ذكرت (هندري) التي تنحدر من أصول ريفية أن التقاوت لا يتوافق مع الصداقة، إذ تُهيمن أوجه التشابه والمساواة على علاقتها بصديقتها اليابانية ساشيكو التي تنحدر من أصول ريفية كذلك. ومع ذلك، فقد مضت حياتهن في مسارات مختلفة فيما بعد بسبب الاختلاف بين ثقافتَي البلدين. فضلاً عن التغيرات الفردية التي شهدتها علاقة الصداقة الناجمة عن التحولات في أدوارهن الحياتية من طالبات إلى أمهات مسؤولات عن أطفال، كاد المشروع البحثي ذاته أن يتسبب في القضاء على هذه العلاقة. برزت الخلافات بين الصديقتين عندما بدأت (هندري) في دراسة أساليب التواصل في الـ (nakama) أو المجموعة المرجعية لصديقتها اليابانية. بالطبع، أشركت (هندري) صديقتها في مشروعها، ما أدى إلى مرور (ساشيكو) بمشكلة صراع دور مع أفراد المجموعة. ومع ذلك، فقد تمكنت (هندري) من الحصول على تبصرات بفضل هذا الصراع أفضل من أية صلات ربطتها بنساء يابانيات أخريات. وصفت (هندري) تجاربها الميدانية مُبيّنة أنها أحد جوانب تقنية الملاحظة بالمشاركة المهمة. ومع أنها نجحت علمياً، إلا أن نجاحها ذاته كاد يُكلفها خسارة صديقتها العزيزة. وبداهةً، تحسن الوضع كثيراً بين الصديقتين بعد مغادرة هندري لليابان ومرور وقتٍ كافٍ وتبادل الصديقتين لعددٍ من الرسائل التي حللتا فيها وتحدثتا عن تجربتهما المشتركة.

الرئيسة التي ناقشها الأنثروبولوجيون في دراساتهم عن علاقات الصداقة التي تشكلت وتوطدت في سياق العمل الميداني. كان صراع الأدوار، مثلاً، المحور الرئيس في دراسة جوديث (فريدمان هانسن/ 1976) عن الصداقة. وليس هذا مفاجئاً في ضوء ما تسببه علاقات الصداقة من صراعات فيما يتصل بالولاء والملكية وتوقعات الدور لا في المواقع التي يعمل فيها الباحثون الأنثروبولوجيون وحسب، بل في مواقع العمل جميعاً. وبداهةً، يؤدي الأنثروبولوجيون أدواراً مختلفة في داخل عائلاتهم وشركاتهم ومؤسساتهم الأكاديمية. وبذا، ليست أنماط الصداقة المتقاطعة والمتداخلة حكراً على مواقع العمل الميداني لوحدها. الفرق بينهما هو أن المشكلة في حالة العمل الميداني تكون أكثر وضوحاً ويدركها المعنيون بها بوعي أعمق. ويستلزم التكيف مع هذه الصراعات المزيد من الوقت والصبر وأيضاً فهماً أعمق لمفاهيم الثقافات الأخرى وقيمتها.

وبالمثل، يكشف المثال الخاص بجماعتي الهنود واللادينو في غواتيمالا أن الصداقة في العمل الميداني قد تؤدي إلى مشكلات سببها الجهل الأولي بالاختلافات الثقافية بين تصورات الجماعات البشرية عن هذه العلاقة. إذ يُلاحظ أن الهنود قد وضعوا تعريفاً واضحاً للتوقعات المقترنة بالصداقة مُتمثلةً في الحصرية والخصوصية. وابتغاء شرح هذا الجانب، ذكر الأنثروبولوجي روبن أي رينا أن الإخباريين الذين تعامل معهم وكانوا بمنزلة أصدقائه قرروا قطع علاقتهم به حالما تواصل مع إخباريين آخرين. وحدث الأمر ذاته مع زوجته الأنثروبولوجية. وهذا يعني أنهما لم يفياه بمعايير الصداقة كما يتصورها الهنود الغواتيماليون. ولم تُحل المشكلة إلا بعد أن قدم الأنثروبولوجيون شروحات تفصيلية تُبين موجبات حديثهم إلى أكثر من شخص (رينا/ 1959). ويُمثل صراع الأدوار أحد الموضوعات

المصدر: موسوعة العلوم الاجتماعية والسلوكية، 2011

## المستشرق ماسينيون ومصادره البغدادية في كتابة سفر الحلاج

كامل داود



عن قصر الاخضر قرب كربلاء، تخفى بزي ضابط تركي وعاش متقشفاً، شكّ فيه الحاكم التركي واتهمه بالضلوع في مؤامرة ماسونية للإطاحة بالسلطان عبد الحميد، تعرض للتعذيب قبل ان يحكم بالإعدام، ولكن المركب الذي كان ينقله في طريقه لتلقي حكمه، مرّ من قرب طاق كسرى في المدائن حيث قبر سلمان الفارسي، كان ماسينيون مقيداً بالأغلال ومرمياً في قمرة المركب، وقفت حمامة على نافذة القمرة واخذت تهدل بصوت عذب، فسرها ماسينيون على انها اشارة "الهيبة" للإفراج عنه، في هذا الوقت كان (محمود شكري الالوسي)<sup>(7)</sup> و(علي الالوسي)<sup>(8)</sup> يتشفعان له عند الحاكم التركي الذي قبل شفاعتها وكفالتها، بعدها اطلق سراحه،

ليس من الغريب ان يقترن اسم المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون<sup>(1)</sup> بالصوفية والمتصوفين، وتحديدًا باسم الحسين بن منصور الحلاج، فهو الذي عرف العالم به، وكان في ذلك مثل الشاعر البريطاني ادوارد فترزجيرالد<sup>(2)</sup> الذي لفت الانظار الى عمر الخيام، وحمل العالم كله على التعرف الى الخيام والاستمتاع برباعياته<sup>(3)</sup>.

ان هذه المقارنة تكاد ان لا تجانب الحقيقة على معظم المستويات، ويكفي النظر في حجم المجهود العلمي الذي بُذل في انجاز هذه المهمة المعرفية دليلاً، فقد كتب الأب انستانس الكرمللي<sup>(4)</sup> أن ماسينيون خلال ثماني سنوات، قد راجع الفا وسبعمئة وستة وثلاثين مصنفاً، كتبت بأكثر من ثماني لغات، تتصل كلها بالحلاج واخباره وأفكاره<sup>(5)</sup> ظهرت في كتابه (آلام الحلاج) بأكثر من ثلاثة الاف صفحة<sup>(6)</sup>. وما كان لهذا السفر الكبير (آلام الحلاج) ان يولد، من دون مؤازرة متقفي بغداد في بداية القرن العشرين.

وبدءًا لا بد من الإشارة الى إن علاقة ماسينيون ببغداد تعود الى شتاء عام 1907، وصلها وهو في الخامسة والعشرين من عمره مكلفاً بمهمة أثرية

فيها لم يستمر الا شتاءً واحداً، هو شتاء 1907 / 1908<sup>(12)</sup>.

لم ينقطع الاتصال بين ماسينيون والكرملي، بعد ان غادرا العراق سوية وافترقا في بيروت، وظل الكرملي يحتل مكانة سامية في وجدان ماسينيون، ويكن له اعظم التقدير، ويظهر ذلك في استهلال اكثر من مائتين وثمانين رسالة مكتوبة بخط ماسينيون وباللغة الفرنسية، ارسلها الى الكرملي على مدى الثلث الاول من القرن العشرين، تبين علاقة النخب العراقية المثقفة بما يدور في الثقافة الغربية ومواجهة تشكيلها وتصويب ما يتعلق بالفكر الاسلامي، ابان الحكم العثماني. هذه الرسائل محفوظة في دار المخطوطات ببغداد، تبنى ترجمتها الكاتب العراقي علي بدر واصدرها بكتاب تحت عنوان (ماسينيون في بغداد، من الاهتداء الصوفي الى الهداية الكولونيالية) ضم الكتاب مدخلاً تعريفياً ومقدمة توضيحية لمنهجه في الدراسة، وتنظير سايكولوجي حول الاهتداء الصوفي عبر التأثر بالحلاج، ثم الهداية الكولونيالية، قبل ان يأتي موضوع الكتاب الرئيسي، وهو الرسائل التي أرسلها ماسينيون إلى الكرملي، وكانت اولها مؤرخة في 14 تموز 1908، أي بعد اشهر من تركه بغداد. ويقول بدر عنها: "ان اهمية تلك الرسائل تكمن في كشفها بشكل واضح وصريح عن العلاقات الثقافية والفكرية والمعرفية بين المثقفين العرب والمستشرقين في الثلث الاول من القرن العشرين"<sup>(13)</sup>.

تبين تلك الرسائل ما يحظى به الكرملي من مكانة سامية في وجدان ماسينيون، اذ

قضى فترة في ضيافتهما حتى براء من آثار التعذيب، وغادر العراق برفقة الاب انستاس ماري الكرملي بعد ان تختم بخاتم اهداه له الالوسيان، كتب عليه (عبده محمد ماسينيون)<sup>(9)</sup>.

و لم يتكشّف لنا كيف تعرف ماسينيون على الالوسيين المذكورين، حتى وجدنا ذلك عند الباحث العراقي عبد الحميد العلوجي<sup>(10)</sup> في بحثه الذي يحمل عنوان (ماسينيون وعامية بغداد) اذ كتب ان ماسينيون كان قد قدم بغداد عام 1907، بعد ان أرسل عميد اسرته رسالة الى الاب انستاس الكرملي، يطلب منه رعاية الشاب الباحث ماسينيون، الذي عكف على دراسة اللغة العربية في فرنسا 1906 واستهوته العقائد الشرقية، واطلع على مجموعة شعرية للشاعر الفارسي فريد الدين العطار يذكر فيها شيئاً عن الحلاج، ان العلوجي يصوّب ما كتبه عبد الرحمن بدوي الذي نشر في بحث له عام 1962 حول حياة ماسينيون، يقول فيه: ان ماسينيون قد نزل ضيفاً على اسرة الالوسي، وذلك ما يراه العلوجي مجانبا للصواب، فان اهل ماسينيون قد أخبروا الأب الكرملي بعزم ابنهم على القدوم الى بغداد، وأوصوه به خيراً قبل ان يردّها، وكان الكرملي وفيها لتعهده، وهنا ايضاً لم يخبرنا العلوجي بجذور العلاقة بين اسرة ماسينيون الفرنسية وبين الكرملي!! فالعلوجي يقفز الى القول بأن الكرملي تبنى توثيق عرى العلاقة بين محمود شكري الالوسي وماسينيون، وان ماسينيون لم يسكن مع احد منهما، وانما استأجر لنفسه داراً في الحيدر خانة في رصافة بغداد<sup>(11)</sup>. وبقاؤه



### لويس ماسينيون

رد على مقالة للكرملي، وكان الكرملي قد نشر مقالة في مجلته (لغة العرب) العدد السادس من 1912 ك1، انتقد فيها ما كتبه ماسينيون عن مقولة الحلاج (انا الحق) وقدم عددا من التصويبات لما طرح في البحث، وفي الرسالة نفسها، ردّ على طلب كاظم الدجيلي بالقول (انه يعتمد علي) ويظنني مليارديرا قادرا على كل شيء<sup>(15)</sup>.  
وبقدر تعلق الأمر بالحلاج، نجد في الرسالة المؤرخة في 18 تموز 1908 المرسله الى الكرملي يقول فيها ماسينيون انه قد كتب "هذا الصباح الى الأوسيين في بغداد، فهما اللذان جعلاني افكر في الحلاج"،<sup>(16)</sup>.

انه اعتاد ان يستهل رسائله بعبارات مثقلة بالوفاء والتبجيل، وشاعت عنده في ذلك العبارات: (ابتي المبجل وصديقي) (ابتي العزيز وصديقي) (ابتي العزيز جدا وصديقي) وهكذا في كل رسائله، ثم يبدأ بذكر ما يريد. وكانت الرسائل تتناول شتى المواضيع الثقافية، ومنها ما يطلب فيها من الكرملي شراء كتب او ارسالها اليه لاتمام بحثه عن الحلاج ومناقشة نتائجها، كما في الرسالة المؤرخة في 15 / 8 / 1908 التي يبين فيها ما توصل اليه بشأن الحلاج (لا تنسى كتابي عن الحلاج، سوف ارسل لك نسخة من ادلتي على مسيحيته)<sup>(14)</sup>.  
وفي الرسالة المؤرخة 25 / 2 / 1913

زياراته بغداد، وغالبا ما تدور النقاشات حول المواضيع المتعلقة باهتماماته الصوفية، فقد عقدت في صباح الجمعة 27 / 4 / 1945 مناظرة بينه وبين عباس العزاوي، مكانها دار الكرملين، بوجود انستاس الكرملني وعدد من مثقفي بغداد، وفيها اختلف المتناظران حول الحلاج، اذ يراه ماسينيون موحدا ومن اهل العشق الالهي، فيما يراه عباس العزاوي مؤمنا بفكرة وحدة الوجود، ودليله في ذلك ان الحلاج يقول في الطواسين "ان جودي لك تقديس..."، ويبدو ان ماسينيون قد تأثر بهذه المناظرة، فهو يعرج على ذكرها بمحاضرتة في اليوم التالي التي قدمها على (قاعة الشعب) والتي كانت تسمى قاعة الملك فيصل، مشيرا الى ان المناقشات والجدل مستمران في بغداد بهذا الصدد منوها الى مناظرتة مع عباس العزاوي، وقد اختلفا ايضا، على تاريخ قصر الاخضر، الذي عده ماسينيون بناء ساسانيا، وكان العزاوي يؤكد اسلاميته من خلال الطراز المعماري للمحراب<sup>(24)</sup>.

تفاعل المثقفون البغداديون مع افكار ماسينيون، وأثرت بحوثه وحواراته المباشرة على الحياة الثقافية اليومية، وظهرت في الكثير من نتاجاتهم الادبية والفكرية، وأخذت شخصية الحلاج التي أبرزها ماسينيون تشرب في وجدان الشعراء، فقد كتب الشاعر جميل صدقي الزهاوي ملحمة الشعرية (ثورة اهل الجحيم) 1929، واسماها (الحلاج يسأل الله)، والتي يقول فيها:

ورأيتُ الحلاجَ يرفعُ منه الطرف نحو السماء وهو حَسيرٌ

وليس هذا فحسب، وانما كان ماسينيون يرسلهما مباشرة وهناك عدد من رسائل ماسينيون الى محمود شكري الالوسي والقاضي علي الالوسي موجودة في دار المخطوطات في بغداد<sup>(17)</sup>.

ويعضد ذلك قول الشيباني ان ماسينيون قد كتب من المغرب في 25 / 7 / 1923 رسالة الى محمود شكري الالوسي، يطلب فيها معلومات عن الحلاج<sup>(18)</sup>.

ويذكر محمد بهجت الاثري<sup>(19)</sup> قائلا: كنت يوما في مجلس من مجالس الاستاذ "الالوسي"، جرى فيه ذكر الحلاج، فذكرت قول الامير صديق خان فقال: "هل لك ان تأتيني به لأبعث به الى لويز ماسينيون عاشق الحلاج!"<sup>(20)</sup>.

وان ماسينيون يقر بفضل الألوسيين على ما تفضلا به عليه من الافادات الجليلة والنصائح الكبرى والوثائق التي كانا يحولانه عليها؛ للوقوف على ما جاء في كتب القوم عن الحلاج، ذلك الصوفي البغدادي الشهير، على حد وصفه<sup>(21)</sup>.

وقد نشر فاضل عباس العزاوي، نجل المؤرخ العراقي عباس العزاوي<sup>(22)</sup>، في مجلة المورد التي تصدرها وزارة الثقافة والاعلام العراقية، رسالة ارسلها ماسينيون الى ابيه، وقد استعان بمن يجيد الفرنسية لترجمتها، يطلب فيها ماسينيون من العزاوي بحثا، ويعده بالإشارة اليه اذا نشره في كتابه، وقد انهى رسالته بالتحية الأخوية (للزميل المحترم والاستاذ العزيز)، وكباقي رسائله ختمها بختمه المعروف (عبد لويس ماسينيون)<sup>(23)</sup>.

دأب ماسينيون على مشاركة النخب الثقافية البغدادية نشاطاتها وفعاليتها عند

قائلاً أنت الله وحدك فَيَوْمٌ وَأَمَّا الْأَكْوَانُ  
فَهِيَ تَبُورُ  
إِنَّكَ الْوَاحِدُ الَّذِي أَنَا مِنْهُ \* فِي حَيَاتِي  
شِرَارَةٌ تَسْتَطِيرُ  
وَبِهِ لِي بَعْدَ الظُّهُورِ خَفَاءٌ \* وَلَهُ بِي بَعْدَ  
الْخَفَاءِ ظُهُورُ  
لِمَ شِئْتَ الْعَذَابَ لِي وَلِمَاذَا لَمْ تُجَرِّبْ  
وَأَنْتَ مِنْهُ الْمُجِيرُ؟  
كَانَ فِي الدُّنْيَا الْقَتْلُ مِنْهُمْ نَصِيبِي  
وَنَصِيبِي الْيَوْمَ الْعَذَابُ الْعَسِيرُ  
قُلْتُ أَنَّ الْمَكْتُوبَ لَا بَدَّ مِنْهُ \* قَدَرًا إِذْ  
يُقَدَّرُ الْمَقْدُورُ (25)

في هذه القصيدة يتضح التوافق الفكري بين طروحات ماسينيون ومباني الزهاوي الفكرية، فلم تخرج معاني القصيدة عن الإطار الذي يحدد تفاصيل اللوحة الصوفية للحلاج وانثيالاته في تقبل ما آل إليه مصيره المحزن والاليم.

ان النخب الثقافية البغدادية قد تعاملت بنحو ايجابي في التعاطي مع موضوع الاستشراق، بلا عقد دينية او عرقية، وانسجمت (تتأقفا) مع واحد من اهم المستشرقين، واستطاعت ان تشكل تمثلاته الاستشراقية بما يفيد ويدفع المعرفة بشكل مجرد وسليم، وقد ادركت تلك النخب، ان الاستشراق لا يقوم على الفكرة الكولنيالية فقط، انما هناك مجال رحب للمعرفة الخالصة المستقلة، بعيدا عن القوى التي تريد عزل الثقافات عن بعضها، وكان جليا لديهم، ان ماسينيون كان يحاول بجهده التقريب بين الديانات الابراهيمية من خلال شخصية النبي ابراهيم وقديسه فيها، أو بين الديانتين المسيحية والاسلامية

من خلال المشتركات الانسانية بين صلب الحلاج والسيد المسيح، او حتى بين شخصيتي مريم وفاطمة المقدستين.

كانت القناعة مترسخة في النزعة الانسانية والعلمية التي تحدو بجهود هذا المستشرق، واطمئنان على ان عمله السياسي والعسكري، لم يبعده عن هدفه البحثي، حتى عندما اصبح مستشارا سياسيا للدبلوماسي الفرنسي جورج بيكو احد مهندسي اتفاقية سايكس بيكو، لأنه ذاب في قضية اكبر من الافق السياسي، بل ان عمله هذا قد وفر له فرصة التنقل في سعة جغرافية مترامية الاطراف لحيثيات دراسة الحلاج، وجمع مصادرها، لا يمكن ان يحاط بها دون هكذا وظيفة، ومنها جمع العديد من المخطوطات التي سهلت له المطابقة بينها، على ترصين مصادر دراسته، بمنهج تحليلي تاريخي، أثار إعجاب المثقفين العراقيين، وأدركوا اهميته وفاعليته في التوصل للوقوف على الحقيقة او الاقتراب من البراهين التي يمكن ان تكشف ملامحها.

ان النخبة النهضوية العراقية، ومنذ بواكير القرن العشرين، قد ميزت بين الغث والسمين من جهود المستشرقين، ولم يضعوا تلك الجهود في سلة واحدة، وابدوا حصافة وفطنة قل نظيرها في حقبة نهاية الحكم العثماني، وما سبقه من تحول تاريخي للرأسمالية، وتمدد اجنحتها الاستعمارية، ثم الانطلاق في البحث عن الموارد والاسواق، مستغلة جهود المستشرقين العلمية في الحملات العسكرية المنظمة لاحتلال البلدان والاستحواذ على خيراتها.

## الهوامش

- 1- مستشرق فرنسي ولد لأب فنان 1883 في ضاحية قريبة من باريس، اكمل دراسته الثانوية فيها، سافر برحلة الى الجزائر 1901 ، عاد بعدها لإكمال دراسته الجامعية، سافر الى المغرب (مراكش)، حصل على دبلوم الدراسات العليا في السوربون بقسم العلوم الدينية ثم تابع دراسة الاسلام من الناحية الاجتماعية في الكوليج دي فرانس، درس اللغة العربية وحصل على دبلوم في العامية والفصحى 1906 وبدأ حياته الاستشرافية بمشاركته في مؤتمر المستشرقين في الجزائر حيث تعرف على المستشرق جولدنزيهر، ذهب في نهاية العام الى مصر طالبا في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية وبدأ ابحاثه الاسلامية، في عام 1907 قرأ أشعاراً لفريد الدين العطار تدور حول صلب الحلاج واعجب به اعجاباً فاده الى تكريس دراساته للحلاج، كاثوليكي المذهب وعميق الايمان الديني بكل الاديان، اشتغل في فهم اسرار التصوف، احيانا يضيف روحانية عميقة على ما لم يكن في ذهن صاحبه، عرف بدراسته عن التصوف خاصة الحلاج، عني بالآثار والفلسفة الاسلامية (الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص529 - 535).
- 2- شاعر وكاتب بريطاني ( 1809-1883) درس الادب الفارسي والاسباني ، اهم اعماله ترجمته لرباعيات الخيام.
- 3- كامل مصطفى الشبيبي، شرح ديوان الحلاج، مشورات دار الجمل، 2007، ص106.
- 4- انستاس ماري الكرملي ( 1866 – 1947) رجل دين مسيحي وعالم لغوي، ولد في بغداد وعاش فيها، من اب لبناني وام عراقية، صاحب مجلة لغة العرب، له مجلس ادبي يعقد كل جمعة في بغداد. له مؤلفات في اللغة والتاريخ.
- 5- الشبيبي، نفس المصدر ص 10.
- 6- آلام الحلاج شهيد التصوف الاسلامي في اربعة اجزاء عن دار نينوى في دمشق سنة 2019، ترجمة الحسين الحلاج.
- 7- محمود شكري الالوسي (1856-1924) اديب ومؤرخ عراقي سلفي المعتقد ويميل للتصوف، له مؤلفات تصل الى الخمسين، منها كتابه بلوغ الاراب في معرفة احوال العرب.
- 8- علي علاء الدين بن نعمان الالوسي (1861-1922) فقيه ومحدث، زاول التدريس في المدرسة المرجانية وترأس قضاء بغداد، له مؤلفات في الادب والنحو.
- 9- علي بدر، ماسينيون في بغداد، من الاهتداء الصوفي الى الهداية الكولونيالية، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2010، ينظر ص43.
- 10- عبد الحميد العلوجي ( 1924-1999) باحث موسوعي عراقي .
- 11- عبد الحميد العلوجي، من تراثنا الشعبي، بغداد، 1966 ص27- ص28.
- 12- عبد الحميد العلوجي، المصدر السابق، ص33.
- 13- علي بدر، المصدر السابق، ص17.
- 14- علي بدر ، ص 171.
- 15- علي بدر ، ص 291.
- 16- علي بدر، ص160.
- 17- علي بدر ص 76.
- 18- جريدة المدى، بغداد، ملحق 6/18/2018.
- 19- محمد بهجت الاثري (1904-1996) محقق ولغوي و مؤرخ عراقي، اطلق علي الالوسي عليه هذا اللقب، سلفي المعتقد ، عمل رئيسا للمجمع العلمي العراقي، من مؤلفاته ” اعلام العراق“.
- 20- محمد بهجت الاثري، اعلام العراق ، المطبعة السلفية ، 1945: ص 200 الهامش
- 21- محمد بهجت الاثري، المصدر السابق، ص200.
- 22- عباس العزاوي (1881-1971) مؤرخ و محامي عراقي يجيد عدة لغات، أشهر مؤلفاته تاريخ العراق بين احتلالين .
- 23- فاضل عباس العزاوي، مخابرات ومراجعات علمية في التصوف الاسلامي بين المستشرقين ماسينيون وريتير، والمؤرخ العراقي عباس العزاوي، مجلة المورد، العدد رقم 1، شباط 1978 ص54 (ان هذا الختم اهداه القاضي علي علاء الدين الالوسي الى ماسينيون بعد ان اطلق سراحه من سجن العثمانيين 1908 وظل معه حتى مماته، وقد حفزه صانع الاختام (حكاك) اسمه السيد محمد تقي بهيمني في الكاظمية).
- 24- فاضل عباس العزاوي، ص57.
- 25- عبد الرزاق الهلالي، ديوان الزهاوي، مجلد، دار العودة بيروت، ص734.

# أبجد من نرجس ودمع

عادل مردان



تحرسك الحدوس المحجوبة

ملهمه اتونبشتم

الدامعة بلادنا العنقاء

تلاعب أجنحتها العاصفة

xxxxxx

مازالين مكنونة في الرمز

أسفري مع الأوقات

ورشي من عطرك

علي ما تبقي

xxxxxx

تتألاً علي ترائبك

قلائد الطعن

فإذا منحتك الآجال

بعض أوسمة

فلأنك تنهضين دائماً

من

القتل

مجنونة بالفجر عذراء

xxxxxx

إنها الأرض سماء غفوتنا

ودار النرجس

أرض الدموع

فقبل أن يكون الشعر

جاءت شراراتها من النبع

xxxxxx

مزروعا مع الأعشاب

كل عشية هي أختي

أَيُّهَا الحنين يا ضوع الكائنِ	اذ يعجننا حنين الحقلِ
لا تستجيب سماء العين	تجر فنا السيول علي القمح
إِنَّمَا تمرُّ علي الخرائب	xxxxxx
يذلُّها فتعبده	جُبلت أصولك
ويذلُّها النحت الآشوري	في هدير الطوفان
xxxxxx	من ألم وضوءٍ
دعينا لهذا الوثب	أديم مسلاتك
يأخذ حيفنا من الدهر	أبدًا
في غرف الضيف	تدمنين الحتوف
تنتهي لحظاتنا بلا أتراح	وتشرب نخبك المنايا
نقفز مجذوبين	xxxxxx
ونقصُّ علي جداتنا	من قبس الزقورات
أساطير الألفِ الثالث	تخطف لك النسوة لذة الموت
xxxxxx	ويفدن الي كهف ارتعاشك
بكم رؤيا ترسمُ البلاد	فيرتعش الرجالُ .. في
بلادٌ عظيمة الحزنِ	طفولة الماء
أسكرها تعاقبُ الرّوع	xxxxxx

## تشدو المدينة بعطرك

فريدون سامان

ترجمها عن الكردية: ماجد سوره مييري



تغدو الأزقة سحبا مطيرة  
تنثر أمطار عشقك المجنون  
و تنتظر ك الشوارع عبثا  
وتفتح البساتين اذرعها لاحتضانك  
وتفتح الأزهار،

حتي شعاع الشمس متلهفه لخطوات قدميك

وهي تثير التراب والغبار..

ما بين الحلم ونشوة شراب لقائك

انا ما زلت تواقا لنوم عميق

أحلم فيه الوصول بنور وجهك..

عندما رحلت من دون وداع

وتوارت البسمات

كأشعة شمس المساء

اطلقت عنان سكري،

كانت لعنة عشقك

اعمق من قاع البحر

واكثر طيشا من قمة الجبل

انا الطليق

ما زلت ممتزجا بعشقتك..

عندما يعود الليل

ليل الغربة الديجوري

ليل وحدتي وغربتى المدمرة.

في تلك الليالي التي تشبه

ليالي الخريف تتساقط احلامي.

كان كابوس عدم لقائك

كان آلام فراقى عنك

الفراق عن الوجود..

من وجود قصة

عاشق مسكين

وتمضى الليالي

وتصبح أحضان افتراق عشقك

حدودا بيننا كأنها حقول الغام،

أنا الذى افكر بك دائما

الحنظل المر لذكرياتى

تعذب الروح الجريحه لأشعارى،

ابواب الانتظار

تنغلق بوجه استقبالى،

مرة اخري امام المرآة

نقلب صفحات الزمن بخجل

تأتين وتقولين لى ايها العاشق المجنون

حكايتنا اللامتناهيّة لا فائدة منها..

فلقد جاء خريف العمر وذكرياتنا

اوراق متساقطة لشجرة متروكة

تتساقط فى فلوات جفاف النسيان..

انتظر لحين مجيء عاصفه

تلعن انتظارنا للمستقبل..

ولكن سأموت ابكر منك

لأنى مدمن عشقك..

## أنوار البابلية

فكرة: سهر العامري (رحمه الله)

تأليف: سحر الشامي

(فاز هذا النص بالمركز الثالث في مهرجان شبكة أباييل الدولي عام ٢٠٢١ ولم ينشر من قبل)



شخص المسرحية:

- الملك نبوخذ نصر

- المستشار

- كبير الكهان

- كبيرة الكاهنات

- كاهن (1)

- كاهن (2)

- كاهن (3)

- جوقة لأداء الترانيم والرقصات

- رجال يمثلون حاشية الملك

- نساء ورجال يمثلون سكان مدينة بابل

### المشهد الأول:

(المكان/ عرش الملك. الزمان/ نهار. يسمع صوت قيثارة. تبدأ الفرقة بالرقص في حركات منتظمة الشكل على إيقاع القيثارة. حاشية الملك عن يمينه وعن شماله يطربون للعزف والرقص، الملك يبدو مشغول البال، يقترب منه المستشار وينظر إليه بحيرة ويهز رأسه أسفا)  
إظلام

### المشهد الثاني:

(المكان/ غرفة الملك. الزمان/ نهار. الملك نبوخذ نصر يقطع الغرفة ذهاباً وإياباً)

- نبوخذ نصر: (يحدث نفسه) كيف؟ كيف أعجز عن تفسير ما يحدث.. (بصوت عال) أنا نبوخذ نصر قائد الجيوش الجرارة، خضت معارك ضارية، واستوليت

على بلدان بعيدة، قاتلت في حران والجزيرة، مثلما قاتلت في فلسطين ومصر، ووقفت على شواطئ قورينا، واغتسلت بمياه البحر المتوسط، واستنشقت نسيم البحار.. (يتوقف) أنا نبوخذ نصر، ملك بابل العظيم، الحاكم العزيز المفضل لدى الإله مردوخ محبوب الإله نابو صاحب الفطنة والذكاء، أنا الابن البكر لنبوخذ نصر الذي جعل مردوخ رأسه شامخاً وأعطاه حكم الناس القاطنين في الأقاليم القصية (يركع نحو تمثال مردوخ) سيدي مردوخ! يا عظيم الآلهة، يا جبار! تنفيذاً لأمرمك الإلهي بنيت مدينة الآلهة، وشيدت الجدران، جددت المخدع، وأكملت المعبد. وبناء على أمرمك السامي الذي لا يُخالف، وصلّت بنفسي الأوتاد الخشبية (يهز يديه) بيدي هاتين. كل ذلك من أجل أن تبقى قائماً خالداً على مر العصور. (صمت ثم يكمل) هلا تخرجني من حيرتي وتدلني علي بغيتي.. لا أريد لقاء عابراً ينتهي بسؤالي عن سبب حزنها، بل أريدها بقربي دائماً.. (حائراً) سأجن إن لم أحظ بها. (يدخل أحد الحرس، يقف الملك نبوخذ نصر محاولاً إخفاء الوضع الذي كان عليه قبل دخول الحارس)

- الحارس: (ينحني) مولاي المعظم المستشار يستأذنك في الدخول.  
- نبوخذ نصر: (بإشارة من يده) فليدخل على عجل.

(ينحني الحارس ويخرج ثم يدخل المستشار)

- المستشار: (باهتمام) مولاي الملك ما الذي حل بك يا مولاي؟ فقد طار عقلي من رأسي هذا الصباح حين خطوت نحو باب المعبد عائداً الى قصرك، وقد تراجعت الى الوراء قليلاً.

- نبوخذ نصر: (مقاطعاً غير مبال) وما يعني ذلك؟

-المستشار: (بصبر) لا يعني شيئاً لولا أنك وضعت يدك على صدرك، صاحبت ذلك انحناءً واضحة... وكلمات فضحت ملكة الشعر المدفونة داخلك.

- نبوخذ نصر: (وجهاً لوجه) هل شاهد الجميع ما شاهدته أنت؟

- المستشار: (بسخرية) لقد شاهدك كل من له لب! شاهدك مرافقوك المدججون بالحراب والسيوف، وهذا ما أثار استغرابهم، فكيف لملك عظيم مثلك ينحني بتواضع؟ عذراً على جرأتي يا مولاي.

- نبوخذ نصر: (يشعر بالحرج ثم يللم شتات نفسه فيبادر) ربما أنت لا تعلم أيها المستشار أنني أعيش في محنة كبيرة منذ سنوات، حدثت لي بعد أن تزوجت أنا من أميديا.

- المستشار: أمل أن تقول لي أيها الملك العظيم شيئاً مما حل بك، فلربما أشرت أنا عليك ببعض الأفكار التي قد تساهم في تقديم حلٍ للمحنة التي تعيش فيها أنت يا مولاي.

- نبوخذ نصر: (دون تردد) إنني ومنذ سنوات أطارد امرأة

-المستشار: امرأة؟

- نبوخذ نصر: نعم، امرأة.

(على الجانب الآخر تظهر أنوار البابلية مثل شيخ)

- نبوخذ نصر: (بلهفة) قاسمت جميع نساء الدنيا بجمالها، فهي حلوة المبسم، لها شفتان رفيفتان رفيفتان يزدان بهما وجهها الجميل. مثلما يزدان بعينها الساحرتين حين تتدلى عليها خصلات من شعرها الحريري، تخرج أمامي في مكان ما وفي وقت ما دون سابق إنذار.. (تقترب أنوار البابلية بثوبها الطويل وشعرها المنساب من خلف وشاحها القصير) وعند ظهورها يشتغل العقل والقلب وجميع الحواس بها، وتنقطع عني كل صلة بالمكان الذي اضع قدمي عليه.. وأنسى عرشي وعظمتي وجيوشي وانتصاراتي فأحنني لها إجلالا (ينحني الملك نبوخذ نصر ويقبل يدها. يصدم المستشار لهذا المشهد).. لأنها تأخذني إلى عالم من السحر والجمال (تتشابك أيديهما ويدوران مرات عدة) إنها نصري الحقيقي.. ولن أهدأ الى أن أظفر بها في يوم من الأيام.

المستشار: أين رأيت تلك المرأة يا مولاي المعظم؟

- نبوخذ نصر (ما زال برفقة أنوار البابلية شابكا كفيه على كفيها) تلك المرأة! تلك المرأة! أراها في كل يوم وليلة، تارة تقف أمامي، وتارة ترسل لي ابتسامة عذبة تسلب اللب مني، ولكني أحيانا حين أقرب منها.. (بحماس) تفر مسرعة من بين يدي، وأظل الأحقها ببصري، بينما تقف هي تحت ظل شجرة من جناني المعلقة، وأحيانا أشاهدها كاشفة عن ساقها الممتلئين تحت شلال ماء صهريج متدفق من أعلى مكان في تلك الحدائق، ولطالما أشرقت هي مثل نجمة مشعة حين يهبط الليل ويضم بأجنحته مدينة بابل العظيمة.. (بحزن) لقد صرت أبحر في قلق دائم، يتسرب شيء من الخوف لنفسي.

(المستشار يلوذ بالصمت، يقلب بيديه حائراً ثم يراقب كل حركة من حركات الملك عله يرى أنوار البابلية)

- المستشار: من تكون هذه المرأة؟ ومن أي مدينة هي؟

- نبوخذ نصر: (ينظر إلى أنوار البابلية بنشوة العاشق وتبادل النظره نفسها ولكن بحزن) أنا لا أعرفها، لكنها بابلية، تظهر لي دائما مبتسمة، ثم فجأة، تتبدل ابتسامتها إلى حزن شديد.

المستشار: (باهتمام) هل تراها حين تشتاق إليها، أم تظهر في كل آن؟

- نبوخذ نصر: أراها واقفة في شارع الموكب صباحا، بالقرب من بوابة عشتار مساء، وفي أوقات بالقرب من الزقورة، وهذا يعني أنها من بابل.

- المستشار: (يراقب ويفكر) وقد تكون هي قد انتقلت من مكان آخر، ليس ذلك محتملا يا مولاي المعظم؟

- نبوخذ نصر: (ينظر إلى عيني أنوار البابلية) لا أعلم، فأنا لا أعرف شيئا عنها

- سوى جمالها الساحر الذي استولت به على مشاعري.
- المستشار: (محاوولا رؤية أنوار البابلية بكل طاقته) هل هي موجودة الآن؟
- نبوخذ نصر: (يرفع يدي أنوار البابلية) أجل، هي موجودة الآن. بقربي.
- المستشار: ألم تدعُ مردوخ العظيم أن يخرجك من هذه المحنة؟
- نبوخذ نصر: بل إنني توجهت مرات عدة الى المعبد، ودعوت الإله مردوخ أن يحقق منيتي بلقائها، وفي أي مكان من هذا العالم الفسيح. فأنتني أريد أن أحقق في عينيها الخضراوين، مثلما أريد أن أنظر الى شفيتها، وهي تلفظ الكلمات بركة متناهية (يقف حائراً) ثم أسألها عن سبب حزنها العميق.
- (تراجع أنوار البابلية وتهز رأسها ثم تخرج باكية. يحاول الملك اللحاق بها ولكنها تتلاشى فيشعر بغم شديد)
- المستشار: ( وكأنه وجد الحل) ليسمح لي الملك العظيم أن أقدم اقتراحا مقبولاً يمكنه الأخذ به.
- نبوخذ نصر: تكلم.
- المستشار: أنت تعلم يا مولاي أن المعبد الكبير للإله مردوخ يتعبد فيه الكثير من الكاهنات والكهان، مثلما يتعبد به المنجمون والمنجمات، فهؤلاء يتخذون من معابد المملكة أماكن تجارية يبيعون فيها تجارتهم على المتعبدين من سكان مدينة بابل خاصة في مواسم حصاد الغلة، وجني ثمر النخيل.
- نبوخذ نصر: (بصبر نافذ) وكيف لا أعلم أيها المستشار.
- المستشار: (مستمراً بالوتيرة نفسها) وبينهم الكثير من العاملين في الزراعة يتوجهون صوب المعابد يطلبون النصح والإرشاد من المشعوذين الذين يوهمونهم بأنهم على معرفة بكل ما يريده سكان بابل من أجوبة على أسئلة تتعلق بصحة أجسادهم، أو تتعلق بما تخبئ لهم الأيام.
- نبوخذ نصر: (مقاطعاً) أسعفني بالجديد أيها المستشار فقد نفذ صبري.
- المستشار: (يخطو نحو الملك) الكهنة.
- نبوخذ نصر: (متسائلاً) الكهنة؟
- المستشار: (بحماس) نعم، عليك بسؤال الكهنة .. فالشك لا يتسرب من تنبؤاتهم.
- نبوخذ نصر: (يسير مبتسماً) لا بأس، مادامت هذه الفكرة نتاج عقلك.
- المستشار: (متحفزاً ويسير خلف الملك بخطوات سريعة) كما يطيب لي أن أقترح على ملك بابل العظيم الذي قاد الجيوش، وأذل الملوك أن يسأل عن تلك المرأة كبيرة كاهنات المعبد بالذات، وليس كبير الكهنة.
- نبوخذ نصر: (يلتفت نحوه وباهتمام) كبيرة الكاهنات؟
- المستشار: (بحزم) أجل، فالنساء يعرفن بعضهن البعض أكثر من الرجال الذين قد يجهلون ما يدور في عقول النساء في الكثير من الأحيان.

- نبوخذ نصر: (يهز رأسه) حقا.  
-المستشار: حقا وصدقا يا مولاي المعظم، فالرجال يرتكبون الكثير من الأخطاء في تعاملهم مع النساء بسبب سوء الفهم.  
- نبوخذ نصر: (معلنا) تركت الأمر إليك فاستعد.  
- المستشار: (ينحني) أمر مولاي، أمر مولاي  
(يخرج المستشار ويبقى الملك يتأمل المكان الذي ظهرت منه أنوار البابلية)  
إظلام

### المشهد الثالث:

(المكان/ المعبد الكبير. الزمان/ مساء. حشد من المنجمين والكهنة والكاهنات في المعبد الكبير)  
- كاهن (1): (متسائلا) ترى ما الهدف الحقيقي من وراء زيارة الملك المزمعة؟  
- كاهن (2): (دون أن يلتفت) اعتقد أن الملك يعد العدة للقيام بحملة عسكرية يؤدب فيها أحد المماليك لرفضه دفع الجزية.  
- كاهن (3): (يتدخل) أو ربما الملك العظيم يريد أن يشق قناة عظيمة من نهر الفرات حيث الأراضي التي تقع على الضفة الغربية منه.  
- كاهن (1): (بحماس) لربما يريد أن يشيد قصرا جديدا، أو ربما جنائن معلقة أخرى.

- كاهن (1): (مقاطعا) أمر لا يصدق، فلم يمض الكثير على مكوثه في القصر الجنوبي الذي أعاد هو بناءه من جديد، وجعله من أكبر وأفخم قصور الدنيا قاطبة، يضاهاي بفخامته بوابة عشتار التي أشادها بهندسة رائعة، لم تعرف الدنيا لها مثيلا.  
- الكاهن الكبير (منزعجا): كفى ظنونا، ولنتنظر، فما هي إلا ساعات وينجلي الأمر بحضور الملك نفسه الى المعبد، وسيصرح بما يريده منا جميعا.  
إظلام

### المشهد الرابع:

(المكان/ شارع الموكب. الزمان/ مساء. تدخل طلائع موكب الملك، تحف به الفرسان والخدم يمينا ويسارا. يحتشد بعض من سكان مدينة بابل على طوال جانبي شارع الموكب، مرحبين بقدم الملك نبوخذ نصر. يخرج رجل من بين الحشد)  
- الرجل: (يرفع يده هاتفا) يعيش نبوخذ نصر الثاني ..  
- مجموعة من الناس: (مرددين) يعيش نبوخذ نصر الثاني..  
(فجأة، يتوقف الملك نبوخذ نصر ويسير بضع خطوات وسط حشود الناس الذين يتراجعون منحنيين هيبة منه. الملك ينظر باهتمام نحو بقعة محددة، الصمت يخيم

على الجميع. كأن على رؤوسهم الطير. الملك يصل إلى مكان محدد ويقف).  
- نبوخذ نصر: (ينحني ثم يبتسم) اشتقت إليك.. شعرت بوجودك قبل ظهورك..  
وما أن التفت حتى وجدتك.. اسمحي لي أن أقبل يدك (يركع على ركبة واحدة  
ويظهر كأنه يقبل يد شخص ما. يتراجع الناس من هول الصدمة).. أه كم أعشقتك  
يا أنوار.. (يقف متحمساً) هل تعلمين، لقد اخترت لك اسماً مركباً مناسباً.. ما رأيك  
باسم (مستعرضاً) أنوار البابلية؟ ما رأيك؟ أها.. إني سعيد لأنه أعجبك.. (بحزن)  
اجبيني يا أنوار البابلية: ما سبب هذا الحزن الذي أرّق مهجعي؟ كيف لا أهتم  
وحزنك هذا يشرح شغاف قلبي وتتجزأ بسببه روعي أجزاءً لا أتمكن بعدها من  
جمعها إلا بشق الأنفس.. مم، جيبني يا أنوار البابلية؟ (يركع على ركبتيه ويتوسل)  
أتوسل إليك أن ترددي علي.. (يقف مستسلماً حزيناً ونظره نحو مكان بعيد) هكذا..  
مثل كل مرة.. أسألك عن سبب حزنك فتمتنعي عن الإجابة ثم تتلاشين.. (يعود إلى  
مكانه في مقدمة الموكب ويرى الحيرة على وجوه الجميع ويأمر باستئناف المسير.  
يخرج الموكب من الجهة الأخرى)  
إظلام

### المشهد الخامس:

(المكان/ المعبد الكبير. الزمان/ مساء. الكهان ينظرون نحو الجهة الأخرى  
استعداداً للقاء الملك نبوخذ نصر)

- صوت المنادي: (بصوت جهوري) الملك نبوخذ نصر الثاني

(يدخل الملك مع مستشاره، ينحني له الجميع)

-المستشار: (يتوسط الجميع معلناً) أمر الجميع أن يصغوا إلي جيداً (يرفع  
صوته) على جميع المشعوذين والمنجمين الخروج من المعبد حالا، ومن يتخلف  
منهم سيكون مصيره الموت بسيف الجند القاطعة.

(يخرج جميع المشعوذين والمنجمين بطريقة مضحكة: الواحد منهم يسقط فوق  
الأخر من شدة تزامهم على أبواب المعبد، في هذه الأثناء يقترب المستشار من  
الكهنة): عذراً، يلزم خروجكم أيها الكهنة والكاهنات أيضاً. (يخرج الكهنة جميعاً).  
- المستشار: (يهمس بالقرب من كبيرة الكاهنات) غير ملزم خروجك يا  
كبيرة الكاهنات، فالمقصد من حضورنا هو أنت.

(تتوقف كبيرة الكاهنات ويهمس المستشار في أذنها فتبدو عليها الدهشة والحيرة  
ثم تهمس له بكلام فيظهر على محيا المستشار الصدمة وتجحظ عيناه. يشاهد الملك  
كل ذلك فيبدو عليه الوجع)

- نبوخذ نصر: (بغضب) أيها المستشار؟ ماذا أخبرتك كبيرة الكاهنات؟

- المستشار: (يرتجف) قالت لي الكاهنة، أنها تعرف ما يريدك الملك العظيم منها  
يا مولاي.

- الملك نبوخذ نصر: (بصوت مرتفع نحو كبيرة الكاهنات) يا كبيرة الكاهنات هلاً أخبرتني عن غاية حضوري؟
- كبيرة الكاهنات: (تتوكأ على صولجانها وتقف في الوسط بشجاعة): لن تستطيع الظفر بأنوار البابلية يا ملك بابل العظيم.
- نبوخذ نصر: (بذهول) ماذا؟
- كبيرة الكاهنات: (بالشجاعة نفسها) تلك أمنية ستموت بموتك. (تضرب بصولجانها الأرض) فالوصول الى أنوار البابلية مستحيل ثم مستحيل ثم مستحيل! الملك نبوخذ نصر: (بعد صمت وبغضب شديد) اقطعوا لسان هذه الكاهنة.
- (يدخل الحراس ويطوقون كبيرة الكاهنات للقبض عليها ولكن الملك سرعان ما يشير إليهم بالتوقف والخروج)
- نبوخذ نصر: (هامسا بأذنيها) أيتها الكاهنة الغبية تعلمين جيدا أنني من قاتل الميديين الفرس، وسقتهم أسرى كالأغنام الى بابل العظيمة.
- كبيرة الكاهنات: (بصلابة) أعلم يا مولاي
- نبوخذ نصر: والآن يسرون أذلاء في شارع الموكب أمام عينيك، وأمام أعين الجميع، وهم الآن عبيد عند أهل بابل، وهذا العبد الذي يقف في خدمتك (يشير إلى أحد الخدم) هو واحد منهم.
- كبيرة الكاهنات: (بالصلابة نفسها) أعلم يا مولاي
- نبوخذ نصر: وتعلمين أنني أنا نبوخذ نصر، أنا ملك بابل العظيم، أنا الملقب بمقيم المدن، فكم من مدينة فتحتها، وكم من ملك خضع صاغرا لي.
- كبيرة الكاهنات: (بالصلابة نفسها) أعلم يا مولاي
- نبوخذ نصر: (بحرارة) أنا الذي هزمت الفراعنة بمعركة كركميش حين قادهم ملكهم نخاو الثاني فيها، ووقت أن استجد به الآشوريون، أنا الذي بسطت سيطرتي على تدمر وفينيقيا، أنا الذي هدّد أسوار مملكة عسقلان، أنا الذي اقتحم مدينة أورشليم وجعل ملكها مسيبيا.
- كبيرة الكاهنات: (بالصلابة نفسها) أعلم يا مولاي
- نبوخذ نصر: وتعلمين أيضاً أنني قمت بتنصيب ابنه "صدقيا" ملكا عليها، ولكنه حين عصاني، ورفض دفع الجزية لمملكة بابل سبيته هو وحشدا من سكانها، وهم الآن عبيد في بابل.
- كبيرة الكاهنات: (بالصلابة نفسها) أعلم يا مولاي.
- نبوخذ نصر: ( يدور حولها) عليك أن تسألني نفسك من بنى الزقورة، ومن أشاد الجنائن المعلقة، ورفع الماء إلى سطوحها لتتعم سيدات البلاط بظلال الشجر، وبرود النسيم حين يحل الصيف على بابل العظيمة. (مفتخرا) أنا الذي رصع باب عشتار بالحجر الأزرق.
- كبيرة الكاهنات: (تضحك بصوت مرتفع ثم بهمس) تقصد ذلك الباب الذي

سيزين مدينة برلين بعد أن يسطو عليه لصوص الغرب، وينقلونه من بلاد الرافدين الى بلاد الآريين؟

- الملك نبوخذ نصر: ما الذي تقوليه؟! أسمعيني ثانية؟

- كبيرة الكاهنات: (تلوذ بالصمت)

- نبوخذ نصر: (يرجع إلى موضوعه السابق) أبعد كل هذا وغيره كيف تريدنيي ألا أصل الى أنوار البابلية؟ هل عميت بصيرتك، وخفَّ عقلك، أيتها الكاهنة الغبية! (متوعداً) عليك أن تتقي أن أنوار ستكون هنا في بابل، وستعيش في بابل، ولن يستطيع أحد أن يحرمها من رؤية عظمة مدينة بابل، ومن رؤيتي، فأنا وهي، على أكثر الظن ولدنا في هذه المدينة، وتعانقت روحي وروحها في سماء العشق الأبدية.

- كبيرة الكاهنات: (بنفاد صبر) أيها الملك العظيم! يا مقيم المدن! لم أقصد الحط من قيمة انجازاتك العظيمة، ولم أرد أن أصفك بالعجز، ولكن مقصد كلامي عصي عليك.

- نبوخذ نصر: (بغضب) لا يعصى عليّ أمر.

- كبيرة الكاهنات: (مترددة) إنَّ أنوار البابلية لم.. (صمت)

- نبوخذ نصر: م، أكلمي؟

- كبيرة الكاهنات: (تضرب بصولجانها الأرض) لم تولد بعد.

- نبوخذ نصر: (يتراجع مذهولاً) ماذا؟! ماذا تقصدين؟

- كبيرة الكاهنات: (بسخرية) ألم أقل أنَّ القضية عسبة عليك؟

- نبوخذ نصر: (بأمر) تكلمي بوضوح.

- كبيرة الكاهنات: (تسير بضع خطوات وتتوقف) نعم، أنوار البابلية، لم تولد بعد وتفصلك عنها مسافة زمنية مقدارها أكثر من ألفين وست مائة سنة.

- نبوخذ نصر: (بالذهول نفسه) كيف يكون ذلك؟ وكيف أجدها إذن؟

- كبيرة الكاهنات: عذرا فلست أنا من كَيْف الكيف وأَيْن الأين! ولو كانت المسافة أرضية لما توانيت أنت عن قطعها، ومن ثمة الظفر بأنوار البابلية الجميلة التي ستثير بجمالها مدينة بابل. مدينتك هذه العظيمة كما تخيلت، ولكنها ستكون في بابل.. (تتغير نبرة صوتها وتستعرض بألم وحزن) ولكن ليس بابل اليوم بل.. حين تعود أطلالا، ولا يحيط بها سور.. تجري عليها العربات، مثلما يفعل سكانها اليوم، ستكون بابل مدينة لا يهابها أحد، ولا يخشى سطوتها حاكم، أو ملك، ستعبت بأسوارها جيوش شتى حتى تلك التي هزمتها اليوم، وسيدوسون على بلاطك العظيم بأقدامهم القدرة، وهو البلاط الذي لم يدس عليه فاتح في زمنك وزمن أجدادك، أولئك وحوش المال سيصلون لها من بلاد قسبية، ويعبرون في طريقهم إليها بحارا ومحيطات، وقت أن يخذلك أهلها ويخذلونها، وحين يرقص البعض منهم فرحا ساعة احتلالها.

(الملك نبوخذ نصر يمسك رأسه بيديه مرعوبا مما يسمعه)

- كبيرة الكاهنات: حقيقي أنك ترى أنوار البابلية بيقتظتك ومنامك، ولكنك لن تصل إليها، فهي لا تزال في رحم الزمان، وفي القادم من الأيام، ولن تولد إلا حين يحل الخراب جنانتك المعلقة، ووقت أن تدوس عليها عجالات الأعداء، وتحوم عليها غربان السياسة، وساعة أن تضام فيها أنوار البابلية الحبيبية التي لم تولد بعد!

- نبوخذ نصر: (يهمس) واويلتاه..

- كبيرة الكاهنات: (تقترب منه وبألم عميق) وأعلم أيها الملك العظيم أن هناك رجالا كثر يأمرون بعدم مقاومة المحتلين الغاصبين خوفا على مصالحهم، فيغدو الشعب مغلوبا على أمره بين ليلة وضحاها، لا يستطيع لنفسه نفعا بل ضرا، فكلمنا تعالى صوته بالرفض يقابل بالموت والنفي والتغييب.

(الملك نبوخذ نصر يضع كفيه على أذنيه محاولا عدم سماع كلام كبيرة الكاهنات، ولكنها تقترب منه أكثر وتصر على إسماعه)

- كبيرة الكاهنات: (تصرخ في أذنه) كل هذا سيحدث يا ملك بابل العظيم، كل هذا الذي يحز بالنفس، ويدمي القلب ستشاهده مملكتك، وبلادك التي سيحكمها من صيرتهم عبيدا ممن يدورون في طرقات بابل اليوم، سيكون هؤلاء العبيد هم من ينصب الحكام، وهناك آخرون من عبيد المال والمناصب يجرون خلفهم.

- نبوخذ نصر: (يسقط جالسا على الأرض)

- كبيرة الكاهنات: أنا أعرف أن حديثي هذا سيهز مشاعرك، ويثير غضبك، خاصة حين تكون حبيبتك أنوار البابلية تعيش في فترة حكمهم المظلمة، أنا أعلم أن ذلك سيصعب عليك، سيقض مضجعتك، ويزيد همك، حين أقول لك مثلما تقول لي النجوم إن حبيبتك أنوار ستري الظلم بعينها، يحرمونها لذة العيش، ويعرضونها لسوء معاملة، أسقطت على إثرها حملها وهو في شهوره الأخيرة، ستقول لي إنك ستبني لها أربعا من الجنائن المعلقة، وبعدد فصول السنة، مثلما بنيت لزوجتك أميديا الميضية الجنائن الحالية، ولكن هذا سيكون عليك جد متعذر، ولا يمكنك تحقيقه لها.

- نبوخذ نصر: (بعد تفكير) الآن علمت سبب حزن أنوار البابلية.

- كبيرة الكاهنات: (بأسف) إنه حزن بابل الذي قد لا ينتهي.

- نبوخذ نصر: (صارخا بأعلى صوت): لااااااااااا..

(يردد صدى صوته ثم إظلام ويرتفع صوت جهوري مجهول)

الصوت الجهوري المجهول: إنها ذات الصرخة التي أطلقها من قبل جلجامش، ملك سومر العظيم في مدينة أوروك، حين رأى الدود يتساقط من أنف صديقه أنيكيديو في اليوم السابع من وفاته، حيث عز على جلجامش دفنه.

## فرصة التمثيل

د. صالح الصحن \*



ولكن نجد أحيانا أن بعض الممثلين والممثلات يخشون من الشاشة، ولم يتم اختيارهم في العمل بمسلسل أو فيلم جديد، إلا بعد مضي فترة زمنية قد تستمر طويلا، وهذا ما يولد استياء حادا من قبل الممثل أو الممثلة، بل يخلق "بطالة" تزيد من شدة التذمر والاحباط في الوسط الفني عموما. وفي ما سيأتي سنشير إلى بعض الملاحظات التي ترتبط بهذه المسألة والتي لها كبير الصلة بألية الحصول على فرصة التمثيل في العمل الفني.

ترتبط فرص التمثيل نسبيا بمستوى مهنية وتقاليدي عمل المؤسسة الانتاجية ودرجة احترافها للعمل. لا شك أن المخرج المتمرس هو من يجيد فن اختيار الممثلين بما يلائم شخصياتهم وامكانياتهم مع ادوارهم حرصا منه على اتقان الدور بتجسيد مثير ومشوق. ونعتقد ان فرصة التمثيل ومنح الدور ينبغي أن تخضع لاشتراطات ومعايير فنية محكمة

تقتزن مهنة التمثيل بالموهبة وتوفر الامكانيات والمهارات الفائقة، فضلا عن اكتساب المعرفة والدراسة والاطلاع والتدريب. وهي التي تقود إلى فهم طبيعة الدور وتفسير وفهم الشخصية، وإدراك فلسفة حكاية العمل ككل، كما تتطلب الاحاطة بمتطلبات إتقان الأداء، والالمام بحرفة التجسيد ودقة التعامل مع الشخصيات الأخرى، والاهتمام بجاذبية الشكل وقيمه، ومرونة الجسد وطبيعة الهيئة، وخصائص الصوت وكيفية النطق، واجادة أنماط التعبير، وما إلى ذلك من اشتراطات. وأوفر حظا، لمن توفرت لديه مثل هذه العناصر فضلا عن الوسامة وألق الحضور لكلا الجنسين. وافضل فرصة هي التي تذهب إلى الممثل القدير المتمكن من أدائه، الذي يجيد فهم دوره، وفهم النص مع المخرج، واجادة فن التفاعل الحيوي مع الممثلين المشاركين معه، وله مهارات وقدرات متفردة، وثقافة عالية وحرفة التعامل مع الكاميرا والملاك الفني ككل، مع الالتزام والاحترام اللائق بين فريق العمل.

وقد وصل العديد من الممثلين والممثلات إلى مستوى النجومية والتفوق الفني العالي. بل حصدوا الجوائز واعجاب المختصين والجمهور، وهذا ما يؤثر ايجابيا بانتعاش الانتاج الفني ككل ويفتح آفاقا واسعة في التمثيل اذا ما توفرت وازدادت فرص العمل.

ترتقي بدقة المطابقة بين الممثل والشخصية، وليس على أساس العطف أو الهبة والمساعدة وارضاء الآخر، وهناك فرص في التمثيل خلقت نجومًا وصنعت أبطالًا من التصنيف الاول لعدد من الممثلين والممثلات بما فتحت لهم من آفاق واسعة بعروض فرص مهمة أخرى.

من متطلبات التمثيل ان يقرأ الممثل أو الممثلة النص ويفهم كل تفصيلاته وأفكاره ولغته ومن حقه ان يعرف حجم وقيمة ومستوى دوره ويفسره في قصة العمل، كي يعرف ما مطلوب منه أن يعمل ويجسد ويعبر وكيف يظهر ويتفاعل مع الآخرين، وان يعرف دوره في الصراع والأحداث عموماً. أحياناً يرفض بعض الممثلين أو الممثلات اختيارهم لدور معين، وبعدها يتم الاعلان عن الشعور بالندم لهذا الرفض لسبب أو لآخر، منها التفوق الكبير الذي حققه الممثل الآخر في هذا الدور المرفوض، او لسبب آخر. وقد ترفض فرصة التمثيل لأسباب مختلفة، منها ما يتعلق بطبيعة الدور الذي قد يحمل جراً أو خرقاً للحياء أو ثقلاً من الإغراء أو انتهاكاً لقداسة ما، او ما تحمل من علامات ومفاهيم فكرية أو روحية خطيرة، قد تسبب حرجاً للبعث أو للمجتمع، او ان ممثلاً ما، قد اخفق كثيراً وفشل في أدائه بالدور "س"، بما لا يشجع الآخرين على اختياره مرة أخرى، وهنا يكون قد ضيَع الفرصة، فضلاً عن أسباب عديدة.

في سياقات العمل الفني، تحصل أحياناً بعض الاخفاقات في مسألة اختيار الممثلين لأسباب خارجة عن المعايير الفنية السليمة بمعنى أن الاختيار كان خاطئاً وغير مطابق لسمات الشخصية، مما يشكل خلافاً في جسد

العمل والوسط الفني عموماً، بعيداً عن التوازن والمهنية الصحيحة، وكذلك تتأثر فرصة التمثيل بقرار الاختيار الذي يحذر من عدم الانسجام بين الممثلين أنفسهم، او من حالة انتقاء البطولة من بين المرشحين لها وعلى قدر قياس مستوى الكفاءة.

يعاني أحياناً الممثل أو الممثلة في حالة عدم وجود فرصة متاحة للتمثيل وبانتظار طويل جراء توقف عجلة الإنتاج، خاصة عندما يعرفهم الجمهور جيداً ويصبحون وجوهاً معروفة في الشاشة، والممثل أو الممثلة لكل منهما حياة خاصة، بها حاجة إلى رعاية ودعم وتشجيع، وان مهنة التمثيل هي مصدر العيش الرئيسي وبدونها يصعب عليهم العمل في ميدان مهني آخر وخاصة في أعمال بسيطة لا تليق بمكانتهم ونجوميتهم سيما وان بعضهم قد اقترنت هيبته بالدور الفلاني والشخصية المعروفة في القصة المعينة التي تعاطف الجمهور معها أكثر.

تسعى بعض القنوات الى اختيار بعض الممثلين أو الممثلات بتقديم البرامج لما يتمتعون به من حضور وقبول عال لدى الجمهور لاستقطاب ذائقته، وهنا قد تختلف الآراء، منهم من يرى ذلك نوعاً من الانتشار والشهرة. فيما يراه البعض الآخر نوعاً من الاستهلاك الذي يولد الاشباع والملل، على الرغم من الفائدة الربحية التي يجنيها الممثل أو الممثلة من هذه البرامج والتي يسعى إليها أحياناً، بسبب عدم حصوله على فرصة تمثيل مناسبة.

ان اختيار الممثل "س" لدور معين وقد اثبت اخفاقه فيه، من دون اعطائه للممثل "ص" وهو المناسب جداً للدور، وخارج عن معايير الاختيارات الصحيحة من قبل

وازدهاره، بما ينعكس ايجابيا على اجواء العمل في الوسط الفني.

ان مستويات التمثيل مختلفة بلا شك، وهناك من تنطبق عليه التوصيفات الجديرة بمكانته، فهناك النجم STAR وهناك بطولة، رئيسي، ثانوي، وهناك مستويات اقل وأقل لغاية الكومبارس، وهناك ادوار مهمة معروفة، يجيدها س وص بسبب قدراتهم وكفاءتهم، المعروفة ولن يجيدها الآخرون بسبب محدودية الكفاءة وضعف المهارة، وهناك فرص تمثيل لحالات خاصة مثل العمر او الإعاقة أو قصر القامة، او لون البشرة أو جنس أو بيئة معينة أو لغة محددة من البشر، او ان تقنيات المكياج ساعدت على خلق التشابه والاقتراب من الشخصية المطلوبة، أو انه عرف بنمط معين من الاداء بدور يليق بما يناسب نمطه كأن يكون شهيرا في الاداء الكوميدي مثلا. وهناك من يتمتع بسمات وعلامات ومهارات خاصة منها قيادة الطائرات والسباقات والتعامل مع الحيوانات والاسلحة وتسلق الجبال وبقية المهن كالالعاب الرياضية كافة والعزف الموسيقي والغناء وأنواع الحركات، وغيرها من المؤهلات الأقرب إلى الدور، وهذا ما يؤشر على بيان نظام آلية توزيع الأدوار، لمن هو الأمثل لملاءمة للدور دون غيره.

من الجميل أن يجد الممثل أو الممثلة فرصة التكليف بدور مناسب لشخصيته محليا أو عربيا أو عالميا، وهذا ما يتطلب توفر المؤهلات الفائقة والطريقة الصحيحة في الاختيار ولكن، هناك البعض ممن لم يتسن له الحصول على الأدوار البسيطة "الكافية" حتى محليا، مما نجده عاطلا. أما صعوبة الحصول على دور عربي أو عالمي

المخرج أو هيئة الإنتاج، يشكل خرقا في التقاليد وضعفا في مستوى الفيلم او المسلسل، وهذا ما يكشف عن قصور الاختيار وإهمال الخبرات المبدعة والذي يساعد على البطالة المقصودة في هذه المهنة.

أحيانا تلعب العلاقات الشخصية وتفشي ظاهرة المجاميع "الكروبات"، دورا في حرمان العديد من الممثلين والممثلات من فرص العمل وتبعدهم عن الاشتراك في الأعمال الفنية، فليس من المهنية الصحيحة ان يمنح الدور لاغراض شخصية أو بدافع المصالح والمنافع أو الصلات الخاصة، والمساومات وغيرها من العلاقات المشروطة، رغم اننا لا نستبعد وجودها في السينما العالمية، وبلا تحفظ.

من حق المخرج أو المنتج ان يختار على وفق ما هو اكثر ملاءمة للدور والعمل الفني بشكل عام، حتى لو كان من خارج الوسط الفني، واحيانا يتم الاختيار على ممثل أو ممثلة من غير الدارسين لفن التمثيل أو من غير الذين قد تعلموه سابقا في ورشة أو معهد خاص بذلك. ومعروف في تاريخ السينما ان العديد من المخرجين الكبار، أقدم على اختيار بعض أبطاله وممثليه من الأشخاص العفويين النلقانيين والبسطاء وممن لم يدرسوا السينما وفن التمثيل من قبل، وقد نجحوا نجاحا باهرا.

نأمل من المؤسسات الفنية المعنية بالإنتاج التلفزيوني والسينمائي الحكومية أو الخاصة محليا أو إقليميا أو دوليا، ان تعمل على زيادة وتائر الانتاج وباعمال عديدة ومتنوعة في السينما والتلفزيون والاذاعة والمسرح لإتاحة فرص العمل بشكل اوسع، للقضاء على مسألة "ندرة الفرصة" لاحياء روح الانتاج

من المشاهد والادوار في عمل ما، بما يفقد احترامه وهذا ما يحقق القدر المتدني في سياقات العمل الفني. بل ويفقد أوجه الكرامة وعدم تقدير الكفاءة.

ما زلنا بأمس الحاجة إلى وضع نظام جديد في تصنيف المستويات الفنية للممثلين والممثلات، ومراقبة اليات توزيع فرص التمثيل وبما يتكافأ مع مهاراتهم واجيالهم واعمالهم ، وبما يساعد على إعادة النظر بالسقف الحالي المتبع في منح اجور التمثيل غير الخاضع لنظام أو سياق عمل صحيح، قياسا إلى سقف اجور الممثلين في دول أخرى. ونعتقد ان نقابة الفنانين وبقية الاتحادات المختصة جديرة بوضع تصورات دقيقة عن الانتاج السينمائي والتلفزيوني موسميا، وكيفية سير العمليات الانتاجية، وهي الاجدر على رعاية حقوق الممثلين والممثلات والعمل وفق مفردات الانظمة واللوائح المثبتة في العقود عبر مراقبة سير الأعمال الانتاجية ومستويات تطبيقها لسياقات الانتاج المعمول بها في أقرب أو اغلب دول العالم.

لا ننسى ان نسجل أعلى معاني الاعجاب والتقدير للممثلين والممثلات في اصقاع العالم الذين يصرفون شهورا عديدة وأوقاتا طويلة في التدريب والمعايشة الحقيقية لطبيعة ادوارهم المهمة والصعبة والخطيرة والموبوءة في ميادين او حقول الحياة والعمل أو في بيئات مختلفة، او في دواخل نواتهم العقلية والنفسية والشعورية لاجل اجادتها وتجسيدها على أكمل وجه، بوصفها فرصة تمثيل مهمة تستحق الاهتمام والمعرفة والابتكار للإمسك بسمة الإبداع.

فهذا موضوع طويل جدا وأسبابه معروفة. هو عدم إجادة فن تسويق النجم، خاصة وأن غالبية الممثلين والممثلات المحليين لا يجيدون فن التكلم بلغات اجنبية مما يصعب ذلك في الاقناع والانتشار، ويثلم من القدرة التعبيرية بما في ذلك طريقة النطق والأداء والتفاعل مع العالم الآخر.

قد تكون بعض المواقف المتشنجة والانفعالات السلبية والاطعاء وعدم التفاهم وبعض التجاوزات في العمل الفني وعدم الالتزام بتقاليد العمل، مسوغا لعدم اختيار المخرج لممثل ما وضياع فرصته، وهذا ما يخلق الاجواء غير الصحية في الوسط الفني، الأمر الذي ينبغي أن تشاع فيه الروح المتسامحة العالية وتجاوز ما حصل في موقف سابق بثقافة الاعتذار، مع فتح صفحة جديدة في العمل الجديد، وبروح المحبة والاحترام.

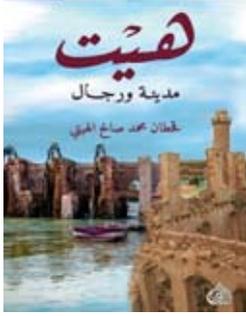
ليس غريبا ان تتوالى فرص التمثيل على ممثل معين، بحيث يصعب عليه تنظيم وقته في تنفيذ التزاماته في التصوير وبما يكثر من حضوره في الشاشة، على العكس من البعض الذي كبرت المسافة بينه وبين فرصة العمل.

اننا نتبنى الموقف الكريم لكرامة الممثل والممثلة، ممن يرفضون الابتذال، والمساومة، وعدم احترام الطريقة الرخيصة في تعامل بعض المنتجين أو المخرجين في منحهم الدور المعين على اساس انه "صاحب فضل" في هذه الفرصة "المشروطة" على الممثل أو الممثلة، ولسنا مع الذين يسعون بشتى السبل الوضيعة والدنيئة من أجل حفنة

\* باحث أكاديمي - بغداد

## هيت مدينة ورجال

عرض: شميران مروكل



صدر حديثاً للكاتب قحطان محمد صالح الهيتي كتاب (هيت مدينة ورجال) في 713 صفحة من القطع المتوسط عن مطبعة الرافدين، توزعت معلوماته الموسوعية على جزأين؛ الاول عن (المدينة) فصل تمهيدي وخمسة فصول عن موقع هيت وموضعها ونشأتها واسمائها. اما الجزء الثاني (الرجال) فقد خصصه لتراجم عدد من أشهر اعلام هيت الذين كان لهم دور متميز في الحياة الاجتماعية والفكرية والعلمية والسياسية على المستويات المحلي والعربي والعالمي. في التقديم يكتب الدكتور شاكر محمود عبد المنعم الهيتي، اختار المؤلف ان يتبع اسلوب الحوليات غير المكتمل وسار الكتاب على منهج علمي من حيث الاشارة الى المراجع والمصادر وتعزيز معظم الفصول والمباحث بالجداول والوثائق ذات الدلالات العلمية وعرف بالاعلام الحضارية واعلام الاشخاص والبلدان وترجم في الهوامش للكثير من الاعلام والمصطلحات بحيث لم يفرد مدينة هيت بتلك التعاريف وبذلك اظهر مدى التاريخ المشترك لمدن العراق. في المقدمة يؤكد الكاتب ان الكتاب

يعد دراسة متوازنة عن هيت وعن اعلامها وقد تم تدوين الاحداث التي وقعت بتاريخها وتسمية من تولى الحكم والادارة والقضاء فيها. حيث تم تدوين تاريخ هيت منذ عهد السومريين حتى الفتح الاسلامي لها وتاريخها عبر العصور الاسلامية وعهود الحكم الوطني حتى اليوم.. وتناول المعالم الاثرية في هيت وموضوع جديد لم يتناوله أحد من قبل وهو لهجة اهل هيت وايضا تاريخ الحياة السياسية والحزبية في هيت وتم توثيق ما قام به اعلامها وابناؤها من اعمال طيلة عمر مدينتهم، وعلى ما سجلوه من مفاخر في سفرها الخالد فقد ترجمت لرجالها الذين كان لهم دور متميز في الحياة الاجتماعية والفكرية والعلمية والسياسية محليا وعربيا

والديني وتطور بناء المعبد والزقورة الى كنيسة ثم الى الجامع عبر القرون وفيها كانت تصنع الآلهة والتمائيل. وما ادى الى ازدهار هيت انها تقع على نهر الفرات بشكل ادم اتصالها مع المدن السومرية وتحولت من قرية الى مدينة وعلى الرغم من الاهمية والمكانة التي احتلتها مدينة هيت عبر تاريخها الطويل الذي يمتد لما يزيد على 5000 سنة الا انها لم تحظ باهتمام الجهات المختصة بالتنقيبات الاثارية التي يمكن عن طريقها معرفة بداية الاستقرار فيها.

يلخص الكاتب واقع مدينة هيت عبر مراحل العصور الاسلامية منذ عهد الخلافة الراشدة والعصر الاموي والعصور العباسية وهجمة القرامطة وصولا الى العصر السلجوقي وعهد المغول الايلخانيين والعهد العثماني الاول والثاني والثالث وفي العهد العثماني الاخير الذي امتد من 1872 - 1917 م حين مرت الليدي (آن بلنت) عاشقة الخيول العربية بهيت بعد مغادرتها مدينة حديثة وهي رحالة بريطانية ألقت كتاب (بدو الفرات، رحلة بين البدو في الجزيرة الفراتية بسوريا 1878) ويرصد الكتاب وقائع الرحلة الاولى الى الجزيرة الفراتية ولم تذكر هذه الرحالة في كتابها اي شيء عن مدينة هيت، ويبدو انها كانت رحلة مخصصة لدراسة احوال بدو الفرات، وهذا ما يؤكد عنوان الكتاب. ولكن الباحث نابليون مارويني كتب بحثا تحت عنوان (هيت وينابعها

وعالميا وايضا التعريف بما عرف عن هيت من عادات وتقاليد وحكايات.

في الفصل التمهيدي يقدم عرضا لموضع مدينة هيت القديمة الذي يمثل حدودها الادارية وتحتل مساحتها المعمورة منذ الاف السنين والذي يكاد يكون قائما وثابتا لم يتغير على مر العصور، الا ما احدثته الفيضانات او معاول الغزاة او الظروف المناخية في بعض اجزائها. ومن الروايات التاريخية يستنتج ان موضع هيت منذ القدم كان المصدر الرئيس ولعله الوحيد للقيير لدى سكان القسم الجنوبي من العراق وظلت مشهورة بأبار القير الى يومنا هذا. وقد مثل موقع المدينة حدا للامبراطورية الاشورية والفارسية وبلاد العرب والأرض السواد ويمكن عد موقعها من مواقع المداخل او البوابات لكونها كانت بوابة العراق وقد ادى العامل العسكري دورا مهما في تحديد موقع مدينة هيت منذ القدم فقد تنازعت الامبراطوريات القديمة للسيطرة عليها لكونها نقطة وصل بين العراق والشام وبين الغرب والشرق، كما كانت مسرحا للعمليات العسكرية التي تمثلت بحملة كورش والاسكندر المقدوني والساسانيين والرومان وهجرة العرب قبل الاسلام وحملات العرب والمسلمين. وقد كان للعامل الديني أثر مهم في موقع مدينة هيت من خلال عبادة الناس للإله (ادد) والاله (داكان) اذ اقيمت لهما المعابد في المدينة بما اكسبها اهمية في المجال

المعدنية) وصف فيه الحال التي كانت عليها المدينة آنذاك. كتبت المس بيل في رسالة الى ابيها بتاريخ 24 اذار 1918: "حضر لمقابلتي اليوم رجل كنت قطعت الصحراء بصحبته الى دمشق عام 1911 ورافقني في رحلتي الى شبه الجزيرة العربية عام 1913 وافتרכת عنه في بغداد عام 1914 انه (علي العقيلي) ... كان علي يسكن في مدينة هيت عندما تم لنا الاستيلاء عليها فسارع الى الانضمام الينا من خلال ارتباطه بضابط الاستخبارات وجدوى تعيينه لما يتمتع به من معرفة واسعة بكل ما له علاقة بالصحراء". وبعدها كتبت رسالة ثانية تقول انها زارت هيت بعد زيارتها للرمادي تذكر انه حدث اثناء هذه الزيارة امر غريب جدا فقد هطلت امطار بغزارة في هيت طيلة عصر ذلك اليوم السادس من ايار عام 1918. اما الروائي البريطاني ادموند كانتلر فيذكر في كتابه الطريق الطويل الى بغداد الذي صدر عام 1919، سيرة الحملة البريطانية لاحتلال العراق والمهم ما كتبه عن مدينة هيت: عندما انهارت الدولة العثمانية اصبحت جميع مدن العراق مستباحة للسرقة والدمار الا مدينة يطلق عليها هيت، وتعد من اراضي الشام فقد قام اهلها بحماية ممتلكات الدولة والمدينة من الخراب وبناء على ذلك اجتمع وجهاء اهل هيت بديوان ذياب الياسين وأقروا بتوقيع وثيقة بينهم لحماية امن مدينة هيت من

السرقة والدمار. ان الوثيقة المذكورة تثبت للناس بان مدينة هيت هي مدينة المحبة والالفة والوحدة والسلام وان اهلها عاشقون لها ومحبون لبعضهم. وذكر الكاتب في فصل عن هيت العهد الملكي الكثير من الاحداث: تم بناء مدارس جديدة للبنين والاهم فتح اول مدرسة للبنات في هيت عام 1937 فجوبهت بمثل ما جوبهت به المدرسة الاولى للبنين ولكنها بمرور الزمن ثبتت امام العاصفة واقبل الناس على تسجيل بناتهم فيها بفضل ادارتها التي حظيت بمديرات فاضلات. كما تم فتح بصورة نظامية اول مستوصف مركزي في هيت وكان سابقا يزور المدينة طبيب الرمادي مرتين في الاسبوع لمعالجة المرضى. وتأسس ناد للموظفين يطل على نهر الفرات وفي عام 1947 جرى التعداد السكاني لمدينة هيت والقرى التابعة لها وتم التعداد لمركز المدينة الذي كان يتكون من ثلاث محلات، واظهرت نتائج التعداد ان مجموع سكان مدينة هيت (4830) نسمة وعدد العوائل (700) عائلة ومن خلال البيانات في سجلات الاحصاء يتبين بان عدد اليهود في هيت كان قليلا جدا وهو اقل من اعدادهم في عنة والرمادي والفلوجة عكس ما يشاع عن انهم كانوا كثيري العدد فيها. كما يؤكد عدم هجرة اي يهودي من هيت الى فلسطين المحتلة عام 1948 كما تفاعل ابناء مدينة هيت مع التظاهرات التي اندلعت في هذه السنة وانتفاضة

الشعب كرد فعل ضد توقيع اتفاقية بورتسموث. في عام 1951 قدم طالب قسم الفلسفة مدني صالح الى استاذة علي الوردي بحثا عن مدينة هيت، ذكر فيه ان الحجاب اخذ ينتشر في هذه المدينة منذ عهد ليس ببعيد. وجاء في البحث ان المرأة الهيئية كغيرها من نساء الارياف والمدن الصغيرة ولكنها بدأت تميل نحو الحجاب من جراء احتكاكها بالنساء الحضريات، اذ هي صارت تقلد هؤلاء النساء وكانها اعتبرت الحجاب فيهن من مظاهر المنزلة العالية والنفوذ، والسبب في ذلك ان الحجاب جاء الى هيت عن طريق نساء الموظفين فكانت المرأة الهيئية تنظر اليه (موضة) حديثة ترفع من شأن صاحبته.

ويتناول في كتابه بحثا مهما عن الاحزاب والحركات السياسية في هيت قبل وبعد 2003، منها الحزب الشيوعي العراقي الذي مر عبر سنوات نضاله بمراحل عدة منذ 1935 والى الان. وحزب البعث العربي الاشتراكي والاخوان المسلمون والحزب الاسلامي العراقي وعدد من الحركات والاحزاب القومية.

وفي الجزء الثاني من الكتاب يتناول الكاتب حياة شخصيات مهمة في هيت مؤكدا ان كل هيتي علم في عمله، المعلم والمدير والمهندس والطبيب والعامل والفلاح، انهم رجال جبلوا على الطيبة والكرم وحسن المعشر وعزة النفس والكرامة ومثلما هم رجال هيت، فنسأؤها مثلهم، امهات ومربيات

وطبيبات كريمات وقتيات مخلصات فهن وهم بناء اسرة تعلموا وعلموا وجدوا واجتهدوا وكانوا مدرسة خرجت اجيالاً سيحفظون ذكرهم وذكر مدينتهم. كتب عن كوكبة خيرة من رجال هيت الذين كان لهم دور في الحياة الاجتماعية والفكرية وتعدت شهرة بعضهم حدود الوطن. منهم ابراهيم سلمان جمعة الهيئي واحمد الحاج كريم الهيئي واحمد ردام محمد المولى والشيخ احمد عبدالله اعجية واحمد محل الشاهين واحمد منصور السعدي والدكتور اسماعيل خليل الهيئي وامين محمد علي وبدران احمد بريكع الهيئي وبديوي خلف الندا وبديوي علي الرخت الهيئي وثابت شعبان الناصر والدكتور ثابت نعمان الهيئي وجاسر محمد الظاهر وجاسم محمد امين الهيئي وحافظ تركي الهيئي وحسن صالح ورشان وحسين رجب محمد وحמיד مخلف الهيئي ورسمي رحومي الهيئي ورؤوف سالم الهيئي ورؤوف عبد الرزاق الهيئي وسبتي جمعة ذياب الهيئي وسطام سبتي السعدي الهيئي والدكتور سعدي السعدي وسعيد حمد عواد الهيئي وسهمي نصار السعدي وشاكر عون الدين الهيئي وشاكر محمود الهيئي وشاكر محمود عبد المنعم الهيئي وشريف عبيد عبد الغني والدكتور صالح فليح الهيئي وصباح سرحان فجري الهيئي والشيخ صبحي خليل الهيئي والدكتور صبري فارس الهيئي والشاعر صبري نصيف

كثير هم ابناء مدينة هيت الذين تخطت شهرتهم المدينة والعراق وذاع صيتهم في المحافل العربية والدولية من خلال عملهم وابداعاتهم في الكتابة والتأليف والخطابة والاعلام.

وختاما كتب هندي حامد الهيتي عن السارية التي رفعت الاعلام، إذ كتب عن اعلام هيت جميعا ورفع رايتهم خفاقة يقرأها القاصي والداني ولم يرفعه أحد، ارشف لهيت ولتاريخها ورجالاتها ولهجتها وموروثها بلغة المحب العاشق المفتخر، وذاكرته خزين لا ينضب عن الايام الخوالي، حفظ بيوتاتها ودروبها ومحلاتها واسواقها التجارية بيتا بيتا، ومحلا محلا ودكانا دكانا. ولد كاغلب الهيتيين في عائلة تعيش على شفا الفقر الشريف فحلم بالتغيير فكان الشعر ولادة احلامه وأدرك الواقع وعرف طريق التغيير في اعتناقه اليسار الوطني. انه الدكتور قحطان محمد صالح الهيتي المولود في هيت سنة 1949 من اب كوردي وام كوردية ويرجع نسبه الى عشيرة خوشناو في كويسنجق. خلد هيت واهلها بمعلقته، معلقة هيت من قصيدة دار سعدي:

انا ابن دار اذا قال الغريب بها آه  
تجيشت الاركان والعمدا  
كلاهما تكرم الاضياف ان نزلوا  
فيها كراما وان خانوا غدت اسدا  
انا الهيتي ابن الشمس ما ولدت حواء  
توأمه من بعد ان ولدا

الحمداني والدكتور صفاء الحافظ الهيتي والشيخ ضياء الدين الخطيب والدكتور طه جزاع وعادل عدنان عزيز وعبد الحميد المجيد الهيتي والدكتور عبد الحميد برتو الهيتي وعبد الرحمن جمعة الهيتي وعبد الرحمن عبيد العاني وعبد الرحمن هلال الكربولي الهيتي والشيخ عبد الرزاق حبيب الهيتي والقاضي عبد العزيز محمد الهيتي وعبد الغفور جاسم محمد والشاعر عمر رمضان الهيتي وغازي احمد الردام وغازي اسماعيل الكيلاني والشيخ فيصل نجرس الكعود والدكتور قاسم امين الهيتي والدكتور قاسم محمد الامام والشهيد المحامي قيس حمودي الهيتي وكامل سعد صالح الهيتي والسفير لطفي عز الدين ومحمد احمد الهيتي والدكتور محمد حردان علي والقاضي محمد علي الشايح ومحمود شكر الجبوري والشيخ مدني جميل الهيتي وفيلسوف الشرق مدني صالح ومعن بن زائدة الشيباني الهيتي والدكتور مهدي صالح حنتوش ومهدي نعمان محمد الهيتي والمهذب الهيتي ونجاح ساسون الهيتي والدكتور هادي نعمان الهيتي والدكتور وليد عبد الحميد الهيتي ويوسف فواز الهيتي ويوسف نمر ذياب الهيتي وام المعلومات عفيفة حميد، لم تولد في هيت ولكنها عاشت فيها لانها احبتها واحبت اهلها ولم يكن لها ولد لانها نذرت نفسها للتعليم فلم تتزوج، فكان كل ابناء هيت وبناتها، ابناء لها.

## منصور البكري . . ومحمولات الرسم المعبر

د . جواد الزبيدي



أخلص منصور البكري لفنه ومهنته (الرسم) ولم يتركها لأية مهنة أخرى، وظل يرسم ويرسم فقط بشكل حر منذ ثمانينات القرن الماضي وحتى رحيله مؤخرا. هو الفنان الذي حاصرته المنايا أكثر من مرة وتمكنت منه في المرة الأخيرة، ولم يستطع اكمال احلامه الواردات في خاطره الطويل الذي كسرتة الأنظمة وعتمة الوطن الذي غادره مبكرا وما زال يحلم بالعودة اليه. هذا الفنان الذي تربى في مدرسة الابداع العراقي من معاهد واكاديميات وتوجها بدخوله مبكرا الى قلعة الابداع (دار ثقافة الأطفال) حين اخذ بيده الفنان طالب مكي الى رئيس تحرير مجلة (مجلتي) وتعيينه براتب شهري ليكون ضمن فريق المجلة وكان جلمهم من تشكيليي العراق الكبار، وهو لا يزال فتى في عمر الرابعة عشرة وتدريب مع آخرين حتى عمل في ما بعد في مجلة (المزمارة) توأم (مجلتي) وتولى تصميم غلافها. ومن هذا الباب دخل الى السينوغرافيا بوصفها جزءا من تصوير المشهد دراميا، تلك المهمة التي يتقنها جيدا في رسم المناظر والشخوص، وعمل مع أشهر مخرجي المسرح العراقي (عوني كرومي، سعدي يونس)، ونبغ بالرسم والتصميم حتى أهلتة تلك الغوايات لينال الجائزة الأولى في تصميم

الطابع البريدية ضمن المسابقة المقامة على هامش مهرجان الربيع بالموصل عام 1979.

قد تكون تلك السنوات بدايات التأهيل الحقيقية من دراسته في اكااديمية الفنون الجميلة ببغداد وتخرجه منها عام 1978 وانتسابه الى فريق (مجلتي)، بيد أن مغادرته الوطن عام 1981 بداية حرب الخليج الأولى والأفق المجهول نحو المستقبل كانت مرحلة جديدة للتكيف واكتشاف خصائص الذات الخلاقة التي تستطيع تفكيك مقولات الواقع من اجل صنع شرنقتها الخاصة التي يلتحف بها، لتتير عتمة روحه التي خلفها وراءه في مدينته (بغداد) وهي تحترق بدخان الحرب التي بدأت للتو وصدمته الأولى حين واجه أنوار (روما) المدينة الجديدة التي تحيا مضيئة طوال ساعات اليوم، ويقارن بين هذه وتلك من اجل اكتشاف تلك المغاليق،

متعالية في ضوء الانضباط الذي يحكمه بخلاف ثقافة الآخر السائبة والبعيدة عن الضوابط، ويعد هذا علامة فارقة وإيجابية تتميز بها ثقافتنا الفنية وبعدها أيضا جزءا من تكريس تجربته وغناها على مستوى التحولات والأجناس التي خاضت بها، بدءا من التصميم ومرورا برسم الكاريكاتير الفني الذي مارسه في عدد من الصحف والمجلات العراقية فترة وجوده في الوطن الأم، وتميز به كثيرا عن طريق تعامله مع الموضوعات المضمرة عند رسم الصورة الشخصية.

اتسمت تجربته بالجمع بين الرسم الاحترافي والطريقة الكاريكاتورية في التعبير، على الرغم من تنوع اشتغالاته وتعدد الأجناس التي ابدع فيها، وهذه الطريقة قد تكون ميزة لدى القلائد من المشتغلين بهذا الجنس الفني في التشكيل العالمي والعراقي، وهو يسير على خطى (بهجوري) ومحاكاة تجربة علي المندلوي، اذ تتبعا المنهج ذاته في التعبير من أجل تخليص العمل الفني من سطحه ومباشره وبعثه الى محمولات دلالية تغتني بلعبة التعبير عن الجوهر في العمل والمضامين الانتقادية التهمكية والساخرة التي يحملها هذا الفن. ولكن مصورات البكري بتشريحها ومشابقتها للأصل البشري وقوانين وجوده في الواقع المعيش، تحمل في الوقت نفسه جزءا كبيرا من المضمرة والخفي في تلك الشخصيات ما منحها طاقة تعبيرية كبيرة أخرجتها من خانة التعاطي الصحفي والرسم الكاريكاتوري الى خانة فن الرسم بكامل طاقته وأدواته.

لكن عينه بقيت مفتوحة على (بغداد) حتى لحظاته الأخيرة وظل العراق حاضرا في كل زاوية من رسوماته وأن بغداد تسبقه دوما الى شوارع برلين التي يسكن حاراتها ويجول طويلا في شوارعها وأزقتها بعد انتقاله اليها ميكرا من روما بسنة واحدة فقط، على الرغم من مواصلته الدراسة وحصوله على الشهادة العليا في الكرافيك عام 1988. وقد توج هذا المخاض الجمالي بتصميم كتاب كبير يتضمن ملحمة كلكامش ويضع تخطيطاته الداخلية ورسوماته المائية في معالجة احداث الملحمة دراميا، واستكمالا لهذا المشروع ينتظم للدراسة مرة أخرى ويحصل على شهادة الدبلوم العالي للفنون في موضوع علم نفس وفانتازيا الأطفال عام 1989 مع رسم وتصميم كتاب (زيارة مزهرية قديمة) بإشراف استاذة راينهارت براون. وكانت هذه المرحلة آخر محاولاته في الدراسة والعمل المؤسساتي ليتوجه الى الرسم الحر والتصوير الفوتوغرافي لينجز مشروعه الشخصي او استكمال ما بدأه، اذ اقام (30) معرضا شخصيا لفنه في اقامته الألمانية وأسس مركزا ثقافيا باسم (شهرزاد) ليكن قريبا من الحكايا البغدادية في اصطفائه هذا الاسم الذي يمتد بانساعه الى بغداد والعراق، اذ بقي فاتحا مخيلته على حضارته العراقية ورموزها قديما وحديثا وينجز ما يمكن انجازها أو ما تتيح له الظروف في النظر اليه. وفي كل هذا المنجز يعتقد البكري ان الوطن الأم هو الذي يمنح الفنان زخما ثقافيا واللوحة معنى، ويرى أن الفن العراقي ملتزما بجذريته التي تمنحه سمة

لعدد من الأعمال التي ينتظر انجازها. وجسدت هذه الموضوعات صوراً لشخصيات عالمية من مشاهير الفن والأدب والثقافة، فضلاً عن موضوعات أخرى تنتمي لحضارة شرق آسيا، بيد أنه أراد الإيفاء لبعض الشخصيات التي تعلم منها وكان مشروعه القادم وبذات الروحية التي عمل عليها طويلاً، وهو الرسم الكاريكاتوري لشخصيات يمنحها طاقة تعبيرية عالية، فرسم 40 لوحة وزعها لوحة لكل يوم قضاها في غرفة الحجر فصور (كاسترو، جيفارا، تولستوي، ديلاكروا، بيكاسو، مظفر النواب، فيصل لعبيبي) وغيرهم الكثير، لكن يد الأقدار لم تمهله في تصيير هذه المصغرات أعمالاً فنية وبقيت رهينة سجل مخططاته مع مدونات أخرى لمشاريع لم تكتمل كان يأمل تحقيقها.

كان يسابق الزمن ويحلم بالعودة للوطن من أجل إعادة وترميم البنى الفنية المخربة ومنها تحقيق أمنيته في إعادة إصدار مجلة (مجلتي) المتوقفة بشكل جديد يتماهى مع الأنساق الفنية والإصدارات التي تعلمها من دراسته الأكاديمية ومشاهداته المتعددة في غرب الأرض، فضلاً عن اعداده خطة متكاملة لتأسيس منتدى للفنانين الشباب في العراق وبغداد تحديداً، المدينة التي أحبها وظل ملتقناً إليها طوال سنوات المهجر، يعني هذا المنتدى بتبادل الخبرات بين الأجيال وتلاقح ثقافتها وتطوير أساليب عمل جديدة في فن التشكيل العراقي. لكن المصائر المجهولة كانت تتربص به وادخل المستشفى وخلال الأيام الأربعين التي قضاها في الحجر الصحي كان يرسم أيضاً ويعمل اسكيتشات ملونة

## مطبوعات وصلتنا :

- هاشم نعمة فياض، العلاقة بين الهجرة الدولية والتنمية من منظور البلدان المرسلّة للمهاجرين، الدوحة/ بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022.
- عبد صبري ابو ربيع، شاعر وقصص (قصص) منشورات اتحاد الادباء – بغداد 2022 .
- كامل حسن الدليمي، الرحيق المستعاد (نقد) منشورات اتحاد الادباء – بغداد 2021.
- غانم عمران المعموري، الذات والوجدان في القصيدة، شعراء بابل انموذجا -اتحاد الادباء- بغداد 2021
- سالم بخشي المندلأوي، السمفونية المكورة - منشورات اتحاد الادباء 2021.

